أحمد عبد الحليم أبو رمان

حنينُ المُشتاق إلى بلادِ الأشواق

زادُ الحاجِّ والمُعتمر

ويليه

مختصر صفة الحج والعمرة
للشيخ ابن عثيمين رحمه الله

الطبعة الرابعة
١٤٤٢هـ-٢٠٢١
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
هاتف+٩٦٢٧٧٢٢٤١٦٥١
Aburumman_ah@yahoo.com
٢٦٢,٥
أبو رمان، أحمد عبد الحليم
حنينُ المشتاق إلى بلاد الأشواق: زاد الحاجِّ والمعتمر
أحمد عبد الحليم جميل أبو رُمان - عَمّان
المؤلف، ٢٠٠٨
ر.أ: (٢٤٤٨/ ٧/ ٢٠٠٨)
الواصفات: / الحجّ/ العمرة/ العبادات/ الإسلام

تم إعداد بيانات الفهرسة الأوليّة من قِبل دائرة المكتبة الوطنيّة
المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنيّة
(٢٠٠٨/٧/٢٤٤٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكرٌ وامتنان

الحمدُ والشُّكرُ لله تعالى من قَبلُ ومن بَعد على ما وفَّق وقدَّر، ثم أُقدِّم شكري وامتناني إلى كلِّ من أعانني ـ بعد الله تعالى ـ على إخراج هذا الكتاب، ولا أستثني أحداً، وأسأل الله أنْ يرفع قدرهم، وأنْ يُعلي مكانهم في الدُّنيا والآخرة.

وهذا الشّكرُ والتّقديرُ واجبٌ في عُنقي، وحقٌّ لازم عليَّ؛ فقد أمرَ اللهُ به على لسان نبيِّه ﷺ، فعن النّعمان بنِ بشير رضي الله عنهما قال: **قال رسول الله ﷺ:**

«**التَّحدُّثُ بنعمةِ الله شُكرٌ، وتركها كفرٌ، ومن لا يَشكر القليلَ لا يشكر الكثير، ومنَ لا يشكر النّاسَ لا يشكر الله، والجماعةُ بَرَكة، والفُرقةُ عذاب**» [صحيح الجامع/ ٣٠١٤].

كان التابعيّ أبو إدريس الخَوْلانيّ رحمه الله يقوم الليل؛ حتى تتورَّم قدماه، ويقول:

(واللّه؛ لنُنافِسنَّ أصحابَ مُحمّدٍ ﷺ على مُحمّدٍ؛ حتَّى يَعْلَموا أنّهم خَلَّفوا وراءَهم رجالاً).

[صفة الصفوة].

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله؛ أمّا بَعد..

فهذا الكتابُ يحملُ في طيّاته رسائلَ مُوجَزة، وكلمات مختصرة؛ جمعْتُها لتكون مُتعة وتشويقاً للحاجِّ والمعتمر، وسَميراً ومؤنساً لمن أمَّ البيْت الحرام يبتغي رضوان الله والجنان، لم أذْكر فيه تفاصيل أعمال الحجّ والعمرة، والأحكام الفقهيّة المتعلِّقة بهما؛ إنّما ذَكرتُ ما فيه التّشويق والتَّرغيب لهذه المناسك وتلك المشاعر؛ فهو للرقائق والرَّوحانيات أقرب منه لغيره.

ذكرتُ فيه بعض الإرشادات والنّصائح، وشيئاً من الأدعية والأذكَار، وصُوراً من سير الصَّالحين والأخيار، والنَّافعَ المفيد من القصص والأخبار، ونفائس الفتاوى والمسائل؛ لمناسبتها للمقام، وحصول المراد.

ذكرتُ فيه ما يَبعثُ في النّفس الهمّة العالية؛ لاغتنام دقائق العمر الغالية؛ للاستعداد والتزود للدار الآخرة، وأوردتُ فيه ما يُقرِّب المرءَ من خالقِهِ، ويحبّبه إلى مولاه ورازقه سبحانه وتعالى.

باختصار؛ نريد أنْ نرتقي بأنفسنا وذواتنا إلى أعلى المراتب وأرفع المنازل. **نريد أنْ نكون أولياءَ لله صادقين ربَّانيين.**

نريد أن نكون ممن قال الله تعَالى في وصفهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

فهذا زادكم -أيّها السّائرون إلى الله-؛ اقتبسناهُ من الكتاب والسُّنّة وأقوال سَلف الأُمّة وعلمائها، من أخذَ به أخذ بحظٍّ وافِر، ومن قصّرَ؛ فلا يلومنّ إلا نفْسَهُ. والله الموفِّقَ لا ربَّ سِواه.

ثم بدا لي أنْ أُلحق الكتابَ بمختصرٍ لأعمال الحجّ والعمرة، إتماماً للفائدة وزيادةً في الخير، وقد وجدتُ الشيخَ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ أجادَ وأفاد في هذا الباب، فجعلتُ كلامه في آخر الكتاب.

وحَرصتُ ـ كلَّ الحرص ـ على أنْ لا أَنقلَ من الأحاديث النَّبويّة إلا ما صحّ عن النّبيِّ ﷺ، كيف لا؛ **وقد حدَّث سَمُرة بنُ جُندب عنه عليه الصلاة والسلام أنّه قال**: «من حدَّث عنّي بحديث يُرى أنّه كَذب؛ فهو أحدُ الكاذبين» أخرجه مسلم. **وكان مَرجعنا في الحُكم على الأحاديث**؛ أَحكامُ الشّيخ محمد ناصر الدّين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال كُتبه وتحقيقاته.

وأسألُ الله أنْ يتقبّلها خالصةً لوجهِهِ الكريم، وأنْ ينفعَ بها، إنّه خيرُ مسؤول، وأكرمُ مأمول.

هذا ما يسّرَ اللهُ من جمعِه وإعدادِهِ، فما كان من توفيقٍ؛ فمن الله وحدَه، وما كان من خطأ أوتقصيرٍ؛ فمن نفسي والشيطان، واللهُ ورسولُه ﷺ منه بَراء.. **وسمَّيتُه**: «حِصْنُ المُسَافِرِ إِلَى بِلَادِ الأَشْوَاحِ».

والحمدُ للّه الذي بنعمتِه تتم الصالحات

حنينُ المشتاق

مشتاقٌ إلى خالقِه وسيّدِه ومولاهُ، مشتاقٌ إلى عفوهِ وكرمهِ ورضاه، برغم تقصيره وكثرة ذنوبه وخطاياه، فواللهِ ما حَنَّ القلبُ إلى شيء سواه، ولا تعلَّق بشيء عَدَاهُ.

نسينا في ودادِكم كلّ غال ... فأنتمُ اليومَ أغلى ما لدَينـــا

يَحارُ ـ والله ـ القلبُ واللسانُ في وصف الشّوق والحنين إلى تلك البِّقاع المنيفة والفِجاج الشّريفة، ويا لها من مشاعر في تلك المشاعر، ولو تأمّلتَ حال العابد النّاسك في تلك المناسك؛ لراعَك ما ترى، وهالك المنظر! ولتبددت أحزانُك وأشجانك؛ وأنت ترى جُموعَ النّاس مِن كلِّ حَدبٍ وصوب، ومن كلِّ فجٍّ عميق، على اختلاف الأشكال والألوان واللغات والهيئات والجنسيات في تلك العرصات المقدَّسة، همّهمُ الأوحد أنْ يرضى عنهم الله، وتُغفرَ الذُّنوب، وتُعتق الرِّقاب من النيران.

فاللهمَّ لا تردَّ الحجّاجَ والعُمّار خائبين، ولا من باب رحمتك مطرودين.

إنّ الملوكَ إذا شـابت عبيدُهم ... في رِقهم عتقوهـــم عِتـق أبرار
وأنت يا خالقي أولى بذا كرمـــاً ... قد شِبتُ في الرِّقّ فأعتقني من النار

✍ **قال ابنُ الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإني كنتُ أتوقُ إلى مكةَ قبل الحجِّ، فداويتُ هذا الدَّاءَ بالقصد، فزاد الشَّوقُ بَعد الرّجوع على الحدِّ، وعلِمتُ أنّ كثرة الترداد لا تزيد إلا شوقاً، كما أنّ لُقيا المحبوب لا تزيد نارَ الوَجد إلا وقداً، ثمّ إني صادفتُ من هو أشوق مني، فشغلني ما رأيتُ من وَجْدِه عنّي، فاتفقنا في أصل الشّوق وافترقنا في التّوق).

[مُثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن].

من لم يبت والهمُّ حَشــو فــؤادِهِ لم يدرِ كيف تفطّــر الأكبــاد

سرُّ الحُبِّ

للحبِّ أسرارٌ وأسرار، وللوله والصبابة في قلب المُتيّم مستودع للأخبار، ولمكة والمدينة لوعةٌ واشتياق، تسكنُ قلوبَ الموحّدين والأعماق؛ فحُبّهما بَحرٌ لا ساحل له ولا يُدرك قعرُه، واسألِ المحبِّين يُخبروك.

هذا ابنُ بطوطه في كتابه «تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» يَصفُ اشتعالَ القلوب بُحبّ هذه البقاع فقال:

(من عجائبِ صُنع الله تعالى؛ أنّه طبعَ القلوبَ على النُّزوع إلى هذه المشاهد المنيفة، والشّوق إلَى المثول بمعاهدِها الشريفة، وجعل حبّها متمكناً في القلوب، فلا يحلّها أحد إلا أخذت بمجامع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفاً

لفراقها، متولِّهاً لبعاده عنها، شديد الحنين إليها، ناوياً لتكرار الوفادة عليها، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبّتها حشو القلوب، حكمة من الله بالغة، وتصديقاً لدعوة خليله عليه السلام. والشّوق يحضرها وهي نائية، ويمثلها وهي غائبة، ويَهونُ على قاصدها ما يَلقاه من المشاق ويُعانيه من العناء.

وكم من ضعيف يرى الموتَ عَياناً دونها، ويشاهد التَّلفَ في طريقها، فإذا جَمعَ اللهُ بها شمله؛ تلقّاها مسروراً مُستبشراً، كأنَّه لم يَذق لها مرارة، ولا كابد محنة ولا نَصباً؛ إنه لأمرٌ إلهيّ، وصنعٌ ربّاني، ودلالةٌ لا يَشوبُها لبس، ولا تغشاها شُبهة، ولا يطرقها تمويه، وتعزّ في بصيرة المستبصرين، وتبدو على فكرة المتفكرين، ومن رزقه الله تعالى الحلول بتلك الأرجاء، والمثول بذلك الِفناء؛ فقد أنعَمَ اللهُ عليه النّعمة الكبرى، وخوَّلَه خير الدّارين: الدُّنيا والأخرى، فحقٌّ عليه أنْ يُكثرَ الشّكر على ما خوّله، ويديم الحمد على ما أولاه) أ. هـ.

لا تعذل المشتاقَ في أشواقِه ... حتَّى يكونَ حشاكَ في أحشائه
إنَّ القتيلَ مُضَرَّجاً بدمُوعه ... مثلُ القتيل مُضَرَّجاً بدمائـــه

✍ **ومما قال ابنُ القيّم** رحمه الله **في «ميميّته» الرائعة، وهو يَصفُ تلك المشاعر:**

ولله أنفـاسٌ يكـادُ بِحَرِّهـــا ... يذوبُ المُحِبُّ المُستهَـامُ المُتيَّـمُ
فلمَ تـرَ إلا باهِتـاً مُتَحيـــراً ... وآخرَ يُبدِي شجـوَهُ يَترنّـــمُ
رحلتُ وأشواقي إليكم مُقيمةٌ ... ونارُ الأسى منِّي تَشُبُّ وتَضْرمُ
أودّعُكم والشّوقُ يُثني أعنّتـي ... وقلبيَ أمسى في حماكم مُخيّـمُ

المراد

المقصودُ والمرادُ مِن هذا الكتاب؛ أنْ يَعيشَ الحاجُّ والمعتمرُ هذه الطّاعة بكامل أَحاسيسِه ومشاعرِهِ، مُهاجراً إلى خالقِهِ ومولاهُ بقلبه وروحِه وعقله وكيانه؛ لا أنْ يُؤدّيها بجسده وجوارحه، وعقلُهُ مُشتّت مشغولٌ هنا وهناك.

وقد وصفَ الشيخُ سلمان العودة في كتابه «افعل ولا حرج» هذا المرضَ والدَّاء فقال:

(وحين يَطولُ الأمدُ وتقسو القلوب؛ تتحوّلُ العبادات عند بعض المؤمنين إلى رسوم وعادات، يؤدّونها بمظاهرها وصورها، ولا يتحسَّسون قلوبَهم إثْرها؛ بل يغرقون في دقائقها وتفصيلاتها).

ولأنَّ الأمدَ طالَ، وقست القلوب، وجَفّت من العيونِ الدّموع، وغدت العباداتُ ـ عند كثيرين ـ عادات، والطّاعات حركات بلا معنى ولا روح؛ كتبتُ ما كتبتُ معتمداً على الله جلَّ في عُلاه.

نصيحة

هذه نصيحةٌ أُسدِيها وتذكرةٌ أُزجيها؛ لمن يرغبُ فعلَ طاعةٍ من الطّاعات وقُربةٍ من القُربات؛ أنْ يَسأل أهلَ الذِّكر وأَهل العلم عنها، وأنْ يقرأ ما تيسّر له من كُتب أهل السُّنّة قبل الشُّروع فيها؛ ليكون على عِلْمٍ وبصيرة، ويَزداد رَغبةً وشوقاً إليها؛ لأنّ العبادات توقِيفية؛ مَصدرُهَا الكتاب والسُّنّة، وليست بشرية اجتهاديّة، ولا يجوز أنْ نتعبّد لله ﷻ بعبادة لا دليلَ عليها من القرآن الكريم وصحيح السُّنّة النّبويّة.

والعملُ حتّى يكون مَقبولاً عند الله؛ لا بُدَّ أنْ يتوفرَ فيه شرطان، أولهما: الإخلاصُ لله ﷻ، وثانيهما: موافقةُ هدي الرسول ﷺ.

فاجعة

إنّي لأتألمُ غاية الألم، كلّما تذكرتُ ما قصَّه عليَّ شابٌ قائلاً: أَردتُ أنْ أطوف طواف الإفاضة وطواف الوداع عن نفْسي وعن أمي -كبيرة السِّنّ- فجمعتُ الأربعة طوافات؛ فجعلتها طوافاً واحداً ـ سبعة أشواط ـ طواف إفاضة ووداع عنّي وعن أمّي!!

ثم عادا إلى ديارهما، وبعد سنتين ماتت الأمّ.

تأمل كيف أفسَد حجَّ أُمِّه، يوم أنْ ترك ركناً من أركان الحجّ، وكان الأولى به أنْ يَسأل أهل العلم، فيرشدوه ويعلِّموه.

قال بعضُ السّلف: (ما عُصيَ اللهُ بذنب أَقبَح من الجهل).

فيا أخي؛ تَعلَّم وتفقَّه، لا تتردّد ولا تخجل مِن سؤال أَهل العلم؛ فتخسرَ وتندمَ، يوم يُردُّ عملك في وجهك، ولا يُقبل منك.

وانظر إلى هذا العابد المصلّي ماذا قال عنه النبيُّ ﷺ؛ لتعلم أنّ الطّاعات تحتاج إلى علم وبصيرة، واتّباع له ﷺ؛ فعن أبي عبد الله الأشعري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً لا يُتِمّ ركوعه، ويَنقرُ في سجوده وهو يُصلّي، **فقال رسول الله** ﷺ: «لو مات هذا على حالِهِ هذه؛ مات على غير مِلَّة محمّد ﷺ!».

ثم قال ﷺ: «مَثلُ الذي لا يُتمّ ركوعه، ويَنقر في سجوده؛ مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا تغنيان عنه شيئاً» [صحيح الترغيب/ ٥٢٨].

ولكَ أنْ تدركَ خطر العبادة من غير علم وبصيرة واتّباع للنبيّ ﷺ من

خلال هذا الحديث الصحيح الذي لا يَعرفهُ كثير من النّاس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه **أنّ النبيَّ** ﷺ **قال**: «إنّ الرّجل ليُصلي ستين سَنة، وما تُقْبل له صلاة؛ لعلَّه يُتمُّ الرُّكوع ولا يُتمُّ السجود، ويُتمُّ السجود ولا يُتمُّ الرّكوع» [صحيح الترغيب/ ٥٢٩].

وتأمّل في صلاة النّاس؛ تجد عَجباً عُجاباً ! والله المستعان.

وأُذكِّرُكَ ـ أيّها الحبيب ـ **بقوله** ﷺ: «من يُرد اللهُ به خيراً؛ يُفقّهه في الدِّين» رواه البخاري.

أين أنت من القرآن؟

القرآنُ الكريم؛ كلامُ الله تعالى، من تمسّك به نجا، ومن تركَهُ هلك، فضائلهُ كثيرةٌ، وأجرهُ موصول ممدود، نورٌ لقارئه في الدُّنيا، وذخرٌ له في الآخرة، ولا يتسعُ المجالَ لذكر فضائله؛ لكننا نرشدُكَ إلى سور وآيات لا تأخذُ قراءتها وقتاً، ولكنّ فضلها تعجز عن وصفه الأقلام، **ويكفينا حديثَ الرسول** ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه». [البخاري].

سورة الإخلاص..سُننٌ مَنْسيّة، وكنوزٌ مهجورة، وأُجورٌ ضائعة؛ مع أنَّها سهلةٌ ميسورةٌ، فخيرُ الله يفيضُ ولا يَغيضُ، وبحرُ جوده لا ينقطع، وبابهُ لا يُغلق في وجه من يطرقه.

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ فكأنّما قرأ ثُلث القرآن» [صحيح الجامع/ ٦٤٧٣].

التوبة أولاً

لا بُدّ للمسلم من التَّوبة في كلِّ حين والإكثار من الاستغفار، فالتَّوبة واجبة من كلِّ ذنب وتقصير، وحتى تكون التوبة صادقة؛ لا بُدَّ لها من شروط وهي: الاقلاع عن الذّنب، والنّدم على ما كان منه، والعزم على ألا يعود إليه، هذا إنْ كان الأمرُ بين العبد وخالقه، وإنْ كان في حقِّ العباد لزِمهُ شرطٌ رابع وهو: التّحلّل من حقوق العباد، وردّ المظالم إلى أهلها، **قال رسول الله** ﷺ: «من كانت عنده مَظلَمة لأخيه، فليَتحَلّلهُ منها، فإنّه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، من قبل أنْ يُؤخذَ لأخيه من حسناته، فإنْ لم يكن له حسنات، أُخذَ من سيئآت أخيه؛ فطُرِحت عليه» رواه البخاري.

قال ابن القيّم رحمه الله: **(للعبد سترٌ بينه وبين الله، وسترٌ بينه وبين النَّاس، فمن هَتَكَ السِّترَ الذي بينه وبين الله؛ هَتَكَ اللهُ السِّترَ الذي بينه وبين النَّاس)** [الفوائد].

واعلم أنّه مهما بلَغَ الذَّنب وكَبُر، فإنَّ عفو الله وغفرانه أكبر؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

فيا مولاي سامحني وخفّف ... حسابَك يا كريمَ المنِّ عنّا
نُقيمُ على الذُّنوب بلا حياءٍ ... ويُبصرُنا المهيمنُ حيثُ كنّا

قبل أن تُقرِّر !! المالُ الحلال

أُمرَ الحاجُّ أنْ يأخذ أُهبَتَه لحجِّه وعمرتِه، وأنْ يتزودَ لسفره، وعُـدّ ذلك من الاستطاعة، **فعن عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما **قال:**

كان أهلُ اليمن يحجّون، ولا يَتزودون، ويقولون: نحن المتوكِّلون، فإذا قَدِموا مكة؛ سألوا النّاسَ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البخاري].

وحتّى يكون الحجُّ -أو العمرة- مَقبولاً عند الله؛ لا بدَّ من استصحاب مالٍ طيّبٍ من كسبٍ حلال، والبُعد عن كلّ نفقة من كسبٍ حرام.

يَحُجون بالمال الذي يَجمعونه ... حراماً إلى البيت العتيق المحرّم
ويَزعم كلٌّ أنْ تحـطّ رحالهم ... تُحَـطُّ ولكن فوقهم في جهنّـم

وكلّ نفقة يَبذلها المسلمُ يبتغي بها رضوان الله عز وجل، هي سببٌ لدخول الجنّة، وما يُقدِّمه الحاجُّ والمعتمرُ من مالٍ ونفقة، فمذخورٌ له يجده عند الله تعالى، يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون؛ **فعن عائشة** رضي الله عنها **أنّ رسول الله** ﷺ **قال لها في عمرتِها:**

«إنّ لك من الأجر على قَدْرِ نَصَبِك، ونفقتك».

وفي رواية: «إنّما أَجرُك في عُمرتك على قَدْرِ نفقتك» [صحيح الترغيب/ ١١١٦]. والنّصَب: التعب.

إذا حجَجْتَ بمال أصله سُحت ... فما حجَجْتَ ولكن حجّتِ العيرُ
لا يَقبـلُ اللهُ إلا كلّ صالحـةٍ ... ما كلُّ من حجّ بيتَ الله مبـرورُ

✍ **قال أبو الشعثاء** رَحِمَهُ اللَّهُ: (نظرتُ في أعمال البِرِّ فإذا الصلاة تُجهدُ البدن، والصوم كذلك، والصدقة تُجهدُ المال، والحجّ يُجهدُهما؛ فرأيتُ الحجّ أفضل من ذلك كلّه) [لطائف المعارف].

✍ وإنّ من موانع إجابة الدّعاء المالُ الحرام، **روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنّ النّبيَّ** ﷺ **قال:**

«أيّها الناسُ؛ إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يَقبلُ إلا طيِّباً، وإنَّ اللهَ أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ به المرسَلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ ثمَّ ذكرَ الرَّجلَ يُطيلُ السَّفر أَشعثَ أغبرَ، يَمدُ يديه إلى السَّماء يا ربِّ يا ربِّ، ومَطعَمُه حَرَامٌ، ومشرَبُه حَرَامٌ، وملبسُه حَرَامٌ، وغُذِي بالحرام؛ فأنّى يُستجَابُ لذلك».

نِعم المال الصالح للعبد الصالح

يَنبغي للحاجِّ والمعتمر أنْ يَتزودَ من المال ما يكفيه؛ بل ويَفْضُلَ عن حاجته، ليُعِينَ إخوانه ويُحسن لرفقائه، ويُنفق في وجوه الخير والبِرِّ.

فعن صهيب الرُّومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **: أنّ رسول الله** ﷺ **قال:** «خيارُكم من أطعمَ الطّعام» [الصحيحة/ ٤٤].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أنّ رجلاً سألَ رسولَ الله** ﷺ**: أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال:** «تُطعم الطَّعام، وتَقرأُ السَّلام على من عَرَفتَ ومن لم تَعرف» متفق عليه.

و: «نِعم المالُ الصّالح للعبدِ الصّالح» كما قال ﷺ. [صحيح الأدب المفرد].

فهمٌ خاطئ

يَظنُّ بعضُ النّاس أنّ من يَسرق ويتصدّق؛ يأثم بالسرقة ويُؤجَر بالصدقة، وهذا فهمٌ خاطئ، فالمالُ الحرام والكسبُ الخبيث، لا يُتقرَّبُ به إلى الله؛ لأنه سبحانه وتعالى طيِّبٌ ولا يَقْبل إلا طيِّباً. ومن ذلك نفقةُ الحجِّ والعمرة.

والنيَّة الصَّالحة لا تُسوِّغ العمل المحرّم ولا تُحِلُّه، ولله درُّ الشّاعر يوم أن قال مُخاطباً تلك المرأة التي كانت تزني وتدافع عن فعلها وفُحشها؛ بأنها تنفق وتتصدّق على أيتام، فقال:

أمُطعمتَ الأيتام من كدِّ فرْجِها لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

صدقة عظيمة

تلك هي التي يُقدِّمها المسلم لتجهيز حاجٍّ أو معتمر؛ **قال رسول الله** ﷺ: «من جَهَّزَ غازياً، أو جَهَّزَ حاجّاً، أو خلَفه في أهله، أو فطّر صائماً؛ كان له مثلُ أجورِهم من غيرِ أنْ ينقُصَ من أجورهم شيء».

[صحيح الترغيب/ ١٠٧٨].

ومما جاء في الصدقة وأثرها بعد الوفاة قوله ﷺ: «سبعٌ يجري للعبد أجرُهنَّ وهو في قبره بعد موته: مَن علَّمَ عِلماً، أو أجرى نَهراً، أو حفرَ بئراً، أو غرسَ نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورَّثَ مُصحفاً، أو ترك ولداً يَستغفرُ له بعدَ موته» [صحيح الجامع/ ٣٦٠٢].

وقال ابنُ القيّم رحمه الله: (إنّ للصدقة تأثيراً عَجيباً في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم؛ بل كافر، فإنّ الله تعالى يَدْفعُ بها أنواعاً من البلاءِ، وهذا أمرٌ مَعلومٌ عند الناسِ خاصّتهم وعامّتهم، وأهلُ الأرض كلّهم مُقرُّون به؛ لأنّهم قد جرَّبوه) [الوابل الصيّب].

قصة

قال عليُّ بن الحسن بن شقيق: كان ابنُ المبارك إذا كان وقت الحجّ، اجتمع إليه إخوانه من أهل (مرو) فيقولون: نصحَبُك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويُقفل عليها، ثم يكتري لهم [أي: يستأجر]، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال يُنفق عليهم، ويُطعمهم أطيبَ الطعام، وأطيبَ الحلوى، ثمّ يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتّى يَصِلُوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فيقول لكلِّ واحد: ما أمرَكَ عيالك أن تشتري لهم من المدينة؟ فيقول: كذا وكذا.

ثمّ يُخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حَجَّهم، قال لكلِّ واحد منهم: ما أمرك عيالك أنْ تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال يُنفق عليهم إلى أن يَصيروا إلى مرو، فيُجصِّص بيوتهم وأبوابهم [أي: يزخرفها]، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمةً وكساهم، فإذا أكلوا وشربوا، دعا بالصّندوق ففتحه، ودفع إلى كلِّ رجل منهم صُرّتَه [كما هي]، بعد أنْ كتب عليها اسمه. [سير أعلام النبلاء].

أحسِنْ إلى النَّاس تستعبد قلوبَهم ... فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
أحسِنْ إذا ما كان إمكانٌ ومقدرةٌ ... فلن يدومَ على الإنسان إحسانُ
ومن على الدّهر مِعواناً لذي أمل ... يرجو نَداك فإنّ الحُرَّ مِعوانُ
من جادَ بالمال مالَ النّاسُ قاطبةً ... إليه إليه والمالُ للإنسان فتّانُ

لله درُّكَ يا ابنَ المبارك ! تُنفِقُ على الحجيج من مالِكَ، وتشتري هدايا لأهليهم وأحبابهم !! فماذا يقول من يبخل على نفسه، ويتتبع مواطن الصدقات وهو مُقتَدِرٌ؟!

ابن المبارك مرة أخرى

خرجَ عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ **إلى الحجّ مع جماعة**، وبعد مسيرهم مرحلة؛ خرج في الصباح من الخيمة، فوجد صَبيَّةً أتت إلى مطرح القمامة، وأخذت منها دجاجة مُلقاة ميتة وذهبت بها !! فتبعها عبد الله؛ فوجدها دخلت في خيمة مهلهلة [قديمة]، وفيها ولد صغير !

فقال لها: لم أخذت الدَّجاجة الميتة؟! قالت: أنتم رميتموها؟ قال: ألا تعلمين أنّه لا يَحِلُّ أكلها؟ فقالت: إنها تَحِلُّ لنا؛ لشدّة فقرنا !

فذهب عبد الله بن المبارك إلى وكيله وقال له: ما الذي معك؟ قال: ألف دينار. قال: أبق ما يُوصلنا إلى بلدنا، وادفع للأنثى الباقي، وسنحُجّ في العام المقبل إنْ شاء الله !!!

قال سفيان بن الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ: كنتُ جالساً عند إياس بن معاوية، فمرَّ رجلٌ، فنِلتُ منه، فقال: اسكُت.ثمّ قال لي:

سفيان ! هل غزوتَ الرومَ؟ قلتُ: لا، قال: غزوتَ التُّرك؟ قلتُ: لا.

قال: سَلِمَ منك الرومُ وسَلِمَ منك التُّرك، ولم يَسلَمْ منك أخوك المسلم؟!

قال سُفيان: فما عُدتُ إلى ذلك بعدُ.

السفر
آداب وأحكام

قبل أنْ تَخرجَ من بيتكَ

تذكر قَبلَ أنْ تَخرجَ من بيتك أنْ تُصلّي ركعتين، ولك أنْ تُدرِكَ أَهميتهما من خلال حديث النَّبيِّ ﷺ الذي يقولُ فيه:

«إذا خرجتَ من منزلك فصلّي ركعتين؛ تمنعانِك مخرجَ السُّوء، وإذا دَخلتَ منزلكَ فصَلّ ركعتين؛ تمنعانِك مدخلَ السُّوء».

[صحيح الجامع/ ٥٠٥]

السّفر آدابٌ وأحكام

بين يدي السفر

السَّفرُ وما أدراكَ ما السَّفرُ؟ مكابدةٌ وعناء، مشقةٌ وابتلاء، عطشٌ وجوع، سهرٌ وقِلّة نوم، هجرٌ للأهل والأوطان، طريقٌ طويل، حدودٌ وجنود، آهاتٌ وأنّاتٌ، **وصَدَقَ النّبيُّ ﷺ يوم أنْ وصفه فقال**: «السَّفرُ؛ قطعةٌ من العَذاب، يمنعُ أَحدكم طعامَه وشرابَه ونومَه» متفق عليه.

والمسافرُ يحتاجُ إلى ما يُخفِّفُ عنه هذا العَناء وذاكَ البلاء؛ فهذه بشائر ربّانية، وكنوز نبوية، ونفحاتٌ إيمانية؛ نذكّرك بها بين الفَينة والأخرى؛ فهي واحةٌ للمؤمن، واستراحةٌ للموحِّد؛ لتؤنسه في الطريق، وتكون زاده ليوم معاده، والله الموفق لا ربَّ سواه.

الاستخارة

الاستخارةُ ليست للحجِّ ولا للعمرة، فالطَّاعات لا تحتاج إلى صلاة استخارة؛ ولكن الاستخارة للزمان والصُّحبة.

✍ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذه الاستخارة لا ترجع إلى نفس الحجِّ، فإنّه خيرٌ لا محالَة، وإنما ترجعُ إلى تعيين وقت الشروع فيه وتفاصيل أحواله).

✍ **عن جابر بن عبد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال: كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلّها كما يُعلّمنا السورةَ من القرآن، يقول:**«إذا همَّ أحدُكم بالأمر؛ فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليَقُل:

اللهمَّ إنّي أَستخيرُكَ بعلمك، وأستقدرُكَ بقدرتك، وأسألكَ من فضلك العظيم؛ فإنّك تقدرُ ولا أقدرُ وتعلَمُ ولا أعلم، وأنت عَلّام الغيوب.

اللهمَّ إنْ كُنتَ تعلم أنّ هذا الأمر خيرٌ لي في دِيني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله ـ فاقدرهُ لي، ويسِّره لي، ثم بارك لي فيه. وإنْ كُنتَ تعلمُ أنّ هذا الأمر شرٌّ لي في دِيني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عنّي واصرفني عنه، واقدُر ليَ الخيرُ حيث كان، ثمّ أرضني به، ويُسمّي حاجتَهُ» [البخاري].

الصحبة في السفر

الصحبةُ لها تأثيرٌ كبير، فالصاحبُ ساحب، والقرينُ بالمقارن يَقتدي، وقل لي من تصاحب؛ أقل لكَ من أنت.

وقد أرشدنا النّبيُّ ﷺ إلى هذا الأمر حين قال: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامَك إلا تقي» [صحيح الجامع / ٧٣٤١].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على صُحبَةِ من يَدُلُّهم على الله ويرشدهم للخير، **قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حجّ النبيّ ﷺ:** فقَدِم المدينة بَشَرٌ كثير؛ كلّهم يَلتمِسُ أنْ يأتمَّ برسول الله ﷺ، ويعمل بمثل عمله. [صحيح أبي داود/ ١٦٦٣].

قال يوسف بن حسين: قلت لذي النون في وقت مفارقتي له: من أجالس؟

قال: عليك بصحبة من تُذكرُك الله رُؤيتُه، وتقع هيبته على باطنك، ويزيدُ في عملك منطقُه، ويُزهِدُكَ في الدّنيا عمله، ولا تعصي الله ما دُمتَ في قُربه، يَعِظُك بلسان فعله، ولا يَعِظُك بلسان قوله. [مختصر صفة الصفوة].

فاصحَب.. التّقي النّقي، العفيفَ الورع، من لا يغتاب ولا يَنمّ، الذي يُسدي إليك النصيحة، ويُعينك على ترك الأمور القبيحة.

اصحَب.. من يُقيلُ عثرتكَ، ويسترُ عورتك، ويحفظُ سِرَّكَ، ويُعينك على طول الطَّريق ونوائب السفر.

✍ **قال أبو عُوانة**: رأيتُ محمد بن سيرين مرَّ في أصحاب السُّكَّر، فجعل لا يَمرُّ بقوم؛ إلا سبَّحوا وذكروا الله ﷻ. [تاريخ دمشق].

أقول: وإذا ظفرت بمثل هذا؛ فأنت السَّعيد الموفّق؛ فاشدد به يديك، وعُضَّ عليه بالنواجذ، **فقد قال رسول الله** ﷺ: «أولياءُ الله؛ هم الذين يُذكرُ اللهُ لرؤيتهم» [الصحيحة/ ١٦٤٦].

✍ وينبغي للمسافر أنْ يبذل ما بوسعه لخدمة إخوانه ومساعدتهم، **قال مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ: صحبتُ ابنَ عمر وأنا أريد أنْ أخدمَهُ؛ فكان يخدمني أكثر. [مثير الغرام الساكن].

تَغرَّب عن الأوطان في طلبِ العُلا ... وسافر ففي الأسفار خمسُ فوائد
تفريـجُ همٍّ واكتسـابُ معيـشـة ... وعلم وآداب وصُـحبة ماجـــد

قصة...

قال مِخْوَل: جاءني بَهِيْمٌ العِجْلِيُّ يوماً فقال: تَعلَمُ لي رجلاً من جيرانك أو إخوانك يُريد الحجَّ ترضاهُ يرافقني؟ قلت: نعم. فذهبت إلى رجل من الحيّ له صلاح ودِين فجمعت بينهما واتفقا على المرافقة. ثم انطلق بَهِيْمٌ إلى أهله، فلما كان بَعْدُ أتاني الرّجل فقال: يا هذا أحبّ أن تعتذر لصاحبك وتطلب رفيقاً غيري. فقلت: لِمَ؟ فوالله ما أعلم في الكوفة له نظيراً في حُسن الخُلق والاحتمال، ولقد ركبتُ معه البحر فلم أر إلا خيراً.

قال: حُدّثت أنه طويلُ البكاء لا يكادُ يفتر، فهذا يُنغِّص علينا العيش سفرنا كلّه! قلت: إنما يكون البكاء ـ أحياناً ـ عند التذكرة؛ يَرِقُّ القلب فيبكي الرّجل، أوَما تبكي أنت أحياناً؟ قال: بلى؛ ولكنه قد بلغني عنه أمر عظيم جداً من كثرة بكائه.

قلت: اصحبه فلعلّك أن تنتفع به. قال: أستخيرُ الله.

فلما كان اليوم الذي أرادا أن يخرجا فيه جيء بالإبل ووطئ لهما؛ فجلس بَهِيْمٌ في ظلّ حائط فوضع يده تحت لحيته، وجعلت دموعه تسيل على خدّيه، ثمّ على لحيته ثمّ على صدره؛ حتى ـ والله ـ رأيتُ دموعه على الأرض.

فقال لي صاحبي: يا مخول؛ قد ابتدأ صاحبك، ليس هذا لي برفيق. قلت: ارفق، لعلّه ذكرَ عياله ومفارقته إيّاهم فَرَقَّ.

وسمعهما بَهِيْمٌ فقال: يا أخي والله؛ ما هو بذاك، وما هو إلا أني ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة، وعلا صوتُه بالنَّحيب.

قال مخول: وكان جاري الذي سيرافق بَهِيْماً طويل الحجّ، رجلاً صالحاً، إلا أنه كان رجلاً تاجراً موسراً مُقبِلاً على شأنه، لم يكن صاحب حُزن ولا بكاء.

قال: فخرجا حتى حجّا ورجعا، ما يرى كل واحد منهما أن له أخاً غير صاحبه. فلما جئت أسلّم على جاري، قال لي: جزاك الله عنّي خيراً؛ ما ظننت أنّ في هذا الخَلْق مثل أبي بكر بَهِيْمٌ العجلي، **كان يتفضّل عليَّ في النّفقة وهو مُعْدَم وأنا موسر، ويتفضّل عليَّ في الخدمة وأنا شابٌ قويٌّ وهو شيخٌ ضعيفٌ، ويطبخ لي وأنا مفطر وهو صائم.**

قلت: فكيف كان أمرك معه في الذي كنت تكرهه من طول بكائه؟ قال: أَلِفْتُ ذاك البكاء وسُرَّ قلبي؛ حتى كنت أساعده عليه، حتى تأذى بنا رفقاؤنا، ثم أَلِفوا ذلك فجعلوا إذا سمعونا نبكي بكوا، وجعل بعضهم يقول لبعض: ما الذي جعلهم أولى بالبكاء منا والمصيرُ واحد؟ قال: فجعلوا يبكون ونبكي.

قال مخول: ثم أتيتُ بَهِيْماً فسلَّمتُ عليه وقلتُ: كيف رأيت صاحبك؟ قال: كخير صاحب، **كثير الذِّكر لله** ﷻ، **طويل التلاوة للقرآن، سريع الدّمعة، محتمل الهفوات للرفيق**، جزاك الله عنّي خيراً.

[صفة الصفوة/ بتصرف].

✍ ومن خلال تجربتي العَمليّة وجَدتُ الفَرقَ كبيراً، بين صحبة الصّالحين ومَن دُونهم.

✍ **قال ذو النون المصري** رحمه الله: (بصحبة الصّالحين تطيبُ الحياة، والخيرُ مجموعٌ في القرين الصَّالح؛ إنْ نسيتَ ذكَّرك، وإن ذكرتَ أعانك).

[مختصر صفة الصفوة].

✍ **قال محمّد بن يونس** رحمه الله: (ما رأيتُ للقلب أنفع من ذكر الصَّالحين) [صفة الصفوة].

✍ **وقال سفيان بن عُيَينة** رحمه الله: (عند ذِكر الصالحين؛ تتنزلُ الرَّحمة) [صفة الصفوة].

أقول: فكيف بمجالستهم وصحبتهم؟!

أُحبُّ الصَّالحين ولستُ منهم ... لعلّي أنْ أنـال بهم شفاعة
وأُكرهُ من تجارتـه المعــاصى ... ولو كنّا سَواءً في البضاعة

دعاءُ السفر

كثيرٌ من النّاس يَغفلُ عن هذا الدُّعاء؛ بل إنّ بَعضَهم إنْ تذكَّره، فإنّما يتذكّره بعد ساعات من بدء السّفر والانطلاق !

وقد كان مِن هديه ﷺ أنْ يقولَ عند السّفر:

«**اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، اللهُ أكبر** ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ **اللهمَّ إنّا نسألك في سفرنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى. اللهمَّ هوّن علينا سفرنا هذا، واطْوِ عنّا بُعدَه، اللهمَّ أنت الصاحبُ في السَّفر، والخليفةُ في الأهل. اللهمَّ إنّي أعوذ بك من وُعَثاء السّفر، وكآبة المنظر، وسُوءِ المنقلب في المال والأهل**».

وإذا رجعَ قالهنَّ وزاد: «**آيبون، تائبون، عابدون، لربِّنا حامدون**».

[مسلم].

وروى البخاريُّ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ كان إذا قفل [أي: رجع] من غزو أو حجّ أو عمرة، يُكبِّر على كلِّ شَرَفٍ [أي: مرتفع] من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعدَهُ، ونصر عبدَهُ، وهزم الأحزاب وحدَهُ».

المرأة والسّفر

المرأةُ درّةٌ مكنونةٌ وجوهرةٌ مصونةٌ، أمرَ الدِّينُ بحمايتها وحفظها، دلّت الآياتُ والأحاديثُ على هذا؛ ومن ذلك ألا تسافر من غير مَحرم يرعاها ويتولّاها، ويُدافع عنها ويحفظها من الشُّرور، **فعن ابن عباس** رضي الله عنهما **أنّه سمع النبيّ** ﷺ **يقول**: «لا يَخلُونَّ رجلٌ بامرأة، ولا تسافرنَّ امرأةٌ إلا ومعها محرم».

فقام رجل، فقال: يا رسول الله؛ اكتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا [أي كتبتُ اسمي مع الغُزاة] وخرجتْ امرأتي حاجّةً، قال: «اذهب فحجّ مع امرأتك» [البخاري].

قصة وعِبرة

ذَكَرَ الإمامُ ابنُ حزم رحمه الله **المتوفَّى سنة (٤٥٦ هـ) في كتابه «طوقُ الحمامة»:**

أنّ خمسة من النّساء سافرنَ وحججنَ من غير مَحرم [عُصبة نساء مؤتمنة!] وفي أثناء عودتِهن، راودهن أحدُ ملاحي السفينة، وفعل الفاحشة بهن واحدة بعد أخرى !!

فهذا جزاء من خالف أوامر الله ورسوله ﷺ، فلا قولٌ يُقَدَّم على قول الله وقول رسوله ﷺ، ولا حكم إلا للكتاب والسُّنّة؛ ونسأل الله أنْ يَستر أعراض المسلمين.

✍ **وحدَّثني أَحدُ مرشدي حملات الحجِّ والعمرة**؛ أنّ امرأةً جاءته تشكو من قريب لها يُراودُها عن نَفْسِها ويدعوها للفاحشة ـ والعياذُ بالله ـ في تلك البِقاع الطاهرة المقدَّسة !! فسألها المرشدُ: أين محرَمُك؟

قالت: أتيتُ من غير محرَم !!

أقول: هذا الرجل قريب؛ فكيف لو كان بعيداً؟!

أذكار وأدعية في السّفر

✍ الذِّكرُ رفيقُ المؤمن وسلوتُه في كلِّ حين؛ **قال جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما : كنّا إذا صعدنا كبّرنا، وإذا نزلنا سبَّحنا. رواه البخاري.

✍ وإذا ما نزلتَ مَنزلاً، أو استرحت في مكان؛ لا تنسَ أنْ تدعو كما **علَّمك الرسول** ﷺ **حيثُ قالَ**:

«من نزلَ منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التّامات من شرِّ ما خلَق؛ لم يَضرّه شيء حتّى يرتحل من منزله ذلك» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال**: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله؛ ما لقيتُ من عقرب لدغتني البارحة ! فقال ﷺ: «أما لو قلتَ حين أمسيتَ: أعوذُ بكلمات الله التّامات من شرِّ ما خلق؛ لم تضرّك» [مسلم].

✍ **عن جابر** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «مَن قالَ: **(سُبحان الله العظيم وبحمده)**؛ غُرست له نَخلةٌ في الجنّة» [الصحيحة/ ٦٤].

من هدي السلف في اغتنام الأوقات

الوقتُ كالسَّيف؛ إنْ لم تقطعه قطعك، ونفْسُك إنْ لم تشغلها بالحقِّ؛ شغلتك بالباطل، الدقائق غالية ولا تتوقف، والعمر يمضي والأجل يقترب، ولا بدّ أنْ يُسأل المرءُ -**كما قال رسول الله** ﷺ-: «عن عُمُره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه» [صحيح الجامع/ ٧٢٩٩].

وكان من هدي الصحابة ومن سلك طريقهم؛ الحرص على الأوقات، واغتنامها خير اغتنام، فكان الواحد منهم يَعُدُّ كلامه عَدّاً، والآخر يحسب ساعاته وأيامه، وثالث لا يكاد ينام إلا نزراً يسيراً، ويقول: أمامنا نوم في القبور طويل.

لأجل ذلك؛ عمَّروا أوقاتهم بالطاعات، وشغلوها بالقُربات، فلا لهوٌ ولا لعب؛ بل جدٌّ واجتهاد، سهرٌ وقيام؛ صومٌ وصلاة، ذكرٌ ودعاء.

دقاتُ قلب المرءِ قائلةٌ له ... إنّ الحيـاةَ دقائقٌ وثوانِ

قَالَ الجريريُّ: أحرمَ أنس بن مالك رضي الله عنه من ذاتِ عِرق [ميقاتُ أهل العراق ومن مرَّ بها] قَالَ: فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله؛ حتى حلَّ، فقالَ له: يا ابن أخي هكذا الإحرام. [الطبقات الكبرى].

قال أنس بن عياض: (رأيتُ صفوان بنَ سُليم لو قيلَ له: غداً القيامة، ما كان عندهُ مَزِيد على ما هو فيه من العبادة) [صفة الصفوة].

وهذا الإمامُ الكبير ابن القيّم رحمه الله صاحب التصانيف والمؤلفات الرائعة، يؤلِّف كتابَهُ «زاد المعاد في هدي خير العباد» وهو في السفر، ولسانُ حالِه يقول:

والوقتُ أَنفسُ ما عُنيتَ بحفظه ... وأراهُ أسهلَ ما عليـك يضيعُ

حلية المسافر

إنّها الأخلاقُ الفاضلة والمعاملة الحسَنة، وما سُمِّي السَّفر سفراً؛ إلا لأنه يُسفر عن أخلاق النّاس، فعليكَ ـ أخي الحبيب ـ بحُسن الخُلق، والصَّبر وتحمّل الأذى، وتقديم الخير والإحسان للناس، فالأخلاقُ بها تُزيّن صحائف الأعمال، وتثقّل موازين الحسنات، فكن ـ بارك الله فيك ـ سهلَ العريكة، ليِّن الجانب، حَسنَ المعشر، لطيف العبارة. **قال رسول الله** ﷺ: «ألا أخبركم بمن يَحرُم على النّار، ومن تحرمُ النّار عليه؟! **على كلّ قريب هيّن سهل**» [صحيح الترغيب / ١٧٤٤].

وهذه بعض الأحاديث التي تذكُر ما لصاحب الأخلاق مِن فضل وأجر:

✹ لقي رسول الله ﷺ أبا ذر. فقال: «يا أبا ذر.. ألا أدلُك على خصلتين هما أخفُّ على الظهر، وأثقلُ في الميزان من غيرهما؟» قال: بلى يا رسول الله؛ قال: «عليك بحُسن الخلق، وطول الصّمت؛ والذي نفسي بيده ! ما عمِل الخلائق بمثلهما» [الصحيحة/ ١٩٣٨].

✹ **وعن أبي الدّرداء** رضي الله عنه **أنّ النّبيّ** ﷺ **قال**: «ما من شيء أثقلُ في ميزان المؤمن يوم القيامة؛ من خُلقٍ حَسنٍ» [صحيح الترغيب/ ٢٦٤١].

✹ وأحبُّ العباد إلى الله؛ من تزيّن وتجمّل بالأخلاق؛ **فعن أسامة ابن شريك** رضي الله عنه **قال**: كُنّا جُلوساً عند النّبيِّ ﷺ كأنما على رؤوسنا الطَّير، ما يتكلَّمُ منَّا مُتكلِّمٌ، إذ جاءَهُ أُناس، فقالوا: من أحبُّ عباد الله إلى الله؟ قال: «أحسَنُهم خُلقاً» [الصحيحة / ٤٣٢].

✹وصاحبُ الخُلق الكريم؛ يَحظى يوم القيامة بمحبّة النبي ﷺ ومجالسته وقربه؛ **فعن عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما **أنه سمع رسول الله** ﷺ **يقول**: «ألا أخبركم بأحبِّكم إليَّ، وأقربِكم مني مجلساً يوم القيامة؟» فأعادها مرّتين أو ثلاثاً قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «أحسنكم خُلقاً».

[صحيح الترغيب/ ٢٦٥٠].

إنـي لتُطرِبُني الـخِلالُ كريمـةً ... طرَبَ الغريبِ بأوبـةٍ وتـلاقي
وتـَهزُّني ذكرى المروءةِ والنـَّدى ... بين الشمـائل هِـزَّةَ المـشتـاقِ

من مكارم الأخلاق.. حِفظُ اللّسان ومراعاةُ الكَلام، **قال تعالى**: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، **وعن جابر بن سليم الهجيمي** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ:

«اتق الله، ولا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أنْ تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وأنْ تلقى أخاك ووجهك إليه مُنبسط، وإيّاك وإسبال الإزار، فإنَّ إسبال الإزار من المخيلة، ولا يحبّها الله، وإن امرؤٌ شتمك وعيَّرك بأمر ليس هو فيك، فلا تُعيِّرهُ بأمر هو فيه، ودَعْهُ يكون وبالُه عليه، وأجرهُ لك، ولا تسبنَّ أحداً» [صحيح الجامع / ٩٨].

وهذا صاحبُ رسول الله ﷺ **سلمة بن الأكوع** رضي الله عنه **يقول**: (كُنّا إذا رأينا الرَّجلَ يلعنُ أخاهُ؛ رأينا أنْ قد أتى باباً من الكبائر).

[الصحيحة/ ٢٦٤٩].

وكم من لئيم ودَّ أنّي شتمتـــه ... وإنْ كان شتمي فيه صابٌ علقمُ
ولَلكَفّ عن شتم اللئيم تكرُّمـاً ... أضرُّ له من شتمه حيـن يشتـمُ

فأمسِكْ ـ أيّها الغالي ـ لسانك واحفظه، وأقِلَّ الكلام؛ إلا من خير، واعلم أنّ غيبة النّاس وذكرَهم بالسّوء، ولعنهم والطعن فيهم؛ إثمٌ كبير وخطرٌ عظيم، يحصد الحسنات ويُبدد الطّاعات، يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾.

يشاركَ المُغتابُ في حسناته ... ويُعطيكَ أجرَي صومِهِ وصلاتِهِ
ويحملُ وزراً عنك ظنَّ بحمله ... عن النُجْب مـن أبنائـه وبناتـــه

✍ **قال الإمامُ الغزالي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قال بعض السَّلف: أَدْرَكنا السَّلفَ الصَّالح وهم لا يَرونَ العبادةَ في الصّوم، ولا في الصَّلاة؛ ولكن في الكَفِّ عن أَعراض النَّاس).

[إحياء علوم الدِّين].

✍ **قال أبو قلابة الرَّقاشي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(سمعتُ أبا عاصم يقول: ما اغتبتُ أحداً؛ مُذ عرفتُ ما في الغِيبة).

✍ **قال الحسنُ البَصريُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(والله؛ لَلغِيبةُ أَسرع في دِين الرَّجل من الأكلة في الجَسد).

✍ **قَال مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ **موصياً أحد طلابه:**

(إذا رأيتَ قساوة في قلبك، ووهناً في بدنك، وحِرماناً في رزقكَ؛ فاعلم أنك تكلَّمتَ فيما لا يَعنيك).

✍ **ويكفينا قول النّبيِّ** ﷺ: «**من صَمَتَ.. نجا**».

[صحيح الترغيب/ ٢٨٧٤].

رحمة وتخفيف على المسافرين

لأنّ السَّفر قطعةٌ من العناء والعذاب؛ خفّفَ اللهُ على عباده المسافرين أنواعاً من العبادات؛ رحمة منه وفضلاً، فرخّص لهم في الصلاة الجمعُ والقصر، فيجمع المسافر صلاتي الظهر والعصر ـ جمع تقديم أو تأخير ـ مع قصرهما من أربع إلى ركعتين، ويجمع بين المغرب والعشاء ـ جمع تقديم أو تأخير ـ فيصلّي المغرب ثلاثاً -كما هي- ويقصر العشاء؛ فيصلّيها ركعتين بدل أربع، والفجر تصلّى في وقتها ركعتين.

◄◄ ورُخِّص للمسافر أنْ يُفطر في رمضان، ويقضي مكانه.

خطأ كبير

تجد بعض المسافرين يُصلّي صلاة الفريضة في الحافِلة ـ جالساً ـ ظناً منه أنّ هذا جائز، نعم هو جائز، ولكن لصلاة النافلة دون الفريضة، **قال جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يصلّي على راحلته حيثما توجهت به، فإذا أراد أنْ يُصلي المكتوبة؛ نزلَ فاستقبل القبلة. متفق عليه.

والقيام في الصلاة -للمستطيع- ركنٌ من أركانها؛ **لقوله** ﷺ **لعمران ابن حصين** رضي الله عنه: «صلّ قائماً؛ فإن لم تستطع فعلى جَنْب». البخاري.

لكنْ إذا رفض سائقُ الحافلة التَّوقفَ؛ وخُشي خروجُ الوقت؛ صلّى الفريضة جالساً في حافلته حيثما توجّهت به.

إرشاد وتنبيه

مما عمّت به البَلوى في زماننا، انتشارُ الأغاني والمعازف؛ ومما زاد الطِّين بِلّة تلك الأغاني والنَّغمات التي تنبعثُ من أجهزة الهواتف المحمولة

(الجوّال) وكم من إمام تلعثم في صلاته، وكم من مُصلّ ذهب خشوعه وشوّش عليه؛ بسبب هذه النغمات الموسيقية والأغاني المحرَّمة.

ويقيني أنّ المسلم الحريص على دينه وإسلامه؛ لو يعلم أنّ الملائكة لا تصحبُ من يستمع لتلك النغمات، ولا تحفّه ولا تحوطه؛ ظنّي به أنّه سيمتنع عن سماعها، ويلغيها من هاتفه؛ **فعن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «لا تَصحب الملائكةُ رفقةً فيها كلب ولا جرس» [مسلم].

وعن عُقبة بن عامر رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:** « ما من راكبٍ يخلو في مسيره بالله وذكرِه؛ إلا كان رِدفَهُ مَلَك.. ولا يخلو بشِعْرٍ ونحوه؛ إلا كان رِدفَهُ شيطَان» [صحيح الجامع/ ٥٧٠٦].

نصيحة إلى مدخن

أُقدِّمها من أعماق قلبي، وكلّي أملٌ أنْ تستجيب لها، فيا من أبتُليتَ بالتدخين وتعلّقت به؛ هذا موسم عظيم، القلوبُ مهيّأة والنّفوسُ متعطشة لمرضاة الله، فالفرصة أمامك كبيرة لتترك التدخين، فضرره واضح، وخطره ليس بخافٍ على أحد؛ فاتركه لله، واعلم أنَّ: «من ترك شيئاً لله؛ عوّضه اللهُ خيراً منه» أخرجه أحمد وصحّحه الألباني.

✸ وتخيل.. يومَ أنْ تقفَ بين يدي الله وقلبك مفزوع يرتجف، لا تدري إلى أي الدّارين تصير، فيسألك الله -وهو أعلم- لماذا تركت الدُّخان؟ فتجيب: لأجلك يا ربّ ! فيقول لك: رضيت عنك؛ فادخل الجنة.

صفات الأولياء

ولأنّ الأولياء لهم ـ عند الله ـ المكانة العالية، والمنزلة الرَّفيعة؛ أحببنا أنْ نَذْكُرَ أوصافهم وشمائلهم، وحالَهم مع العبادات والطَّاعات؛ لعلّنا نقتدي بهم ونتأسى بفعالهم، **فوجدنا الشيخَ عائضاً القرنيّ قد كفانا المؤنة، وذكرَ شيئاً منها في كتابه الرّائع الذّائع «لا تحزن» فقال:**

(من صفاتِ الأولياء:

انتظارُ الأذان بالأشواق، والتهافتُ على تكبيرة الإِحرام، والوَلهُ بالصَّفِّ الأوّل، ومُداومة الجلوس في الروضةِ، وسلامةُ الصدرِ، وظهورُ مراسيم السُّنَّةِ، وكَثرةُ الذِّكر.

وأكلُ الحلال، وتركُ ما لا يَعني، والرِّضا بالكَفافِ، وتعلّمُ الوحي كتاباً وسُنّةً، وطلاقةُ المُحَيَّا، والتوجُّعُ لمصائب المسلمين، وتَركُ الخِلاف، والصّبرُ للشدائدِ، وبذلُ المعروف.

والتوسطُ في المعيشةِ أفضلُ ما يكونُ، فلا غنى مُطغياً ولا فقراً مُنسياً، وإنما ما كفى وشفى وقضى الغَرض، وأَتى بالمقصودِ في المعيشةِ، فهو أَجلُّ العيشِ عائدةً، وأحسنُ القوتِ فائدة.

والكفاية: بيتٌ تسكنهُ، وزوجةٌ تأوي إليها، ومركبٌ حسنٌ، وما يكفي من المالِ لسدِّ الحاجة وقضاء اللازم).

الحج والعمرة

قال ابنُ قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللهُ: (اعْلَم أنّه لا وصولَ إلى الله سبحانه وتعالى؛ إلا بالتَّجرّد والانفراد لخدمتِهِ، وقد كان الرُّهبانُ يَنفَردونَ في الجبال؛ طَلَباً للأُنس بالله، فجُعل الحجّ رهبانيّة لهذه الأُمّة).

[مختصر منهاج القاصدين].

الحجّ

إنّ الحديثَ عن الحجّ؛ حديثٌ عذبُ المذاق، جميلٌ رقراق، تطير بذكره فرحاً قلوبُ المحبِّين، وتبكي حنيناً وشوقاً إليه عيون الصادقين.

الحجُّ وما أدراكَ ما الحجُّ؟! ركنٌ عظيم من أركان الإسلام، وشعيرة من شعائر الدِّين الحنيف، وانقطاعه علامة من علامات الساعة، **قال رسول الله** ﷺ: «لا تقومُ الساعة حتى لا يحجّ البيْت».

[صحيح الجامع/ ٧٤١٩].

✍ ولله درُّ الحسن البصريِّ يومَ أنْ علَّقَ وجودَ الدِّين في قلوب النّاس بالصّلاة والحجِّ، وبيّن أنّ تركهما علامة انخلاع الدِّين من القلوب، **فقال** رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يزالُ النّاسُ على دِينٍ؛ ما حَجّوا البيْت، واستقبلوا القِبلة).

✍ بل إنّ بعض التّابعين تركَ الصلاةَ على تارك الحجِّ مع القُدرة، **قال سعيد بن جبير** رَحِمَهُ اللَّهُ: (مات جارٌ لي موسرٌ لم يحجّ؛ فلم أُصلِّ عليه).

[الكبائر للذهبي].

✍ والحجّ من القواعد التي بُني عليها الإسلام، ومن شعائره العظام؛ **قال رسول الله** ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمّداً رسولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ بيت الله؛ لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** ﷺ: «إنّ للإسلام صُوى [أعلامٌ يُهتدى بها] ومناراً كمَنار الطَّريق، منها: أنْ تُؤمن بالله ولا تُشركَ بهِ شيئاً، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيْت، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وأن تُسلِّم على أهلك إذا

دخلتَ عليهم، وأنْ تُسلِّم على القوم إذا مررتَ بهم، فمن تركَ من ذلك شيئاً؛ فقد تركَ سهماً من الإسلام، ومن تركهنّ كلّهنّ؛ فقد ولّى الإسلامَ ظهرَهُ» [الصحيحة/ ٣٣٣].

والحجُّ دعوةُ أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

وعن ابن مِرْبَع الأنصاريّ رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ **لأصحابه:** «قِفوا على مشاعركم هذه؛ فإنّكم على إرثٍ من إرثِ أبيكم إبراهيم» [صحيح الجامع/ ٤٣٩٤].

لك الحمدُ يا ربَّ الحجيج جمعتَهم ليوم ظهـور السّاح والعَرَصَات

شهادة

هذا رجلٌ ليس بمسلم، بل هو مُنصِّرٌ؛ أدركَ أهمية الحجّ وما له من قدْر ومكانة، وما يتولّد عن هذا الاجتماع الكبير والمؤتمر العظيم من عِزّة للإسلام والمسلمين **فقال:**

(سيظلُّ الإسلامُ صخرةً عاتية؛ تتحطّمُ عليها سُفنُ التّبشير؛ ما دامَ للإسلام هذه الدّعائم: القرآنُ، واجتماعُ الجمعة، ومؤتمرُ الحجّ).

فيا ليتَ قومي يَعلمونَ، وكما قال الأوَّلُ: والفضلُ ما شهدت بهِ الأعداءُ.

الحجُّ فَرضٌ واجبٌ فلا تؤخِّرهُ

احذر ـ أَخي الحبيب وأُختي الفاضلة ـ من التَّساهل والتَّراخي في أداء فريضة الحجّ، فالعُمرُ غفلة، والأيامُ عَجِلة؛ فمتى تهيّئت الأسبابُ، وتوفّرت الشّروطُ؛ فعجِّلوا وبادروا، وأَسرعوا وسابقوا؛ فإنّ المرءَ لا يَدري غداً ماذا يكون، والمستقبلُ غيبٌ لا يعلمه إلا الله.

قال الفُضيلُ بنُ عياض رحمه الله: **(إذا لم تقدِرْ على قيام الليل وصيام النهار؛ فاعلَمْ أنّك محرومٌ مُكبَّلٌ، كبَّلَتْكَ خطيئتُكَ)** [صفة الصفوة].

تأمّل هذه الآيات والأحاديث والآثار؛ ففيها الجواب الكافي والدّواء الشافي، **قال الله تعالى**: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ **وقال سبحانه**: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «التُّؤَدة في كلّ شيء؛ إلا في عمل الآخِرة» [صحيح الجامع / ٣٠٠٩].

عن الفضل رضي الله عنه **أنّ رسولَ الله** ﷺ **قال**: «من أراد الحجَّ فليتعجّل؛ فإنه قد يَمرض المريض، وتضلّ الضّالة، وتَعْرِضُ الحاجَة».

[صحيح الجامع/ ٦٠٠٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ:

«تعجّلوا إلى الحجَّ -يعني: الفريضة- فإنّ أحدكم لا يَدري ما يَعرض له».

[رواه أحمد/ صحيح الجامع/ ٢٩٥٧].

✍ **وعن ابن عمر** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «استمتعوا بهذا البيْت؛ فقد هُدم مرّتين، ويُرفع في الثالثة» [صحيح الترغيب/ ١١١٠].

✍ **قال أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه: (استكثروا من الطَّواف بهذا البيْت، قبلَ أنْ يُحالَ بينكم وبينه) [أخبار مكة للأزرقي].

✍ **قال أبو غالب: قَالَ لي ابنُ عباس** رضي الله عنهما: (أَدْمِن الاختلافَ [أي: السفر] إلى هذا البيت، فإنك إنْ أدمنتَ الاختلافَ إلى هذا البيت؛ لقيتَ الله عز وجل وأنت خفيفُ الظّهر) [أخبار مكة للفاكهي].

أي والله؛ لا يَدري الإنسانُ ما هي الظروف القادمة، وما يَطرأُ عليه من تغيِّر الزّمان وتقلّب الأحوال، فكم حِيل بين المسلمين وفرض الحجّ؛ بسبب المصائب والحروب، وسياسات الدول والنَّكبات.

إنذارٌ ووعيد

◈ **اسمع لهذا الوعيد الشديد الذي أطلقهُ أميرُ المؤمنين عمر ابن الخطاب** رضي الله عنه **حين قال:** (من أطاقَ الحجَّ، فلم يحجّ؛ فسواءٌ عليه مات يهودياً أو نصرانياً) [جامع الأحاديث].

ولم يكتف رضي الله عنه **بهذا؛ بل فكّرَ بأمر أَعظمَ فقال:** (لقد هممتُ أنْ أَبعثَ رجالاً إلى هذه الأمصار، فننظر كلّ من كانت له جِدَةٌ [قُدْرة] ولم يَحجّ، فيضربوا عليهم الجزية، ما هُمْ بمسلمين، ما هُمْ بمسلمين) [نصب الراية].

والجزيةُ إنما تؤخذ من الكافر، فتدبّر قولَ الفاروق وتأملهُ؛ تعْلم خطورة الأمر وشدّته.

◈ **وقال أبو أمامة** رضي الله عنه: (من لم يحبِسهُ مرضٌ أو حاجة ظاهرة أو سلطانٌ جائر فلم يحجَّ؛ فليمُت إنْ شاء يهودياً، وإنْ شاء نصرانياً) [تحفة الأحوذي].

معنى السبيل

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

للعلماء أقوال في تفسير (السبيل) الوارد في الآية:

- ✓ **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: (السبيل؛ مِلْك الزاد والرّاحِلة).
- ✓ **وقال عكرمة** رحمه الله: (السبيل؛ الصحة).
- ✓ **وقال مالك** رحمه الله: (السبيل؛ القدرة).
- ✓ **قال أهل العلم**: (جاءت كلمة السبيل في الآية نَكِرة؛ لتُفيد أنَّ الحجَّ واجبٌ على المسلم، على أي سبيل تيسّرت، من قوّة ومال).

فائدة

قال الشيخُ ابنُ عُثيمين رحمه الله: (قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ على النّاس؛ يعني: جميعهم، لكن الكافر لا نأمره حتى يُسْلِمَ، أما المسلم فنأمره بأن يحجَّ بهذا الشرط الذي اشترطه الله عز وجل: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ يعني: من استطاع أنْ يَصل إلى مكة؛ فمن لم يستطع لفقره؛ فلا حجَّ عليه.

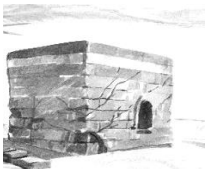

ومن لم يستطع لعجز نظرنا؛ فإنْ كانَ عجزهُ لا يُرجى زوالهُ وعندَه مال؛ وجبَ أن يُقيم من يحجَّ عنه، وإن كان يُرجى زواله، كمرض طارئ، طرأ عليه في أيام الحجّ؛ فإنه ينتظر حتى يعافيه الله، ثم يحجَّ بنفسه).

ترحيب وتذكير

وهذا خطيبُ الحرم المكّيِّ الشيخ عبد الرَّحمن السُّديس يُذكِّر الحجيج والزوّار بعظيم قدْر الحجّ، وكبير مكانه عند الله، فخاطبهم قائلاً:

(أيّها الحجّاجُ الميامين، قدِمتُم خيرَ مقدَم، طِبتم وطاب ممشاكم، وحقّق الباري سؤلَكم ومُناكم، خِدمتُكم لبلاد الحرمين تاجُ فَخار يتلألأ على صدور أهلِها، ووسامُ شرفٍ يتألَّق في عِقد جِيد أبنائها، لقد كابَدتم عناءَ الأسفار وفِراق الدِّيار، ومسّكم الرَّهق والوَصَب، وأصابَكم التّعَب والنّصَب. **وإنّ هذه الأعراضَ الهيّنةَ لتتهاوَى أمام صلابةِ الإيمان، وتطلُّب الأجرِ والثّواب مِن الواحد الدّيّان.**

إنّ الشوقَ إلى هذا البيْت العتيق، والانعطافَ إلى هذه العرصاتِ المقدَّسة، والنّزوع إلى هذه المشاهدِ المنيفة والبِقاع الشّريفة **إذا عايَنها المحِبُّ المعنَّى؛ تبدّدَت لديه كلُّ المشاقّ واللأواء، نعمةً من الله وفضلاً،** ولقد خالَطتم ذلك النّفح الإيمانيّ وزايلتموه، كيف والمسجدُ الحرام نصبَ الأعينِ قرّة، ومِلءَ القلوب إجلالاً ومسَرّة، ومن رُزق تَفيُّؤ ظِلال هذه الأرجاءِ؛ فقد أنعمَ الله عليه نعمةً كُبرى، وامتنّ عليه منّةً عُظمى، فحقٌّ على كلِّ قاصدٍ شُكرَ الباري على ما أولاه، وحمدُه على ما خصَّه به وأولاه، ومِن شُكر النّعمة أداءُ هذه الفريضة وإتمامها كما شرع الله، قال جلّ في علاه: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾). أهـ

أشـواقُنا نحو الحِجـاز تطلّعــت ... كحنين مُغتربٍ إلى أوطـان
إنّ الطّيورَ وإنْ قصصتَ جَناحها ... تسمو بهمّتها إلى الطّــيران

حُكمُ الحجِّ

ويجبُ فرضُ الحجّ في العُمُرِ مرّة واحدة على المستطيع، وهذا من رحمة الله ولطفه بعباده، فأنّى لمليار مسلم أنْ يتواجدوا في ذلك المكان، وفي وقت واحد؟!

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «الحجّ مرّة؛ فمن زاد فهو تطوع».

وفي رواية: «إنّ الله كَتبَ عليكم الحجّ»، ومعنى كتب؛ أي: فرض. [صحيح أبي داود/ ١٥١٤].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : **خطبنا رسول الله** ﷺ **فقال:**

«يا أيها النّاس ! إنّ الله قد فَرَضَ عليكم الحجَّ؛ فحجّوا».

فقال رجلٌ: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكتَ، حتى قالها ثلاثاً.

فقال رسولُ الله ﷺ: «لو قلتُ: نعم؛ لوجبت، ولما استطعتم» [مسلم].

قال إبراهيم الدّحيم: (فإذا رأيتَ الحاجَّ يمَّمَ وجهَهُ للبيت؛ فقل لي بربِّك: هل مرَّ بكَ رَكْبٌ أَشرفَ من ركبهم؟ وهل شممتَ عبيراً أَزكى من غُبار مَسيرهم؟ وهل هزَّكَ نغمٌ أروع من تلبيتهم؟).

حكم العمرة

استدلَ بعضُ أهل العلم على وجوب العمرة بحديث جبريل عليه السلام، **فعن عمر** رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **قال لجبريل**: «الإسلام أنْ تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمّداً رسولُ الله، وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزكاة، وتحجَّ البيْتَ، وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وتُتمّ الوضوء، وتصوم رمضان».

[صحيح الترغيب/ ١٧٥].

وإليك أقوال الصحابة والعلماء في الحثِّ على العمرة والترغيب فيها:

- **قال عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه :

(اعتمر في كلّ شهرٍ مرَّة)، وكان –هو– يَعتمر في السَّنة مِراراً.

[زاد المعاد]

- **قال جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما : (ليس مسلمٌ إلا عليه عمرة).

[صحيح ابن خزيمة]

- **قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما : (العمرة؛ الحجّ الأصغر).

[مصنف ابن أبي شيبة]

- **قال عكرمة** رحمه الله: (اعتمر ما أمكنكَ) [مصنف ابن أبي شيبة].
- **وقال عبدُ الملك**: سُئل سعيد بن جبير عن العمرة: واجبة هي؟

قال: **نعم**. [مصنف ابن أبي شيبة].

الحرصُ على الحجّ

لا يحرص على الطَّاعات إلا مُوفّق، ولا يحزن على فوَاتها إلا من أحبَّهُ الله، أمّا الغافل اللاهي، والمفرِّط السّاهي؛ فالأمرُ عنده سيّان !

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أرادَ رسول الله ﷺ الحجّ، فقالت امرأةٌ لزوجها: أحججني مع رسول الله ﷺ.

فقال: ما عندي ما أحججك عليه، فقالت: أحججني على جملك فلان، قال: ذاك حبيسٌ في سبيل الله ﷻ.

فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: إنّ امرأتي تَقرأُ عليك السلام ورحمة الله، وإنها سألتني الحجَّ معكَ، فقلتُ: ما عندي ما أحججك عليه قالتْ: أحججني على جملكَ فلان، فقلتُ: ذاكَ حبيسٌ في سبيل الله ﷻ.

فقال ﷺ: «أما إنك لو أحججتها عليه كان في سبيل الله».

قال: وإنها أَمرتني أنْ أسألك ما يَعدِلُ حجَّة معكَ؟

قال رسول الله ﷺ:

«أَقرئها السَّلامَ ورحمة الله وبركاته، وأَخبرها أنّها تعدِلُ حجَّة معي؛ عمرةٌ في رمضان». [صحيح الترغيب/ ١١١٧].

أعدّ الليـــالي ليلة بَعدَ ليلـــة ... وقد عِشتُ دهراً لا أعد الليـاليا

وقد يَجمعُ اللهُ الشتيتين بعدما ... يظنان كلَّ الظنّ أنْ لا تلاقيـــا

بكاءٌ وحسرة

خرجتْ أُمُّ أيمنَ عزيزة بنت عليّ -امرأةُ أبي علي الروذباري- من مصر وقت خروج الحاجِّ إلى الصحراء، والجِمالُ تمرُّ بها، وهي تبكي وتقول: واضعفاهُ ! وتنشد على إثر قولها:

فقلتُ دعوني واتّباعي ركابكم أكنْ طوع أيديكم كما يفعلُ العبدُ
وما بالُ زعمى لا يَهون عليهم وقد علموا أنْ ليس لي منهم بُدُّ

وتقول: هذه حسرةُ من انقطعَ عن البيْت، فكيفَ تكون حسرة من انقطع عن ربِّ البيْت؟! [مختصر صفة الصفوة].

عندما يبكي السلطان

ليس على مُلك زائل أو مال ضائع، ولا على فقد امرأة حسناء، أو قصر جميل؛ بل لمجرد رؤية قوافل الحجيج والعمّار.

✍ **هذا السلطان (أبو الفتح ملكشاه) ابن السلطان (ألب أرسلان) كان صاحبَ لهوٍ وصيد وغفلة.**

وقفَ يتأمَّل الحجّاج وهم يقطَعون أرضَ العراق؛ يُريدونَ البيْتَ الحرام، فرَقَّ قلبُهُ، فنزل وسجد وعَفَّرَ وجهه، وبكى.

✍ **قال الشيخ إبراهيم بن صالح الدحيم ـ مُعقِّباً على القصة ـ:**

(لقد رقَّ قلبه لما رأى الحجيج يَجُوزُون من حوله، فكيف لو كان معهم؟! كيف لو أَجَلّتْهُ ثيابُ الإحرام؛ فكان يطوف معهم، ويسعى، ويقف بعرفة، ويجمع بجَمع، ويبيت بمِنى؟!).

يا راحلين إلى مِنـــى بقيـادي ... هيجتمُ يومَ الرَّحيـل فـؤادي
سرتم وسار دليلُكم يا وحشتي ... الشّوقُ أقلقني وصوتُ الحادي
حَرَمْتمُ جـفنـي المنام بِبُعـدكم ... يـا سـاكنين المُنحنـى والـوادي
ويلوحُ لي ما بين زمزم والصَّفا ... عند المقام سمعتُ صوتَ منادي
ويقـولُ لي يا نائماً جُـدَّ السُّرى ... عرفاتُ تجلو كلّ قلـب صـادي
مَن نالَ من عرفات نظرة ساعة ... نـالَ السّرور ونـالَ كـلَّ مُـراد
تالله ما أحلى المبيت عـلى مِنـى ... في ليـل عيـد أبـرك الأعيـاد
ضحَّو ضحاياهم وسالَ دماؤها ... وأنا المتيَّـمُ قد نَحرتُ فـؤادي
لبسوا ثياب البيض شارات الرِّضا ... وأنا الملـوَّع قد لبستُ سـوادي

﴿ إخلاص الحجّ لله ﴾

اِعلَم ـ أيّها الحبيب ـ أنّ أعظمَ مقاصد الحجِّ؛ توحيدُ الله ﷻ، وإخلاصُ العبوديّة له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

☜ وما بُني البيْتُ العتيق، وحجَّ له الحجيجُ؛ إلا ليُعبدَ الله وحدَهُ، ولا يشركَ به شيئاً، ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

☜ وتأمل حِرصَ النّبيّ ﷺ في تلبيته أنْ يكون العملُ خالصاً لله، وليس لأحدٍ فيه شيء، فمن البداية يُعلنها صريحة مدويّة أنّ هذا العمل لله وحدَهُ، لا أشركُ فيه معه أحداً.

قال أنس رضي الله عنه :

حجَّ النّبيُّ ﷺ على رحْل رثّ، وقطيفةٍ خلِقة تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، ثم قال: «اللهمَّ حجَّة لا رياء فيها، ولا سُمعة».

[صحيح الترغيب/ ١١٢٢].

☜ **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **قال**: «مَن حجَّ **لله** فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه» متفق عليه.

فدقِّق النظر في قوله ﷺ: «من حجَّ لله» فليس كلّ من حجّ حجّ، ولا كلّ من اعتمر اعتمر. **والأمر كما قال** ﷺ: «إنّما الأعمال بالنيات» متفق عليه.

☜ **قال الشيخ سلمان العودة في كتابه «رسائل إلى الحجيج»**:

(فالحجُّ هو أحدُ الشَّعائر التي شُرِعت لتحقيق العبوديّة لله تعالى وحده، والبراءة من الشِّرك وأهلِه. والحاجُّ لا يدعو نَبيّاً، ولا وليّاً، ولا كعبةً، ولا قبراً، ولا حَجَراً؛ ولكنّه يدعو الله تعالى وحدَهُ، فيقول: لبّيكَ اللهمَّ لبّيكَ، لبّيكَ لا شريكَ لك لبّيكَ، إنَّ الحمدَ والنّعمَة لك والملك، لا شريك لك).

قصة نشيب الرأس.. وتَقطّع الظهر

ومن العجائب، والعجائبُ جمّة؛ ما ذكرَهُ الشيخُ محمّد العريفي في كتابه «اركب معنا» قال:

(حدَّثني شيخُنا عبد الله بن جبرين رحمه الله قال: كُنتُ على صعيد عرفات، والنّاسُ في بكاء ودعوات، قد لفّوا أجسادهم بالإحرام، ورفعوا أكفهم للملك العلَّام، وبينما نحن في خشوعنا وخضوعنا، نستنزلُ الرَّحمات من السّماء؛ لفتَ نظري شيخٌ كبير، قد رقَّ عظمُهُ، وضعف جسده، وانحنى ظهرُهُ، وهو يرددُ:

(يا وليَّ الله فلان؛ أسألكَ أنْ تكشفَ كُربتي، اشفع لي، ارحمني !!) ويبكي ويَنتحب.

فانتفض جسدي، واقشعر جلدي، وصحتُ به: اتقّ الله؛ كيف تدعو غير الله، وتطلب الحاجات من غير الله؟!!

هذا الوليُّ؛ مخلوقٌ مثلك عبدٌ مملوك، لا يَسمعك ولا يجيبك، ادع الله وحدَهُ لا شريكَ له.

فالتفت إليّ ثم قال: إليك عنّي يا عجوز، أنت ما تعرفُ قدْر الشيخ فلان عند الله !! أنا أؤمن –يقيناً– أنّه ما تنزل قطرة من السّماء، ولا تنبت حبّة من الأرض إلا بإذن هذا الشيخ !!!

فلما قال ذلك؛ قلت له: تعالى الله [عمّا تقول] ماذا أبقيت لله؟! اتق الله.

فلمّا سمعَ منّي ذلك؛ ولّاني ظهرَهُ ومَضى) اهـ.

أقول: وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

بيت في الجنَّة.. عن معاذ رضي الله عنه **قال: قال رسولُ الله** ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشرَ مرَّات؛ بَنى اللهُ له بيتاً في الجنَّة» [صحيح الجامع/ ٦٤٧٢].

فالأمرُ سهلٌ وبسيطٌ؛ خلال دقيقة أو دقيقتين؛ يُبنى لك بيتٌ في الجنَّة؛ فما عليك إلا الصبرَ والاحتسابَ والهمّةَ العالية.

فآهٍ ثم آهٍ !! كم من بُيوت وقصور في الجنَّة أضعناها !!

دعوة ومناشدة

✍ يا علماءنا.. يا طلبة العلم ويا دعاة.. يا ورثة الأنبياء وحُماة الدِّين وحرّاس العقيدة..

دونكم ميدان الحجِّ والعمرة؛ فهو ميدانٌ رحبٌ فسيحٌ للنُّصح والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، النّاسُ فيه يتخبَّطون، ويجهلون أُمور دِينهم، تنتشرُ بينهم البِدع والخرافات؛ بل والشّركيات، هم ينتظرونَ نُصحكم وإرشادَكم، ارفقوا بهم وتلطّفوا في دعوتهم، الخيرُ فيهم كثير، آذانهم صاغية، قلوبهم مُتعطِّشة للكلمة الصّادقة؛ فالله الله بهم، فهم أَمانةٌ في أعناقكم، فـ «الكلمة الطيبة صدقة» و «الدّالُ على الخير كفاعلِهِ» كما قال الرسول ﷺ.

قال شجاع بن الوليد:
(كنتُ أَحجُّ مع سفيان، فما يكادُ لسانُه يَفترُ من الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، ذاهباً وراجعاً)
[سير أعلام النبلاء]

✍ **قال ابن القيّم** رحمه الله: (وتبليغُ سُنّته إلى الأُمة أفضل من تبليغ السِّهام إلى نُحور العدوّ؛ لأنّ تبليغَ السِّهام يفعلهُ كثيرٌ من الناسِ، وأمّا تبليغ السُّنن فلا يقوم به إلا ورثةُ الأنبياء وخلفاؤهم في أُممهم، جَعلَنا اللهُ تعالى منهم بمنِّه وكرمِهِ) [جلاء الأفهام/ بتصرّف يسير].

من صور المخلصين

تأمّل هذه الصّور وتلك النماذج لسلفنا الصَّالح وحالهم مع الإخلاص، وكيف كان خوفهم من الرّياء والعُجب؛ حتى في أدقّ الأمور وأيسرها، ومع أقرب النّاس إليهم.

■ **قال الحسن البصريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إنْ كان الرّجل جمعَ القرآنَ؛ وما يَشعرُ به النّاس، وإن كان الرّجل قد فقه الفقه الكثير؛ وما يشعرُ به النّاس، وإن كان الرّجل ليُصلّي الصَّلاة الطويلة في بيته، وعنده الزّوار؛ وما يَشعرون به.

ولقد أدركتُ أقواماً ما كانوا على عمل يَقدرون أنْ يعملوه في السِّرِّ؛ فيكون علانيّة أبداً) [الزهد لابن المبارك].

■ **وقال عاصم**: (كان أبو وائل شقيق بن سلمة إذا صلّى في بيته ينشجُ نشيجاً، ولو جُعلت له الدُّنيا على أنْ يَفعله وأحدٌ يراهُ؛ ما فعله !!).

[سير أعلام النبلاء].

✍ **قال نافع بن جُبير** رَحِمَهُ اللَّهُ: (من شَهِدَ جنازة ليراهُ أهلُها؛ فلا يَشهَدْها) [سير أعلام النبلاء].

✍ **وكان مُوَرِّق العِجْلِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول**: (ما أحِبُّ أن يَعرفني بطاعَتِه غَيرهُ) [التواضع لابن أبي الدنيا].

ومن صور المرائين

✍ **هذا صاحبُ رسول الله ﷺ أنس بن مالك** رضي الله عنه يتخوّف على الحجيج من الرّياء، وعدم الإخلاص لله سبحانه وتعالى، ويُحذّرهم من تقلُّب النّوايا **فيقول**:

(يأتي على النّاس زمانٌ؛ يحجّ أغنياء النّاس للنزهة، وأوساطهم للتجارة، وقرّاؤهم للرياء والسُّمعة، وفقراؤهم للمسألة).

✍ ومن أَنعمَ النّظرَ فيما وحذّر منه أنس يجدهُ في زماننا مشاهداً وملموساً.

وأَعرفُ رجلاً إذا ما عادَ من حجٍّ أو عمرة، فرأى إنساناً يقول له -من غير مُقدِّمات-: أنا كنت في الحجِّ.. في العمرة!! أين الإخلاص؟! أليس هذا هو الرياء، وتلك هي السّمعة التي حذَّرنا منها النّبيّ ﷺ؟

✍ وقد زاد الطين بِلّة مواقع التواصل الاجتماعي، فهذا يذكر أنه صائم، وثاني يُغرِّد بعدد ختماته للقرآن، وثالث يذكر إنه تصدَّقَ بدرهم، ومعتمرٌ ترك لذّة الطاعة وتفرد لإلتقاط الصور وبثّها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

✍ **ومن تلك الصور**؛ إذا ما أوشَكَ الحاجُّ على العودة؛ زُيّنَت البُيوت، وأقيمت الولائم! وذُكر لنا أنّ منهم من يُحضِر فِرق الفسق والمجون؛ لإحياء حفلٍ بهذه المناسبة !!

وأما إذا وصلَ إلى بلدهِ؛ فبعضهم يأمر أولاده أو مُقرّبين له بوضع إعلان تهنئة في الصّحف؛ بمناسبة وصوله سالماً !!

وقد قال رسول الله ﷺ: «من سمّع؛ سمّعَ الله به، ومن يراء؛ يُراء الله به». متفق عليه

حديثٌ يقطع الأعناق

أعني أعناقَ المرائين بأعمالهم، عاشقي الشّهرة والمفتونين بحُبِّ الظهور، الذي لا يَبتغونَ وجه الله، وإنما محمَدَةَ النّاس ومدحَهم، فتأمّل وتدبّر ـ يا رعاك الله ـ هذا الحديث الذي تشيبُ منه الرؤوس، وتَنخلِعُ لوعيده القلوب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنّ أوّل النّاس يُقضى يوم القيامة عليه؛ رجل استُشهدَ، فأتي به فعرّفه نعمته، فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدتُ.

قال: كذبتَ، ولكنكَ قاتلتَ لأنْ يُقالَ: جريءٌ، فقد قيلَ، ثم أمرَ به فسُحب على وجهه، حتى أُلقي في النّار.

ورجلٌ تعلَّمَ العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمَهُ؛ فعرَفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلّمتُ العلم وعلّمته، وقرأتُ فيكَ القرآن.

قال: كذبتَ، ولكنّكَ تعلّمت ليقالَ: عالم، وقرأتَ القرآن ليقالَ: هو قارئٌ، فقد قِيلَ. ثم أُمِر به فسحبَ على وجههِ حتى أُلقي في النّار.

ورجل وسَّعَ اللهُ عليه وأَعطاهُ من أصناف المال كلِّهِ، فأُتي به فعرّفهُ نعمَهُ؛ فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟

قال: ما تركتُ من سبيل تُحبّ أنْ يُنفق فيها؛ إلا أنفقتُ فيها لكَ.

قال: كذبتَ، ولكنّكَ فعلتَ ليقالَ: هو جوادٌ؛ فقد قيلَ، ثم أُمِر به، فسُحبَ على وجهه، حتى أُلقي في النّار». أخرجه مسلم وغيره.

الاتّباع

الاتّباع قرينُ الإخلاص، فلا يَقْبلُ الله العملَ إلا بشرطين: الأوّل: أن يكون خالصاً لوجهه، والآخر: أنْ يكون موافِقاً لسُنّة النّبيِّ محمّد ﷺ، **قال جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما: **رأيتُ النّبيّ ﷺ يرمي على راحلته يوم النّحر، ويقول:** «لتأخذوا مناسككم؛ فإني لا أدري لعّلي لا أحجَّ بعد حجّتي هذه». رواه مسلم.

✖ **وقال يعلى بن أُميّة:** طُفتُ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما كنتُ عند الرّكن ـ الذي يلي الباب مما يلي الحَجر ـ أخذتُ بيده ليستلمَ.

فقال: أما طفتَ مع رسول الله ﷺ؟ قلتُ: بلى، قال: فهل رأيتَهُ يستلمه؟ قلتُ: لا، قال: فأنفذ عنكَ [أي: دعه وتجاوزه]؛ فإنّ لكَ في رسول الله ﷺ أُسوة حَسَنة. [المسند].

صدقُ المحبّة في الاتّباع

✍ **قال ابن القيّم** رحمه الله **في كتابه «مدارج السّالكين»**: (لما كثُرَ المدّعون للمحبَّة؛ طولِبوا بإقامة البيّنة على صحّة الدّعوى؛ فلو يُعطى الناس بدعواهم لادّعى الخَلِيُّ حُرقة الشجِيِّ. فتنوّع المدّعون في الشّهود، فقيل: لا تُقبل الدّعوى إلا ببيّنة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾. فتأخّرَ الخلقُ كلّهم، وثبَتَ أتْباعُ الحبيب في أفعالهِ وأخلاقهِ).

✍ **قال الجنيدُ بن محمّد** رحمه الله:

(الطُّرقُ إلى الله تعالى كلّها مسدودة على الخَلْق؛ إلا من اقتفى أثرَ الرسولِ ﷺ، واتّبع سُنّته ولزمَ طريقته؛ فإنّ طُرق الخيرات كلّها مفتوحة عليه، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾) [تلبيس إبليس].

درس عملي

لما قَـبَّلَ أَميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب الحَجرَ الأسودَ، صرخَ صرخةً مدويةً؛ أَرشد النّاس فيها إلى اتّباع النّبيِّ ﷺ، وتقديم الكتاب والسُّنّة على العقول والأهواء والآراء؛ **فعن عابس بن ربيعة** رَحِمَهُ اللَّهُ **قال:** رأيتُ عمرَ يُقَبِّلُ الحَجرَ، ويقول: إني لأعلم أنك حَجَرٌ ما تنفعُ ولا تَضرُّ، ولولا أنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقبِّلُك؛ ما قبّلتُكَ. متفق عليه.

من غِراس الجنَّة

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال: قال رسول الله** ﷺ: «أكثروا من غراس الجنَّة، فإنّه عذبٌ ماؤها، طيبٌ ترابُها؛ فأكثروا من غِراسِها».

قالوا: يا رسول الله؛ وما غِراسُها؟ قال: «ما شاءَ الله، لا حوْلَ ولا قوّة إلا بالله» [صحيح الترغيب/ ١٥٨٤].

الدِّين يُسر.. ولكن احذر؟!

أحكامُ الله كلّها رحمة، وفي القرآن والسُّنّة كفاية لطالب الحقِّ، فالله أرحمُ بنا من أُمّهاتنا، وحاشاهُ -سبحانه وتعالى- أنْ يأمرنا بما فيه هلاكنا، ولكن هذا لا يَعني تتبعَ رُخص العلماء، وشواذ الفتاوى، وغريب الفقه، ونوادر المسائل؛ فالأصلُ هو الاتّباعُ للنَّبيِّ ﷺ.

✔ **قال سليمان التيمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنْ أَخذتَ برُخصة كلِّ عالمٍ؛ اجتمعَ فيكَ الشَّرَّ كلَّه).

✔ **وقال عبد الرَّحمن بن مهدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يكونُ إماماً في العلم مَن يُحدِّثُ بالشَّاذِّ من العلم).

✔ **وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما مِن عالم إلا وله زلّة، ومن جَمعَ زلل العلماء ثمّ أَخذ بها؛ ذهبَ دُينه) [سُنن البيهقي].

✸ **فكثيرةٌ ـ أخي الفاضل ـ هي الفتاوى والكتب**، وكثيرٌ هم المفتون والمتشدِّقون؛ فدَقّق النظرَ وتمهّل واسأل، وابحث عن العالم الرَّباني العاملِ بعلمه، الأتقى لله والأخشى.

قال محمّد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ:
(إنّ هذا العلمَ دينٌ؛ فانظروا عمّن تأخذونَ دِينكم).
[مقدمة صحيح مسلم]

﴿ خمسةُ دقائق تنجي من عذاب القبر ﴾

القبرُ ذاكَ المكان الموحش المظلم، بيتُ الوحدة، بيتُ الغُربة، بيتُ الدّود، ما تذكّرهُ أَحدٌ إلا أَزعجَهُ وأحزنَهُ وأفزعَهُ، القبرُ إما أنْ يكون روضة من رياض الجنَّة أو حفرة من حفر النار، فكم في هذه القبور من أناس يتنعَّمون، وآخرون يُعَذَّبون.

وقد أرشدنا حبيبنا ﷺ لسورة قراءتُها لا تتجاوز خمس دقائق؛ لكنها تُنْجي من عذاب القبر وأهواله، ألا وهي سورة الملك. **فقد قال** ﷺ: «إنّ سورة في القرآن -ثلاثون آية- شفَعت لرجل حتّى غُفِرَ له، وهي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾» [صحيح الترغيب/ ١٤٧٤].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (من قرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ كلّ ليلة؛ مَنَعَهُ اللهُ عز وجل بها من عذاب القبر، وكنّا في عهد رسول الله ﷺ نُسمّيها المانعة، وإنها في كتاب الله عز وجل، سورة من قرأ بها في كلِّ ليلة؛ فقد أكثرَ وأطاب) [صحيح الترغيب/ ١٤٧٥].

وتخيَّلْ نفْسَكَ ـ أخي الحبيب وأُختي الفاضلة ـ وأنت تحت أطباق الثرى وأكوام التّراب وحيداً فريداً، لا أمٌّ رؤوفٌ حنون، ولا أبٌ رحيم عطوف، ولا صديق ولا حميم، ولا خال ولا عمّ، ولا زوج ولا ولد.. هناك أنت؛ رهينُ أعمالك، حبيسُ أقوالك، **تخيل** وأنت في هذه الحال وتلك الكُرَب والغُصَص، وإذا بشافع يشفعُ لك، ومحام يدافعُ عنك؛ فإذا هي سورة الملك. فاحرص -أيّها المبارك وأيّتها المباركة- على قراءتها في كلِّ ليلة، وحُثَّ ذويك ورَغِّبْهم في قراءتها.

﴿ الحجّ والعمرة دعوة من الله لأحبابه وأصفيائه ﴾

✍ كثيرٌ من الحجّاج والعُمّار لا يَستشعرونَ النعمة التي أولاهم الله إياها، ويظنُّ أنّ ذاك بكدّه وماله أو بجاهه أو بذكائه، وما دروا أنّ هذا مَحْضُ فضل الله ومِنّته؛ تكرّم به عليهم، **فعن جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «الحجّاجُ والعمّار وفدُ الله؛ دعاهم؛ فأجابوه، وسألوه؛ فأعطاهم» [صحيح الترغيب/ ١١٠٧]

✍ **وعن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما **أنّ النّبيَّ** ﷺ **قال**: «الغازي في سبيل الله، والحاجّ والمعتمر وفدُ الله، دعاهم؛ فأجابوه، وسألوه؛ فأعطاهم» [صحيح الترغيب/ ١١٠٨]

✍ **ونقل ابنُ رجب الحنبلي في كتابه «لطائف المعارف» عن عبد الله ابن عباس** رضي الله عنهما **أنه قال:**

(لو يَعلَم المقيمون ما للحاجّ عليهم من الحقِّ؛ لأتوهم حين يَقدُمونَ، حتى يُقبِّلوا رواحلَهم؛ لأنّهم وفدُ الله من جميع النّاس، وما للمنقطع حيلةٌ سوى التّعلُّقِ بأذيال الواصلينَ).

✍ **ولقي الحسين بن علي** رضي الله عنهما **قوماً حجاجاً، فقالوا**: إنا نريد مكة، فقال: إنكم من وفد الله؛ فإذا قَدِمتم مكة فاجمعوا حاجاتكم فسلوها الله.

[مصنف ابن أبي شيبة]

ألا ليت شعري هل أسيرُ مسيرَهم ... وأحظى به أم دون ذاك موانعُ
لقد طلعت للقوم أنوار سعدِهم ... فهل لي في تلك السعودات طالعُ

صورتان

✍ كم سمعنا ورأينا من جاورَ بيتَ الله الحرام، ووسَّع الله عليه، ومَتَّعه بالعافية؛ ولم يحجّ ولم يعتمر، ولم يُكحِّل عينيه برؤية الكعبة والبيْت الحرام، ولم يُطهر جسده بالطَّواف والسَّعي؛ ألهَتْه دُنياه وغرَّته أمانيه، همّهُ الدّرهم والدِّينار، والمنصِبُ والجاه، ثمَّ عادَ إلى بلده، أو ربّما مات؛ وما أدّى تلك الطَّاعات، وبقي فرض الحجّ في عُنقه.

✍ **وبالمقابل**؛ كنَّا نرى أُناساً، ونسمعُ عن أقوام قَدِموا من دول بَعيدة؛ برغم الفقر والضعف، والمشقّة وطول السفر؛ إلا أنهم حضروا لأداء ما أوجبَ الله عليهم، الشّوقُ يَحْدُوهم، والحبُّ يَدفَعُهم؛ لزيارة بيت الله العتيق، **ولسان حالهم**: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾. والموفّقُ من وفّقهُ الله سبحانه وتعالى، والمحروم المخذول من أتْبع نفسهُ هواها، وطاوعها في غيِّها ومُناها، **وصدق الله تعالى حيث قال**: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

وصفٌ رائع

وتصويرٌ جميلٌ لهذا الاختيار الإلهي والاصطفاء الرّباني للحُجاج والعمّار، ذكَره الشيخ محمّد محمّد المختار الشنقيطي في محاضرته (زاد الحجيج) حيث قال:

(مِنْ زادِكَ للحجِّ: أنْ تعلَمَ إذا خرجت من بيتك أنّ الله وحدَه هو الذي أخرجَكَ، ولو شاءَ لثبَّطَكَ ولحرَمَك، لو شاءَ اللهُ لجعل الدُّنيا أكبرَ همِّك،

ومبلغ علمك، وغاية رغبتِك وشغلك، فحبَستكَ الأموالُ والتجاراتُ، وتعلَّقت بك الأبناءُ والبناتُ، فآثرتَهم على ما عند الله: ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ لو شاءَ اللهُ ما خرجتَ، لو شاءَ اللهُ ما لبّيتَ؛ ولكنّهُ –سبحانه– هو الذي أخرجكَ لرحمتِهِ؛ وهو أَرحمُ الرَّاحمين، أَخرجكَ برحمته وبِرِّهِ وإحسانه؛ وهو أكرمُ الأكرمين، أَخرجكَ إلى عَفوهِ ورضوانه.

نظرَ اللهُ إليك، وقد أحاطت بك الذّنوب؛ فأحبَّ أنْ يغفرها.

نظرَ اللهُ إليك، وقد كثُرت منك العُيوب؛ فأحبَّ أنْ يَسترها.

نظرَ اللهُ إليك، وقد أحاطت بك الهمومُ والغمومُ؛ فأحبَّ أنْ يُنفِّسها.

نظرَ اللهُ إليك، وقد آلمتكَ الأسقامُ والآلامُ؛ فأحبَّ أنْ يُذهبها.

نظرَ اللهُ إليك، وقد أَقلقتك الدُّيونُ وحقوقُ النّاس؛ فأحبَّ أنْ يتحمَّلَها.

سبحانه ما أَرحمَهُ، سبحانه ما أَفضلهُ وما أكرمهُ، وما أَوفاهَ وما أَبَرَّهُ !

اختارك من بين الملايين برحمته وهو أَرحمُ الرَّاحمين، اختاركَ وأنت أفقر ما تكون إليه، وهو أَغنى ما يكون عنك، اختاركَ لرحمته فتَشكُرَه وتَذْكُرَهُ.

لو أنَّ عبداً من عباد الله؛ اختاركَ من بين المئات والألوف لضيافتك أو لمناسبته؛ لشكرتَهُ وذكرتَهُ وحمدتَهُ –ولله المثل الأعلى– ما قدْرناه حقَّ قدْره، ولا شكرناه حقَّ شُكره، فاحمده فإنّه يرضى عن الحامدين، واشكره؛ فإنه تأَذّن بالمزيد للشاكرينَ). اهـ.

قصص العشاق

عجوزٌ وعاشقة !!

نعم.. إنَّها عجوزٌ عاشقةٌ مُحِبَّة هائمةٌ، ذابت من شِدَّةِ اشتياقها لرؤية بيت ربِّها، والأُنس بمناجاته سبحانه؛ إنّه العِشق الحلال، والحبُّ المباح، **قال الشيخ إبراهيم الدويّش في محاضرة بعنوان (عرفات عبر وعظات)**:

(ذَكَرَ لي أحدُ الثِّقات العاملين على استقبال الحجّاج في مدينة جدة: أنّ طائرة تحمل حجاجاً من إحدى الدول الآسيوية، وصلت في ثُلث الليل الأخير أحد الأيام، وكان أوّل الوفد نزولاً امرأة كبيرة السِّنِّ، فما أنْ وطِئت قدماها الأرض إلا وخَرَّت ساجدة، فأطالت السجودَ كثيراً؛ حتى وقع في نفسي خوف عليها. فلما اقتربنا منها وحرّكناها؛ فإذا هي جثة هامدة!

فعجبت من أمرها، وتأثَّرت بحالها، فسألتُ عنها، فقالوا: مُنذ ثلاثين سَنة وهي تجمع المال دِرهماً دِرهماً؛ لتحجَّ إلى بيت الله الحرام !!).

> **قال حاتم الأصم**: (تعهَّدْ نفسَك في ثلاثة مواضع: إذا عملتَ فاذكُر نظرَ الله إليك، وإذا تكلّمتَ فاذكُر سمعَ الله إليك، وإذا هَمَمْتَ فاذكُر علمَه بك، وإذا نظرتَ فاذكُر نظرَه إليك، وإذا تفكّرتَ فاذكُر اطّلاعَه عليك) [صفة الصفوة].

✍ **فماذا عساه أنْ يقول** من وسّع الله عليه من كلِّ أنواع المال والخير؟ وما هو عذره عند الله، وقد تهيّأت له الأسباب، وتيسّرت الظروف؟!

شيشاني في السّتين يحجّ على متن درّاجة هوائية

رأى المواطن الشيشاني (دزانار محمود عليّ) أُمّه في المنام تقول له: اذهب إلى الحجِّ يا محمود، قال لها: كيف يا أُمّاه؟

أجابته: لديك درّاجة والله معكَ.

كانت هذه الرؤيا المبرر الرئيسي الذي جعلَ (دزانار محمود ٦٣ عاماً) يُقرِّر الذهاب بدراجته لأداء فريضة الحج، قاطعاً (١٢) ألف كم، عَبَرَ خلالها (١٣) دولة حتى وصل إلى مكة.

نصبَ خيمتَهُ أمام سفارة المملكة العربية السعودية للحصول على تأشيرة دخول للأراضي المقدسة، تَعجَّب موظفو القُنصلية، وظنّوا أني مختل؛ لأنّني خطّطت للذهاب إلى السعودية بالدّراجة، وبعد (١٨) يوماً من الإصرار مَنحوني التأشيرة، وواصلتُ رحلتي إلى الجنوب إلى أن وصلتُ إلى إيران، لم يكن بحوزتي تأشيرة لدخول العراق؛ لذا تعرَّض لي الجنود الأمريكيون بالضرب ودمّروا دراجتي وألقوها على الأرض بقوّة، ووصفوني بـ (خنزير روسي) قلتُ لهم: إنني لست روسيًّا، بل مسلماً فأخذوا منّي جواز سفري وصوَّروا علامة الصليب على غلافه.

وتم إجباره على العودة إلى إيران ليواصل رحلته إلى (جورجيا) عبر (أرمينيا) وبعدها غادر إلى (تُركيا).

بيد أنّ تَعرُّضهُ لهجوم من ذئبين في أحد الجبال التركية؛ كان أكبر المصاعب -في رحلته- التي تغلّبَ عليها بإرادته القويّة وبصبره وبدعائه الله أنْ يُحقِّق أُمنيتهُ بتأدية فريضة الحجِّ.

وكان إذا غلبَهُ النُّعاس؛ يَفترش الأرض مُتوجِّهاً إلى القِبلة، حتى إذا ما جاءته المنية؛ مات على نيّته، وبقي مرّة لمدَّة ثلاثة أيام دون طعام مُكتفياً

بالماء، رغم قيام كلّ الأشخاص الذين قابلهم في رحلته بمساعدته، ولكن رحمة الله واسعة حيث منَّ عليه بحَبَّة جوز سقطت من فم طائر؛ وجدها ألذّ وجبة في حياته، وأكثرها إشباعاً على الإطلاق، في حين رفضَ أي مُساعدة مالية من أحد طلباً لمرضاة الله ﷻ.

ثم وصلَ إلى سوريا ثم الأردن، وأخيراً وصلَ إلى المملكة السعودية لأداء الحجِّ، في رحلة قطع خلالها المسِنُّ الشيشاني (دزانار) (١٢) ألف كم بدلاً (٥) آلاف كم، وهي المسافة بين مكة المكرمة ومدينة (جروزني).

وما أنْ نزلَ الأراضي المقدسة؛ نسيَ عناءَ السَّفر، وانشغلَ بروحانيات الأراضي المقدسة.

وقال لوكالة الأنباء الفرنسية: سألتُ الله المغفرة لأمّي ولعائلتي، والحريّة لبلدي الشيشان. [هنا تسكب العبرات/ بتصرف].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليّاً؛ فقد آذنتُهُ بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أَحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه.

وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنّوافل؛ حتى أُحبَّه، فإذا أَحببتُه؛ كنتُ سَمعَهُ الذي يَسمعُ به، وبصرَهُ الذي يُبْصر به، ويده التي يَبطشُ بها، ورجله التي يَمشي بها، وإنْ سألني؛ لأُعطينه، وإنْ استعاذني لأُعيذنه» [البخاري].

حج ماشياً من غرب إفريقيا إلى الكعبة

الشيخ الحاجّ (عثمان دابو رَحِمَهُ اللَّهُ) من جمهورية (جامبيا) في أقصى الغرب الإفريقي، **تجاوز الثمانين** من عمره.

حَدَّثَ عن رحلته الطويلة قبل خمسين عاماً إلى البيت العتيق، ماشياً على قدميه مع أربعة من صحبه من (بانجول) إلى مكة، قاطعين قارة إفريقيا من غربها إلى شرقها، لم يركبوا فيها إلا فترات يسيرة مُتقطِّعة على بعض الدّواب! إلى أنْ وصلوا إلى البحر الأحمر، ثم ركبوا السفينة إلى ميناء جدة.

رحلةٌ مليئة بالعجائب والمواقف الغريبة التي لو دوّنت لكانت من أكثر كتب الرحلات إثارة وعبرة، استمرَّت الرحلة أكثر من سنتين، ينزلون أحياناً في بعض المدن؛ للتكسب والرَّاحة والتَّزود لنفقات الرِّحلة، ثم يواصلون المسير.

أصابَهم في طريقهم من المشقَة والضيق والكَرب ما اللهُ به عليم؛ فكم من ليلة باتوا فيها على الجوع حتَّى كادوا يهلكون؟! وكم من ليلة طاردتهم السِّباعُ، وفارقهم لذيذ النوم، وكم من ليلة أحاطَ بهم الخوف من كلِّ مكان؛ فقُطّاعُ الطّرق يَعرِضون للمسافرين في كلِّ واد.

تسأله: أليس حجُّ البيت الحرام فرضٌ على المستطيع، وأنتم في ذلك الوقت غير مستطيعين؟

قال: نعم ولكننا تذكرنا ذات يوم قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، عندما ذهبَ بأهله إلى وادٍ غير ذي زرع عند بيت الله المحرَّم، فقال أحدنا: نحن الآن شباب أَقوياء أصحاء؛ فما عُذرنا عند الله تعالى إنْ نحن قصَّرنا في المسير إلى بيته المحرَّم، خاصة أننا نظن أنّ الأيام لن تزيدنا إلا ضعفاً، فلماذا التأخير؟

خرج الخمسة من دُورهم، وليس معهم إلا قُوْتاً يَكفيهم لأسبوع واحد فقط.

قال الشيخ عثمان: لُدغتُ ذاتَ ليلة في أثناء السَّفر، فأصابتني حمّى شديدة، وشممتُ رائحة الموت تسري في عروقي، فكان أصحابي يَذهبون للعمل، وأمكثُ تحت ظلِّ شجرة إلى أنْ يأتوا في آخر النَّهار.

فكان الشيطانُ يوسوسُ في صدري: أما كان الأولى لك أنْ تبقى في أرضك؟ لماذا تكلّف نفسك ما لا تُطيق؟ ألم يَفرض اللهُ الحجَّ على المستطيع فقط؟ فثقلت نفسي وكِدتُ أضعف، فلمّا جاء أصحابي؛ نظرَ أحدهم إلى وجهي وسألني عن حالي، فالتفتُ عنهُ ومسحتُ دمعة غلَبتني، فكأنه أحسَّ ما بي!

فقال: قم فتوضأ وصلّ، ولن تجد إلا خيراً -بإذن الله- ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فانشرح صدري، وأذهب اللهُ عنّي الحزن، ولله الحمد.

كان الشَّوقُ للوصول إلى الحرمين الشَّريفين يَحْدُوهم في كلِّ أحوالهم، ويخفِّفُ عنهم آلام السفر ومشاقّ الطريق ومخاطِرَهُ، مات واحدٌ منهم في الطريق، ثم مات الثاني. ثم الثالث مات في عَرض البحر.

واللطيفُ في أمره أنّ وصيته لصاحبيه قال لهما فيها: **إذا وصلتما إلى المسجد الحرام، فأخبرا الله تعالى شوقي للقائه، واسألاه أنْ يَجمعني ووالدتي في الجنَّة مع النبي ﷺ.**

قال الشيخ عثمان: لمّا مات صاحبنا الثالث؛ نزَلني همٌّ شديدٌ وغمٌّ عظيمٌ، وكان ذلك أشدّ ما لاقيت في رحلتي؛ فقد كان أكثرنا صبراً وقوّة، وخشيتُ أنْ أموتَ قَبل أنْ أنعَمَ بالوصول إلى المسجد الحرام، فكُنتُ أحسبُ الأيام والسّاعات على أحرٍّ من الجمر.

فلمّا وصلنا إلى (جدة) مرضتُ مَرضاً شديداً، وخشيتُ أنْ أموتَ قَبل أنْ أصل إلى مكة المكرمة، فأوصيتُ صاحبي إذا متُّ أنْ يُكفنني في إحرامي، ويقرّبني قدْر طاقته إلى مكة، لعلَّ الله أنْ يُضاعف لي الأجر، ويَقبلني في الصَّالحين.

مكثنا في جدّة أياماً، ثم واصلنا طريقنا إلى مكة، **كانت أنفاسي تتسارع والبِشرُ يملأُ وجهي، والشّوقُ يَهُزّني ويَشُدّني، إلى أنْ وصلنا إلى المسجد الحرام، وسكتَ الشيخ قليلاً، وأخذ يُكفكِفُ عَبَراتِهِ، وأَقسمَ بالله تعالى أنّه لم ير لذةً في حياته كتلك اللذّة التي غمرت قلبَهُ لما رأى الكعبة المشرَّفة.**

ثم قال: لما رأيتُ الكعبةَ سجدتُ لله شُكراً، **وأخذتُ أبكي من شدّة الرَّهبة والهيبة؛** كما يَبكي الأطفالُ، فما أَشرَفَهُ من بيت وأعظمه من مكان، ثمّ تذكَّرتُ أصحابي الذين لم يَتيسر لهمُ الوصولَ إلى المسجد الحرام، فحمدتُ الله تعالى على نعمتِهِ وفضلِهِ عليَّ، ثم سألتُه ـ سبحانه ـ أنْ يَكتب خطواتهم، وألا يَحرمهم الأجر، وأنْ يَجمعنا بهم في مَقعَدِ صِدْقٍ عند مَليك مُقتدر. [هنا تسكب العبرات/ وليد برجس/ بتصرف يسير].

> **قال السباعيُّ**: (لستُ أرى في الدُّنيا فرحة تَعدِلُ فرحةَ الحجيج -بعد أدائهم مناسك الحجِّ- ومن شكَّ؛ فليُجرِّب!) [هكذا علَّمتني الحياة].

هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب؟!

عليُّ بن الموفق رَحِمَهُ اللهُ **رجلٌ من العُبَّاد الصّالحين**؛ أكرمَهُ اللهُ تعالى فحجَّ ستين حجَّة على قدميه.

قال: فلما تمّ لي ستونَ حجَّة؛ خرجتُ من الطَّواف، وجلستُ في الحِجر بحذاءِ الميزاب، وجعلتُ أتفكَّرُ: أي شيء حالي عند الله، وكثرة ترددي إلى ذلك المكان، ولا أدري هل قُبل مِني حجّي أم رُدَّ!.

ثم نِمتُ، فرأيتُ في منامي قائلاً يقولُ: يا عليّ؛ **هل تدعو إلى بيتكَ إلا من تُحبّ؟!** قال: فاستيقظتُ وقد سُرّي عنّي.

[تاريخ بغداد/ بتصرّف يسير].

قال الشيخ محمد محمد المختار الشنقيطي: (ذُكرَ لي عن بعض العلماء الفضلاء أنّه كان يقول: كلّما ذكرتُ نعمةَ الله أنْ اختارني من بين النّاس، أبكي وأقولُ: لبيك مُجيباً لك بتوفيقك ورحمتِك وإحسانك وفضلك، وأنت أرحم الرَّاحمين).

فيا من أكرمكَ اللهُ بزيارة بيته، ووفقك لأداء الحجِّ أو العمرة؛ احمد الله على ما أولاك واصطفاكَ؛ فإنه أختاركَ من بين الخلائق لزيارة بيته، فكم تركت وراءك من أهل وأصحاب وجيران وأقارب، ووالله ما اختيارك بذكائك، ولا بجاهك، ولا بمالك؛ ولكنّه توفيقٌ خالصٌ من الله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فكن لله شاكراً حامداً، وله ذاكِراً معظِّماً.

رائعةٌ من الروائع

اِعلم ـ أيُّها المبارك ـ أنّ هذا الاصطفاء، وتلك المحبّة ليست في الحجِّ والعمرة فحسب؛ بل في سائر الطّاعات والعبادات، وإليك أزفُّ هذه القصة ففيها عبرة وعظة.

دخلَ السّري السّقطيّ رَحِمَهُ اللَّهُ **سُوق النَّخاسين، قال:** فرأيتُ جاريةً يُنادى عليها بالبراءةِ من العُيوب، فاشتريتُها بعشرة دنانير، فلما انصرفتُ بها إلى المنزل، عرضتُ عليها الطعام، فقالت: والله يا سيدي ما رأيتُ أحداً في دارنا أكل نهاراً قط ـ أي: أنها صائمة ـ قال: فَخرجتُ، فلّما كان العشاء، أتيتها بطعام فأكلَتْ منه قليلاً، ثم قالت: يا مولاي؛ بقيت لك خِدمة؟ قلتُ: لا، قالت: دعني لخدمة مولاي الأكبر ـ أي: أقومَ بطاعة الله ومُناجاته ـ قلت: أي وكرامة.

فانصرفـتْ إلى بيتٍ تُصلّي فيه، وصلّيتُ أنا العِشاء الآخر ورقدتُ، فلّما مَضى من الليل الثُّلث؛ ضَرَبَتْ البابَ عليَّ، فقلتُ لها: ماذا تريدين؟ قالت: يا مولاي؛ أما لك حظٌّ من الليل؟ قلتُ: لا، فمضت، فلمّا مضى نصف الليل؛ ضربت عليَّ الباب، وقالت: يا مولاي؛ قامَ المتهجدون إلى وردِهم، قلتُ: يا جارية؛ أنا بالليل خشبة وبالنهار جلبة. فلمّا بقي من الليل الثُّلث الأخير؛ ضربت عليّ الباب ضرباً عنيفاً ! وقالت: **أما دعاكَ الشَّوقُ إلى مُناجاة الملك؟! قم لنَفسك، وخذ مكاناً؛ فقد سبقكَ الخُدّام.**

قال: فهاجَ مني كلامها خاطراً، وقمتُ فأسبغتُ الوضوء، وركعتُ ركعات، **ثم تحسّستُ إليها فوجدتها ساجدة وهي تقول:** بحبِّك لي؛ إلا غَفرتَ لي !فقلت لها: يا جارية؛ ومن أين علمتي أنّه يُحبّك؟!

قالت: **لولا محبّته ما أنامَكَ وأقامني**، فقلت: اذهبي فأنت حرّة لوجه الله العظيم.

فدعت لي، ثم خرجت، وهي تقول: هذا العِتقُ الأصغر؛ بقي العِتقُ الأكبر [صفقات رابحة/ بتصرف يسير].

دَعْني أمسحُ فوق الرّوض أجفاني ... فالنّار موقدة من حرِّ أشجاني
نَسيتُ في حُبِّكم أهلي ومنتجعي ... فحبُّكم عن جميع النّاس ألهاني

محرومون

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **قال**: «إنّ الله يقول: إنّ عبداً أصححتُ له جسمه، ووسّعتُ عليه في المعيشة، تمضي عليه خمسةُ أعوام لا يَفِدُ إليَّ؛ **لَمحروم**».

قال المنذري رحمه الله **بعد ذِكرِهِ الحديثَ**: (ويُحَبُّ للرّجل الموسِر الصحيح أنْ لا يتركَ الحجَّ خمس سنين) [صحيح الترغيب/ ١١٦٦].

ووالله إنه محرومٌ؛ من استطاع الحجّ والعمرة ولم يُجب داعي الله.

❖ **قال الشيخ إبراهيم بن صالح دحيم**: (أما المحرومون؛ فلهم آذانٌ لا يَسمَعون بها، ولهم أعينٌ لا يُبصِرون بها، وصَلَهم الأذانُ ولم تصلْ منهم الإجابة، هانَ عليهم السَّفر إلى كلِّ بُقعة إلا خير بُقعة، عَرَفوا كلَّ طريق إلا طريق مكة، سلكوا كلَّ فجٍّ إلا طريق الحجِّ، اكتفوا بالحرام عن لبس الإحرام، شغلهم الهوى عن الهدى، فأيُّ حِرمان بَعد هذا؟! وأيُّ خسارة يومَ يعودُ النّاسُ بالغفران، ويبوء أولئك بالخُسران؟!).

﴿ للحاجِّ والمعتمر دعوة مستجابة ﴾

الدُّعاء؛ ذاكَ السِّلاحُ الفتَّاك، والسَّهمُ الذي لا يَخيب؛ فكم من مهموم فرّج الله همَّهُ بالدُّعاء، وكم من مكروب زال كربه، وتغيَّر حاله بالدعاء.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

وقال أيضاً: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.

وقال في موطن آخر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

✍ والحجاجُ والمعتمرين؛ تهيّأت لهم أسباب إجابة الدعاء، كيف لا؛ وهم في أشرف البقاع، وأقدس الأماكن، وهم مضّطرون، وكثيرٌ منهم على سفر، وللمسافر دعوة مُستجابة، **فعن أبي هريرة** رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:** «ثلاث دعوات لا شكَّ فيهنّ: دعوة الوالِد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم» [الصحيحة/ ٥٩٦].

قال رجلٌ للبابة العابدة: أريدُ الحجّ، فماذا أدعوا بالموسم؟ قالتْ: سل اللهَ تعالى شيئين: أنْ يَرضى عنك ويُبلِّغك منازل الرَّاضين عنه، وأنْ يجعل ذِكْرَكَ فيما بين أوليائهِ [صفة الصفوة].

✍ **ومرَّ معنا قولُ النّبيِّ** ﷺ: «الغازي في سبيل الله، والحاجّ والمعتمر وفد الله؛ دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم» [الصحيحة/ ١٨٢٠].

✍ **قال سعيد بن جبير** رحمه الله: (ما أتى هذا البيتَ طالبُ حاجة لدِين أو دُنيا؛ إلا رجعَ بحاجته) [مصنف ابن أبي شيبة].

✍ **لا تترك الدُّعاء؛** فيغضب عليك ربُّ الأرض والسَّماء، **قال رسول الله** ﷺ: «من لم يَدْعُ الله؛ يغضب عليه» [الصحيحة/ ٢٦٥٤]، لأنّ: «الدُّعاءُ هو العبادة» [صحيح الجامع / ٣٤٠٧] كما قال ﷺ، والغاية التي من أجلها خُلق النّاسُ؛ عبادة الله وحدَهُ لا شريكَ له.

✍ **لا تكن عاجزاً؛** أتدري من العاجز الكسول؟ من ترك الدُّعاء، ولم يَرفع يديه لربِّ السماء؛ **قال رسول الله** ﷺ: «أعجزُ النّاس؛ من عجز عن الدُّعاء، وأبخلُ النّاس؛ من بَخِل بالسّلام» [الصحيحة/ ٦٠١].

أسباب نُعين على إجابة الدعاء

✍ **اختيارُ الوقت:** من أفضل أوقات إجابة الدعاء؛ ثلث الليل الأخير قبل الفجر، فإذا ما أرخى الليل سُدوله، ونامت العيون، وغارت النجوم؛ عندها تطيبُ وتحلو مناجاة الحيّ القيوم، **قال رسول الله** ﷺ: «ينزلُ ربنا كلَّ ليلة إلى سماء الدُّنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ فيقول: من يَدعوني فأستجيب له، من يَسألُني فأعطيه، من يستغفرُني فأغفر له» متفق عليه.

✍ **وكذلك بعد الصلاة المفروضة؛ عن أبي أمامة** رضي الله عنه **قال:** قيل: يا رسول الله! أيّ الدُّعاءِ أسمع؟ قال: «جوف الليل الأخير، ودبر الصَّلوات المكتوبات» [صحيح الترغيب/ ١٦٤٨].

✍ **ويوم عرفة؛** وقت تُستجابُ فيه الدّعوات؛ **لقوله** ﷺ:
«خيرُ الدُّعاء؛ يوم عرفة» [صحيح الجامع/ ٣٢٧٤].

✍ **ولا تنسَ** أن تكثر من الدُّعاء وأنت ساجدٌ لله، مُنطرحٌ بين يديه، **فقد قال رسول الله** ﷺ: «أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ، فأكثروا الدُّعاء» رواه مسلم.

تنبيه: بعضُ النّاس يظن أنه لا يجوز الدُّعاء في حال السُّجود؛ وهذا فهمٌ خاطئ، وظنٌّ غير صحيح.

✍ **ادعُ في الرَّخاء**؛ يُستَجب لك وقت الشِّدة والحاجة؛ **قال رسول الله** ﷺ: «من سرَّه أنْ يَستجيبَ الله له عند الشدائد والكُرب؛ فليُكثر من الدُّعاء في الرّخاء» [صحيح الترغيب/ ١٦٢٨].

نحن ندع الإله في كلّ كربٍ ثم ننساهُ عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة لدُعاءٍ قد سددنا طريقها بالذّنوب

✍ **اليقين**؛ لا بُدّ لمن سألَ الله ودعاه؛ أنْ يكون قلبه عامراً باليقين، وحُسن الظنِّ بالله؛ حتّى يُستجاب له، **قال رسول الله** ﷺ: «ادعوا الله وأنتم مُوقنون بالإجابة، واعلموا أنّ الله لا يستجيبُ دعاءً من قلبٍ غافل لاهٍ» [الصحيحة/ ٥٩٤].

وإني لأدعو اللهَ حتّى كأنّما أرى بجميلِ الظنِّ ما اللهُ صانِعُ

✍ **تريّث ولا تستعجل** فمن تأنّى؛ نال ما تمنّى، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أنّ النّبيّ** ﷺ **قال**: «يُستجابُ لأحدكم ما لم يَعجل، يقول: دعوتُ فلم يُستجب لي» متفق عليه.

✍ **وعن أنس** رضي الله عنه **أنّ النّبيَّ** ﷺ **قال**: «لا يزالُ العبدُ بخير؛ ما لم يَستعجلْ». قالوا: يا رسول الله؛ وكيف يستعجل؟ قال: «يقول: قد دعوتُ ربي فلم يَستجبْ لي» [صحيح الترغيب/ ١٦٥٠].

✍ بالدّعاء لن تُرَدَّ خائباً؛ **أنت عليك الدُّعاء والإلحاح فيه**، وعلى الله تعالى الإجابة والجزاء، فمحالٌ أنْ ترفعَ إليه يديك، ويردّك خائباً حسيراً مطروداً كسيراً، وهو الجوادُ الكريمُ البَرُّ الرَّحيم -سبحانه وتعالى-.

فعن سلمان رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «إن الله حييٌّ كريمٌ، يَستحيي إذا رفع الرّجل إليه يديه أنْ يردَّهما صِفراً خائبتين» [صحيح الترغيب/ ١٦٣٥].

وعن أنس رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ:

«إن الله رحيمٌ كريمٌ، يَستحيي من عبده أنْ يرفع إليه يديه، ثم لا يَضعُ فيهما خيراً» [صحيح الترغيب/ ١٦٣٦].

صورة:

سُئلَ موسى بن نصير -الأمير الكبير فاتح الأندلس- رحمه الله: ما كنتَ تفزعُ إليه عند الحرب؟ قال: الدُّعاء والصَّبر. [سير أعلام النبلاء].

همسة ورجاء.. همسة أبثّها في أذن الحاجِّ فأقول له: أسألُكَ بالله؛ لا تنسَ **والديك** من الدّعاء والاستغفار لهما، فهذا رجاء مِن أخ لإخوانه، واسمع لهذه البِشارة النّبويّة، **يقول عليه الصلاة والسّلام:** «إنّ الرّجل لترفعُ درجته في الجنّة؛ فيقول: أنّى لي هذا؟! فيقال: باستغفار ولدك لك» [صحيح الجامع/ ١٦١٧].

لبستُ ثوب الرّجا والنّاسُ قد رقدوا ... وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجدُ
وقلتُ يا عُدتي في كلِّ نائبةٍ ... ومن عليه لكشفِ الضُّرِّ أعتمدُ
أشكو إليك أموراً أنت تعلمُها ... ما لي على حملها صبرٌ ولا جلدُ
وقد مددتُ يدي بالذلِّ معترفاً ... إليك يا خير من مُدت إليه يدُ
فلا تردّنها يا ربّ خائبة ... فبحرُ جُودك يَروي كلّ مَن يَردُ

فضائل
الحج والعمرة

قال وهيبُ بن الورد رَحِمَهُ اللَّهُ:
(إنْ استطعتَ ألا يَسبقك إلى الله أحدٌ؛ فافعَلْ) [القواعد الحسان في أسرار الطاعة].

وقال شمسُ الدِّين محمَّد بن عثمان التّركستاني:
(ما بَلَغني عن أحدٍ من النَّاس أنّه تعبَّد عبادةً؛ إلا تعبّدتُ نظيرَها وزِدتُ عليه).

[سباق نحو الجِنان]

فضائل الحجِّ والعمرة

ما زلنا على الشاطئ ولم نُبحر بَعدُ.. ومن أراد اللآلي والدُّرر؛ فدونَهُ البحرُ الخِضم -الحجُّ والعمرة- فليس للحجِّ والعمرة فضيلة واحدة؛ بل فضائل كثيرة عديدة، وأجورٌ عظيمة مديدة، ومن تأمّل كتاب الله وسُنّة نبيّه ﷺ؛ وجد ذلك جليّاً واضحاً.

حديث شامل

تدبَّرْ هذا الحديث العظيم الذي جمعَ فضائلَ أعمال الحجِّ والعمرة، وما يترتَّبُ عليها من ثواب وأجر وفضل، **عن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما **قال**: كنت جالساً مع النّبيّ ﷺ في مسجد مِنى؛ فأتاه رجلٌ من الأنصار، ورجلٌ من ثقيف فسلّما ثم قالا: يا رسول الله ! جئنا نسألُك، **فقال**:

«إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه؛ فعلتُ، وإن شئتما أن أُمسك وتسألاني؛ فعلتُ؟» فقالا: أخبرنا يا رسول الله ! فقال الثقفي للأنصاري: سل، فقال: أخبرني يا رسول الله !

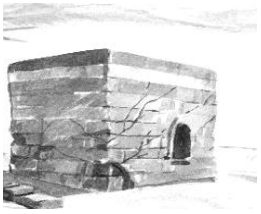

فقال: «جئتَني تسألني عن مَخرَجِك من بيتك تؤمّ البيْت الحرامَ وما لك فيه، وعن ركعتيك بَعد الطّواف وما لك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه، وعن رميك الجمار وما لك فيه، وعن نَحْرِكَ وما لك فيه مع الإفاضة؟!».

فقال: والذي بعثك بالحقِّ؛ لَعَنْ هذا جئتُ أسألكَ.

قال ﷺ: «فإنّك إذا خرجتَ من بيتك تؤمُّ البيْت الحرام، لا تضعُ ناقتك خُفّاً ولا ترفعُه؛ إلا كتبَ الله لك به حَسنة ومحا عنك خطيئة.

وأمّا ركعتاك بعد الطّواف؛ كعتق رقبة من بَني إسماعيل عليه السلام.

وأمّا طوافك بالصّفا والمروة كعتق سبعين رقبة.

وأما وقوفك عشية عرفة؛ فإنَّ الله يَهبط إلى سماء الدُّنيا فيُباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاؤوني شُعثاً من كلِّ فجٍّ عميق، يَرجون جَنتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرَّمل، أو كقطر المطر أو كزبد البَحر؛ لغفرتُها، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له.

وأما رميكَ الجِمار؛ فلك بكلِّ حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات.

وأما نحركَ؛ فمذخُورٌ لك عند ربّك.

وأما حِلاقك رأسك؛ فلك بكلِّ شَعرة حلقتها حسنة، ويُمحى عنك بها خطيئة.

وأما طوافك بالبيْت بعد ذلك؛ فإنك تطوف ولا ذنب، يأتي مَلَكٌ حتّى يضعَ يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما تَستقبل؛ فقد غُفرَ لك ما مضى».

[صحيح الترغيب/ ١١١٢].

قال مسلم بن يَسار رحمه الله:
(ما تَلذّذَ المتلذِّذون بمثل الخَلوة بمُناجاة الله عَزَّ وجَلَّ) [حلية الأولياء].

الحجُّ والعمرة غفران للذنوب

مَن مِنّا لم يعص اللهَ قطّ، ويرتكب الذّنب تِلو الذّنب، الكلّ يُخطئ ويُسيء، فلا معصوم إلا الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- ومن ذا الذي لا يفرحُ بمغفرة ذنوبه، والتجاوز عن سيئاته وزلاته؟

إنّ رضا عَلّام الغيوب وغفران الذنوب، ورفع الدّرجات؛ مطلبُ كلِّ عاقل، ومقصدُ كلِّ سوي، وهذا بابٌ عظيم من أبواب غفران الذّنوب؛ إنه باب الحجِّ والعمرة.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه **أنّ النّبيَّ** ﷺ **قال:** «من حجَّ فلم يرفث، ولم يَفسُق؛ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» متفق عليه.

والرفث هو: الجِماع ومقدماته، أو فُحش الكلام.

قال الأزهري: (الرَّفث؛ كلمة جامعة لكلِّ ما يُريده الرّجل من المرأة).

✖ والحجُّ يَهدمُ ما كان قبله من آثام وأوزار، **فعن ابن شماسة قال:** حضرنا عمرو بن العاصي -وهو في سياقة الموت- فبكى طويلاً وقال: فلمّا جعل اللهُ الإسلامَ في قلبي؛ أتيتُ النّبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسول الله ! ابسُط يَمينك لأبايعك، فبسطَ يدَهُ، فقبضت يدي ! فقال: «ما لك يا عمرو؟!» قال: أردت أن أشترط !! قال: «تشترطُ ماذا؟» قال: أن يُغفر لي !

قال: «أمَا علمتَ يا عمرو أنَّ الإسلامَ يهدمُ ما كان قَبلَه، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحجَّ يهدم ما كان قَبله» رواه مسلم.

✖ وتأمّل ـ يا رعاكَ اللهُ ـ هذا الحديث الذي يبيّنُ عظيم المغفرة، وكثرة الأجر، والدَّرجات العالية لمن أدى هذا الرّكن، **عن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما **قال: سمعتُ النّبيّ** ﷺ **يقول:**

«ما ترفع إبل الحاجّ رِجلاً، ولا تضع يداً؛ إلا كتبَ الله له بها حسنة، أو محا عنه سيئة، أو رفعه بها درجة» [صحيح الترغيب/ ١١٠٦].

قال الشبلي رحمه الله: (الحـجُّ حرفـان: حـاء وجـيم، فالحـاءُ مـن الحلم، والجيم من الجُـرم؛ والإشـارة فيـه كأنّـه يقـول: يـا ربّ أتيتك بجُرمي وجفائي، إلى حلمِـكَ ورحمتِـكَ؛ فـإنْ لم تغفـر لي جُرمي؛ فمن يغفر لي؟).

قال أبو بكر الجزائـري: (مـن الحكمـة في الحـجِّ والعُمـرة؛ تَطهيرُ النَّفس من آثار الـذّنوب؛ لتصـبحَ أَهـلاً لكرامـة الله تعالى في الدَّار الآخرة) [منهاج المسلم].

بُشرى للمعتمرين

عن أبي هريرة رضي الله عنه **أنَّ النّبيَّ** ﷺ **قال**: «من أَتى هذا البيْتَ، فلم يرفث ولم يفسق؛ رجعَ كيوم ولدته أُمّه» رواه مسلم.

ويا مَن يَظنُّ أنَّ ذاكَ مُتعلِّقٌ بالحجِّ وَحدَهُ، نقول له: والعمرةُ داخلة أيضاً في هذه البُشرى، **قال ابن حَجَر** رحمه الله **في «الفتح»**: (وهذا يَشملَ الحجّ والعمرة).

زاد الآخرة

وقفَ أبو الدّرداء رضي الله عنه ذات يوم أمام الكعبة، ثم قال لأصحابه: أليس إذا أرادَ أحدُكم سفراً يَستعدُّ له بزاد؟ قالوا: نعم.

قال: فسفرُ الآخرة أبعد مما تسافرون. فقالوا: دلنا على زاده.

قال: حُجّوا حجَّة لعظائم الأمور، وصلّوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا يوماً شديداً حَرُّه لطول يوم النّشور.

وقال ابنُ رجب الحنبلي رحمه الله: (ما تزوّد حاجٌّ ولا غيرُه بأفضل من زاد التّقوى، ولا دُعي للحاجِّ عند توديعه بأفضل من التّقوى).

تزود مِن التّقــوى فإنّك لا تـدري ... إذا جَنَّ ليلٌ هل تَعيشُ إلى الفجر
كم مِن فتى أمسى وأصبحَ ضاحكاً ... وقد نُسجت أكفانُه وهو لا يدري
وكم مِن عروس زيّنـوها لزوجها ... وقد قُبضت أرواحهم ليلة العُمـر
وكم مِن صغار يُرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أجسادهم ظُلمة القبر
وكم مِن صحيح مـات من غير عِلّة ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

الحجُّ المبرور ثوابُه الجنّة

❖ **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أنّ النّبيَّ** ﷺ **قال**: «العُمرة إلى العمرة؛ كفارة لما بينهما، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنّة» متفق عليه.

❖ **قيل للحسن البصري** رحمه الله: الحجّ المبرور جزاؤه الجنّة؟

قال: آيةُ ذلك: أنْ يرجع زاهداً في الدُّنيا راغباً في الآخرة.

وقيل له: جزاء الحجّ المغفرة؟

قال: آيةُ ذلك: أن يَدع سيئ ما كان عليه من العمل.

❖ **قال العلماء**: (الحجّ المبرور؛ هو الحجُّ الذي وُفّيَت أحكامه، فوقع موافِقاً لما طُلِب من المُكلّف على الوجه الأكمل).

[فضائل الحجّ والعمرة/ هيثم محمد حيدر]

❖ ومِن بِرّ الحجِّ؛ الكَرمُ والجود، وحفظُ اللسان وصونُهُ، **فعن جابر ابن عبد الله** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «برُّ الحجّ؛ إطعامُ الطعام، وطيبُ الكلام» [الصحيحة / ١٢٦٤].

فاحرص على سلامة حجِّك، فالحجّ إنْ صحَّ فهو ميزان العمر؛ **قال ابن القيّم** رحمه الله:

(من صحَّ له يومُ جمعته وسَلِمَ؛ سَلِمَت له سائر جمعته، ومن صحَّ له رمضان وسَلِمَ؛ سَلِمَت له سائر سَنَته، ومن صحَّت له حجَّته وسَلِمت له؛ صحَّ له سائر عمره، فيومُ الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحجُّ ميزان العمر) [زاد المعاد].

فائدة

قالَ الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «مناسك الحجِّ والعمرة»:

(ولا بأس من المجادلة بالتي هي أحسن، حين الحاجة، فإنَّ الجدال المحظور في الحجِّ، إنما هو الجدال بالباطل المنهيّ عنه في غير الحجِّ أيضاً؛ كالفسق المنهيّ عنه في الحجِّ أيضاً، فهو غير الجدال المأمور به في مثل قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.

ومع ذلك؛ فإنه ينبغي على الدّاعية أن يُلاحظ أنه إذا تبيّن له أنه لا جدوى من المجادلة مع المخالف -لتعَصُّبه لمذهبه أو رأيه، وأنه إذا صابره في الجدال؛ فلربّما ترتّبَ عليه ما لا يجوز- أنه من الخير له حينئذٍ أن يَدع الجدال معه، **لقوله** ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيت في ربَض الجنّة لمن تركَ المِراءَ وإن كان مُحِقّاً»).

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فسطاطان أحدهما في الحِلّ، والآخر في الحرم، فإذا أرادَ أن يُصلّي؛ صلّى في الفُسطاط الذي في الحرم، وإذا أراد أن يُعاتب أهلَه؛ عاتبهم في الذي في الحِلّ) [مصنف ابن أبي شيبة].

قال أبو تُراب النَّخشبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا ألِفَت القلوبُ الإعراضَ عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ صَحِبَتها الوقيعةُ في الأولياء) [صفة الصفوة].

خطر المعاصي

إيّاك ثمّ إيّاك..

أنْ تكون كالتي نَقضت غَزلها مِن بَعد تَعبها وكدِّها وسهرها الليالي الطوال، فاحذر أنْ تنقض العهدَ، وتُخلِف الوعد؛ وذاك بأنْ تعصي الله وتقارف الذُّنوب، بَعد أن أكرمك –الله– بقُربه وزيارة بيتِهِ، وأداء فرضه، فتَزِلَّ قدمٌ بَعد ثُوبتها والعياذ بالله.

✹**قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ **لبعض من حجّ**: (يا هذا؛ إنَّ الله تعالى يختم على عمل الحاجِّ بطابع من نور؛ فإيّاك أن تفُكّ ذلك الختم بمعصية الله ﷻ).

✹**واعلم أنّ المعاصي**: تُنغِّصُ الحياة وتُكدِّرُها، وتُقَسِّي القلبَ وتشتِّتُه، وتُذهبُ بهاءَ الوّجهِ ونوره، وتمحقُ بركةَ العمر والرِّزق، وتُفقِدُ صاحبها لذَّة الطاعة والأُنس بالله ﷻ.

> **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(على العاقل أنْ يَحذرَ مَغبَّة المعاصي، فإنّ نارَها تحتَ الرَّماد)** [صيد الخاطر].

تنبيهٌ وإرشادٌ

حتى يكون حجُّكَ مَبروراً، وسعيُكَ مشكوراً، وذنبُك مغفوراً؛ لا بُدَّ من ترك المعاصي والذّنوب، وحفظ اللسان من الغيبة والنّميمة والكذب، والمجادلة والمخاصمة، وغضِّ البصر عن الحرام، فليس كلّ من حجَّ حجَّ، ولا كلّ من اعتمر اعتمر، فكم من أُناس ليس لهم نصيب من حجِّهم وعمرتِهم سوى اسم حاجّ أو معتمر، ومن تأمّل أحوال النّاس أيقن ذلك.

✹**قال مجاهد لعبد الله بن عمر** رضي الله عنهما **-وقد دخلت القوافل-**: ما أكثر الحاجّ ! فقال: ما أقلهم ! ولكن قُل: ما أكثر الرَّكبَ.

خليليَّ قطاع الفيافي إلى الحمى ... كثيرٌ وجمع الواصلين قليلُ
وجوه عليها للقَبُول علامةٌ ... وليس على كلّ الوجوهِ قبولُ

لوحة جميلة

ينقلها إليك مجربٌ خبير، وعالمٌ كبير؛ كتبها في أواخر عمره، سكب فيها عصارة تجاربه في الحياة؛ **إنّه الإمام ابن الجوزي** رحمه الله **حيث قال في كتابه «صيد الخاطر»:**

قال الحكماءُ: (المعصيةُ بَعدَ المعصية؛ عقابُ المعصية، والحسنةُ بَعدَ الحسنة، ثوابُ الحسنة. وربما كان العقاب العاجل مَعنوياً، كما قال بعضُ أَحبار بَني إسرائيل: يا ربِّ؛ كم أَعصيك ولا تعاقبني؟ فقيل له: كم أُعاقبك، وأنت لا تدري؟ أليس قد حَرَمتُك حلاوة مُناجاتي؟!).

قال الحسن البصري رحمه الله: (إنّ الرّجل ليُذنب الذّنب؛ فيُحرَم به قيام الليل) [المجالسة].

لفتة

لفتةٌ رائعة، ونصيحة غالية؛ **يُنبّهنا إليها وُهيب بن الورد** رحمه الله **حين سُئل:** أيجد لذَّة الطَّاعة من يَعصي؟

قال: ولا من هَمَّ -أي: بالمعصية- ! [صفة الصفوة].

فكيف يجدُ لذّة الطَّاعة مَن تعدّى الحدود، وارتكبَ الذُّنوب تِلو الذُّنوب، وأصرَّ على المعاصي صغيرَها وكبيرَها؟

المعاصي سببُ هوان العبد عند الله

أهل الطّاعة أهلُ محبّته سبحانه وتعالى، والعُصاة ليس لهم من المحبّة نصيب؛ بل هم أهون الخلق على الله.

◆ **قال الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ: (هانوا عليه فعصوه، ولو عزّوا عليه لعصمهم).

◆ **وكَتَبَ أبو الدّرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **إلى مَسلمة بن مخلد الأنصاري:** (أما بَعْدُ؛ فإنَّ العبدَ إذا عمل بطاعة الله؛ أَحبّهُ الله، فإذا أَحبّهُ الله حبَّبَهُ إلى خلقِهِ، وإذا عمل بمعصيةِ الله؛ أبغضهُ الله، فإذا أبغضه الله؛ بغَّضهُ إلى خلقِهِ).

تفنى اللذاذةُ ممن نال صفوتها ... من الحرام ويَبقى الإثمُ والعَارُ
تبقى عَواقبُ سُوءٍ في مَغبتِهـا ... لا خيرَ في لذّةٍ من بَعدِهـا النَّارُ

◆ **قال يحيى بن معاذ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (من أَحبَّ الجنّة؛ انقطعَ عن الشَّهوات، ومَن خافَ النّارَ؛ انصرفَ عن السيئات).

◆ **وقال أيضاً:** (علامةُ الشَّوق؛ فِطام الجوارح عن الشَّهوات).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (تالله؛ ما عدا عليك العدو إلا بَعد أنْ تخلّى عنك المولى، فلا تَظنَنَّ العدو غلبَ؛ ولكنّ الحافظَ أعرض) [الفوائد].

﴿ لا حولَ ولا قوّةَ إلا باللّه ﴾

☜ كنزٌ من كنوز الجنَّة؛ **فعن أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه **أن النّبيَّ** ﷺ **قال له:** «قل: لا حوْلَ ولا قوّةَ إلا بالله؛ فإنّها كنزٌ من كنوز الجنَّة» متفق عليه.

☜ **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال لي رسول الله** ﷺ: «أكثر من قول: لا حوْلَ ولا قوّةَ إلا بالله العليّ العظيم؛ فإنها من كنز الجنة».

وفي لفظ: أنّ رسول الله ﷺ **قال:** «ألا أعلِّمُكَ ـ أو ألا أدُلك ـ على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حوْلَ ولا قوّةَ إلا بالله، فيقول الله: أسلم عبدي واستسلم».

☜ **وعن معاذ بن جبل** رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:** «ألا أدُلك على باب من أبواب الجنة؟» قال: وما هو؟ قال: «لا حوْلَ ولا قوّةَ إلا بالله» [صحيح الترغيب/ ١٥٨١].

☜ **قال مكحول** رحمه الله: (فمن قال: لا حوْلَ ولا قوّةَ إلا بالله، ولا ملجأ من الله إلا إليه؛ كَشَفَ اللهُ عنه سبعين باباً من الضُّرّ، أدناهنَّ الفقر) [صحيح الترغيب/ ١٥٨٠]

الحجّ والعمرة بمنزلة الجهاد

الجهاد ذروة سَنام الإسلام، فضلهُ عظيم، وأجرُ المجاهد والمرابط في سبيل الله كبير، **ولا أدلَّ على ذلك من قول النّبيِّ** ﷺ: «موقفُ ساعة في سبيل الله، خيرٌ من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود».

[صحيح الجامع/ ٦٦٣٦].

والمؤمنون تتوقُ أنفُسُهم إلى الجهاد في سبيل الله، وتشتاقُ أرواحهم للموت في ساحات الوغى وميادين القتال ابتغاء مرضاته -سبحانه وتعالى- فالجهاد قرّة عيونهم، وراحة أرواحهم.

حُبُّ الجهاد سرى بكلّ جوارحي أَرخَصتُ في درب الجهاد دمائيا

ولكن ذلك ليس بمقدور الجميع، ولا يستطيعهُ الكلُّ، فالنّاسُ طبائعهم شتَّى، وقُدراتُهم تتفاوت، هناك المريض، والعاجز، والأطفال والنِّساء، ولربّما وضعَت الحربُ أوزارها.

أفضلُ الجهاد

من فضْل الله علينا أنْ جَعل الحجَّ والعُمرة، نوعٌ من الجهاد؛ بل أفضل أنواعه، لمن كان له عُذر كالنِّساء، ومن عجز عنه، لمرض أو كِبر سنّ وعدم قدرة من الرّجال، ومحالٌ أن يَحرِمَ الله عباده من الخير، وهو الجوادُ الكريمُ، الرَّحمن الرحيم، **فعن عائشة** رضي الله عنها **قالت**: قلتُ: يا رسول الله ! نرى الجهاد أَفضل الأعمال، أفلا نجاهد؟! فقال:

«لَكِن أفضل الجهاد؛ حجٌّ مبرور»، وفي رواية: «نِعمَ الجهاد الحجُّ» رواه البخاري.

✍ **وعنها** ﵂ **أنها قالت**: يا رسول الله ! ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: «لَكُنَّ أحسنُ الجهاد، وأجملُه؛ الحجُّ، حجٌّ مبرور».

قالت عائشة: (فلا أدَعُ الحجَّ بَعد إذ سمعتُ هذا من رسول الله ﷺ). متفق عليه.

وسألَتْهُ: يا رسول الله ! هل على النِّساء من جهاد؟! قال: «عليهنَّ جهادٌ لا قتال فيه؛ الحجّ والعمرة» [صحيح الترغيب/ ١٠٩٩].

✍ وهذا الفضل ليس للنِّساء فقط؛ بل ولمن كبُر سِنّه، أو أصابه عجزٌ بدني أو ضعفٌ، روى النَّسائي **عن أبي هريرة** ﵁ **أنه** ﷺ **قال**: «جهاد الكبير، والضعيف، والمرأة: الحجّ والعمرة» [صحيح الترغيب/ ١١٠٠].

✍ **وعن أمِّ سَلَمة** ﵂ **قالت: قال رسول الله** ﷺ: «الحجُّ جهاد كلِّ ضعيف» [صحيح الترغيب/ ١١٠٢]. فكلّ من أصابه ضعف؛ دخل في عموم هذا الحديث.

✍ **قال عمر بن الخطاب** ﵁: (إذا وضعتم السّروج؛ فشدّوا الرِّحال في الحجِّ، فإنَّه أَحدُ الجهادينِ) [مصنف عبد الرزاق].

حنّى الجبناء شملهم الفضل

وهذه الرَّحمةُ وذاكَ الخيرُ والفضلُ؛ طال حتّى من جَبُنَ عن لقاء العدو، ويَخشى على نفْسه القتل والموت.

فعن الحسين بن علي ﵄ **قال: جاء رجلٌ إلى النّبيِّ** ﷺ **فقال**: إني جبانٌ، وإني ضعيف.

فقال ﷺ: «هلمَّ إلى جهاد لا قتال فيه؛ الحجّ» [صحيح الترغيب/ ١٠٩٨].

مسألة دقيقة

في التفاضلُ بين الحجِّ والجهاد تفصيلٌ وتأصيلٌ؛ بيَّنه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ **فقال**: (النِّساءُ؛ جهادهنّ هو الحجُّ، أمَّا الرِّجال؛ فالجهادُ في سبيل الله أفضل من الحجِّ؛ إلا الفريضة؛ فإنّها أفضل من الجهاد في سبيل الله؛ لأنَّ الفريضةَ ركنٌ من أركان الإسلام) [شرح رياض الصالحين].

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** ﷺ: «إذا قالَ العبدُ: (**الحمدُ لله كثيراً**)؛ قال الله تعالى: اكتبوا لعبدي رحمتي» [صحيح الترغيب/ ١٥٧٨].

الحاجّ في حفظ اللّه تعالى ورعايته

تعهَّد اللهُ لمن خرج في سبيله، وابتغاء مرضاته؛ بالحفظ والرّعاية، والصَّون والحماية؛ وإذا حفظ اللهُ شيئاً؛ فلن يُضيّعه، **قال رسول الله** ﷺ: «ثلاثةٌ في ضمان الله عَزَّوَجَلَّ: رجلٌ خرجَ إلى مسجد من مساجد الله، ورجلٌ خرجَ غازياً في سبيل الله، ورجلٌ خرجَ حاجّاً» [الصحيحة/ ٥٩٨].

إذا توقفَ لِسانُكَ عن ذِكر الله فاحذر؛ فإن المنافقين كانوا لا يَذكرونَ الله إلا قليلاً.

وإذا ما العنايةُ لاحظتك عُيُونها ... نمْ فالمخاوفُ كلُّهـنَّ أمان

◆**وقال رسول الله** ﷺ **لابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «احفظ الله يحفظك».

[صحيح الجامع/ ٧٩٥٧]

أهل الجنة يتحسرون !!

يا الله!! في الجنَّة يتلذّذون ويُنَعَّمُون، ومع ذلك يتحسَّرون ! على ماذا؟

نعم؛ يتحسّرون ويندمون، على أَنفاس مضت وساعات تقضّت من غير ذكرٍ لله ولهجٍ باسمه. وهل تطيبُ المجالس وتحلو إلا بذِكر الله والصلاة على رسولِه ﷺ، **فعن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «ما قعد قومٌ مقعداً لم يذكروا الله ﷻ فيه، ويُصلّون على النّبيِّ ﷺ؛ إلا كان عليهم حَسرةً يوم القيامة، وإنْ دخلوا الجنَّة للثّواب» [صحيح الترغيب/ ١٥١٣].

وقال ﷺ: «ما من ساعة تمرُّ بابن آدم لم يذكر الله فيها؛ إلا حَسِرَ عليها يوم القيامة» [صحيح الجامع/ ٥٧٢٠].

يتحسّرون على أوقات لم يشغلوها بذكر الله، فما حالُ من يُشغل أوقاته بمعصية الله وغضبه؟!

وقد أدرك الصالحون هذا الأمر؛ حتّى قال قائلهم:

(إذا انكشفَ الغطاء يوم القيامة عن ثواب أعمالهم؛ لم يَروا ثَواباً أَفضل من ذكر الله تعالى، فيتحسّر عند ذلك أقوام فيقولون: ما كان شيء أيسرَ علينا من الذِّكر).

وأَلهمني لِذِكركَ طُولَ عُمري ... فإنّ بِذِكْركَ الدُّنيا تَطيبُ

فضل من مات حاجّاً أو معتمراً

الكلُّ سيَموت، وشتّان بين ميتة وميتة، وخاتمة وخاتمة، فالسَّعيدُ من خَتمَ الله له بخير، وتوفَّاهُ على عمل صالح يرضاه، والشَّقيُّ -عياذاً بالله- من خُتم له بسوء، ومات على معصية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه **أنّ النّبيَّ** ﷺ **قال**: «من خرجَ حاجّاً فمات؛ كتبَ الله له أجرَ الحاجّ إلى يوم القيامة، ومن خرجَ معتمراً فمات؛ كتبَ الله له أجرَ المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خَرَجَ غازياً في سبيل الله فمات؛ كتبَ الله له أجرَ الغازي إلى يوم القيامة» [صحيح الترغيب/ ١٢٦٧].

فمن مات في حجٍّ أو عمرةٍ لا يَنقطعُ عمله -بإذن الله- وذلك فضلُ الله يؤتيه من يَشاء، ونسأله سبحانه وتعالى أن لا يَحرمنا من فضله وكرمه، وأنْ يجعل خير أيامنا يوم نلقاه، وخير أعمالنا خواتيمها، وأنْ يتوفَّانا وهو عنّا راضٍ غير غضبان، آمين.. آمين.

قصة وبشارة

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: بينا رجل واقفاً مع رسول الله ﷺ بعرفة؛ إذ وقعَ عن راحلتِه فَأَقْصَعَتْهُ [أي: مات]، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفِّنوه بثوبيه، ولا تخمِّروا رأسَه، ولا تُحنِّطوه، فإنّه يُبعث يوم القيامة مُلَبِّياً» متفق عليه.

نعم يُبعثُ مُلَبياً، فالمرءُ يُبعثُ على ما مات عليه، وعلى حاله التي قُبض فيها، إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشرّ؛ **فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» عن جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما **أنَّ رسولَ الله** ﷺ **قال**: «من مات على شيء؛ بَعثَهُ اللهُ عليه» [صحيح الجامع/ ٦٥٤٣].

✍ **لطيفة..** وكان الإمام البرزالي رَحِمَهُ اللَّهُ إذا قرأ حديثَ الرجل الذي سقَطَ عن ناقته يبكي، ويَرِقُّ قلبه حَنيناً وشوقاً، فَمَاتَ مُحرِماً بـ (خُلَيْصٍ) سنة ٧٣٩هـ [الرد الوافر]. وخُلَيْصٍ؛ حصن بين مكة والمدينة.

عبدٌ أحبّه الله وأراد له الخير

✍ **روى أحمد في «مسنده» عن أبي عِنَبَة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:** «إذا أرادَ الله بعبد خيراً عَسَله». قيل: وما عَسله؟ قال: «يَفتح له عملاً صالحاً قبل موته، ثم يقبضه عليه» [صحيح الجامع/ ٣٠٧].

✍ **وعن عَمرو بن الحَمِق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قالَ: قال رسولُ الله** ﷺ:

«إذا أحبَّ اللهُ عبداً عَسَلَهُ». قالوا: ما عَسَلَهُ يا رسولَ الله؟ قال: « يُوَفِّقُ لهُ عَملاً صالحاً بين يديْ أجلِهِ؛ حتى يَرضى عنه جيرانُهُ -أو قال: من حولَهُ-» [صحيح الترغيب/ ٣٣٥٨].

✍ **وعن أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنّ النّبيّ** ﷺ **قال:**

«إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله». قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفِّقه لعمل صالح قَبْلَ الموت» [صحيح الترغيب/ ٣٣٥٧].

✍ من أجل ذلك؛ كان السَّلفُ يفرَحون بمن يموت على طاعة من الطّاعات، ويُختم له بعمل صالح.

✍ **قال خيثمة** رَحِمَهُ اللَّهُ:(كان يُعجبهم أنْ يموتَ الرَّجلُ عند خيرٍ يعمله؛ إمّا حجّ، وإمّا عمرةٌ، وإما غَزاة، وإمّا صيام رمضان) [صفة الصفوة].

قال عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَجَباً لمن يَهلك ومعه طوقُ النَّجاة ! قيل له: وما طوقُ النَّجاة؟! **قال:** التَّوبةُ والاستغفار.

أكثِروا من الطَّاعات.. وتَعرَّضوا للنَّفحات

الحجُّ موسمٌ كبيرٌ للطاعات، وفرصة عظيمة لجني الحسنات، فتعرَّضوا -عباد الله- فيه لنفحات المولى سبحانه وتعالى، والمغبونُ من ضاع وقته وعمره في غير طاعة الله.

> **قال إبراهيمُ النَّخعيُّ** رحمه الله: (كان يُعجِبهم إذا قَدِموا مكَّة أنْ لا يَخرُجوا منها حتّى يَختموا القرآنَ) [أخبار مكة للأزرقي].

✍ **قال أنس بن مالك** رضي الله عنه: **قال رسول الله** ﷺ: «افعلوا الخير دهرَكم، وتعرَّضوا لنفحات رحمة الله؛ فإنّ لله نفحات من رحمته يُصيب بها مَن يشاء مِن عباده، وسلوا اللهَ أنْ يستر عوراتكم، وأنْ يُؤمِّن روعاتكم» [الصحيحة/ ١٨٩٠]

إذا مَضَت الأوقاتُ في غير طاعةٍ ... ولم تَكُ محزوناً فذا أعظمُ الخطبِ
علامةُ موت القلبِ أنْ لا ترى به ... حِراكاً إلى التَّقوى ومَيلاً عن الذَّنبِ

✍ وكم رأينا وسمعنا عن ارتكابٍ للمعاصي والذّنوب، وانتهاك للحدود والحرمات في تلك البِقاع، فمن إطلاق للنظر، وشرب للدخان والشّيشة، ولعب الورق [الشَّدَّة، البلوت] ناهيك عن الغيبة والسُّباب والكلام الفاحش البذيء؛ بل وألفاظ الكفر والشرك -عياذاً بالله- ولا حوْلَ ولا قوّةَ إلا به.

> ✍ **قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: (إيّاكم وذكرُ النّاس؛ فإنّه داء، وعليكم بذكر الله؛ فإنّه شفاء) [تفسير القرطبي].

أقوال عذبة وصور مُشْرِقة للطائعين

طُوبى لهم من أُناس استعلوا على شهواتهم، وترفّعوا عن الدَّنايا، سارعوا بالطّاعات، وسابقوا للخيرات، كفّـوا عن المعاصي والمنكرات، فأسعدَهم اللهُ في الحياة وبَعد الممات.

✍ **قال رسولُ الله** ﷺ: «ثلاثةٌ يُحبهم اللهُ -وذكر منهم- : والقومُ يسافرون فيطول سُراهَم [أي: مسيرهم] حتّى يُحِبّوا أنْ يَمسّوا الأرض، فيتنحّى أحدُهم فيصلّي؛ حتّى يوقظهم لرحيلهم» [صحيح الجامع/ ٤٧٠٣].

✍ وتأمَّل ـ يا رعاك الله ـ هذه الصور البرّاقة المشرقة؛ لأصحاب الهمم العالية والنُّفوس السامية، وتلك الكلمات الراقية التي تكتب بماء الذهب.

✍ **صورة: قال حمّادُ بن سلمة** رحمه الله: (ما أتينا سليمانَ التَّيميّ في ساعة يُطاع الله ﷻ فيها؛ إلا وجدناهُ مُطيعاً، فإنْ كان في ساعة صلاة؛ وجدناهُ مُصلّياً، فإنْ لم تكن ساعة صلاة؛ وجدناهُ مُتوضئاً، أو عَائداً مَريضاً، أو مُشيّعاً لجنازة، أو قاعداً يُسبِّحُ في المسجد..

فكنّا نَرى أنّهُ يُحسنُ أنْ يعصي اللهَ ﷻ) [صفة الصفوة].

دعاء: كان من دعاء همّام بن الحارث رحمه الله: (اللهمَّ اشفني من النَّوم باليسير، وارزقني سهراً في طاعتك)؛ فكان لا يَنامُ إلا هُنيهةً وهو قاعد. [السير].

✍ **أمّا التَّابعي أبو إدريس الخَولاني** رحمه الله **فإنّه كان يقومُ الليلَ؛ حتّى تتورّم قَدَمَاهُ، ويقول:** (والله لننافِسنَّ أصحابَ محمَّد ﷺ على محمَّد؛ حتّى يَعلَموا أنّهم خَلّفوا وراءَهم رجالاً) [صفة الصفوة].

همّة عالية

✍ **قال عبد الصمد بن سليمان**: كنتُ أَطلبُ الحديثَ عند الإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ فبتُّ ليلة، فوضع الماء عندي، فلما أَصبحَ نظرَ إلى الماء؛ فوجد أنّي لم أَستعمله فقال: **صاحبُ حديث لا يكونُ له وردٌ من الليل !!** فقلتُ: أنا مسافر. فقالَ: وإنْ كُنتَ مسافراً !! لقد حجَّ مسروق العابد؛ فما نامَ إلا ساجداً. [تاريخ دمشق].

✍ **وقال داود بن إبراهيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: حَبسَ الأسدُ الناسَ ليلةً في طريق الحجِّ، ففزعوا واضطربوا، فلمّا كان وقتُ السَّحَر؛ ذهبَ عنهم، فنزلَ الناسُ يَميناً وشمالاً، ثم ناموا، وقام طاوس يُصلّي ! فقال ابنُه: ألا تنام؛ فقد تَعبتَ الليلة؟ فقال طاوس: **ومَن ينامُ السَّحَر؟!** [صفة الصفوة/ بتصرف].

✍ **صورة وسيرة**: **قال ابنُ رَجب الحنبلي في ترجمة ابن القيِّم**:

(كان رَحِمَهُ اللَّهُ ذا عبادةٍ وتَهَجّد، وطول صلاة إلى الغاية القُصوى، وَتَألُّه ولهج بالذِّكر، وشَغفٍ بالمحبّة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله، والإنكسار له، والاطّراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيتُ أوسعَ منه عِلماً، ولا أَعرَف بمعاني القرآن والسُّنَّة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله... وحجَّ مراتٍ كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهلُ مكةَ يَذكُرون عنه من شِدَّة العبادة، وكَثرة الطَّواف أَمراً يُتعجَّبُ منه) [ذيل طبقات الحنابلة].

✓**كان ابنُ خيثم** رَحِمَهُ اللَّهُ **لا يَدعُ قيام السَّحر في حجّهِ.**

✓**وحَجَّ عليّ بن شُعيب** رَحِمَهُ اللَّهُ أكثرَ من خمسين مرّة؛ فكان يُصلّي عند كلّ ميلٍ ركعتين؛ لتشهدَ له البِقاع.

كارثة كُبرى.. وفاجعة عظمى

ما نراه من الحجيج والعُمّار، وهم يَتَسمّرون أمام شاشات التلفزة في مساكنهم التي يقيمون فيها، حيث صور النِّساء والفُسّاق، والأفلام والمسلسلات، وأصوات الموسيقى المنكرة؛ ويتعلّلُ بعضهم بمتابعة الأخبار؛ فيجيز لنفسه النظر إلى المذيعات والفاجرات !!

والحديثُ عن فتنة الهواتف النقالة والانترنت يطول.

إذا ما خلوت الدهرَ يوماً فلا تقل ... خلــوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعــــــةً ... ولا أنّ ما تخفيـه عنه يَغيـــــبُ

عجباً والله !! يا من هاجرت إلى الله، وتركت الأهلَ والمالَ، وصبرت على مشقة السَّفر وطول الطَّريق؛ تبتغي رضوان الله والجنَّة، عجباً لك ! كيف طاوعتك نفسُك أنْ تعصي الله وأنت بجوار بيتِهِ؟ ووالله لو أنّك عصيتَهُ في غير هذه البِقاع لكانت كارثة؛ فكيف وأنت بأقدسها وأَطهرها؟

✍ **قال أبو بكر المروزي: قلتُ لأحمد بن حنبل**: رجلٌ تاب وقال: لو ضُربَ ظهري بالسِّياط ما دخلتُ في معصية الله؛ إلا أنَّه لا يدَع النَّظرَ [أي: للنِّساء]؟

فقال الإمامُ أحمد: أيُّ توبةٍ هذه؟! [السير].

✍ **قال ابن الجوزي** رحمه الله:

(اعْلَم أنّ غضَّ البصر عن الحرام واجب، ولَكَمْ جَلبَ إطلاقه من آفة، وخصوصاً في زمن الإحرام، وكشف النِّساء وجههنّ، فينبغي لمن يتقي الله أنْ يَزجر هواهُ في مثل ذلك المقام، تَعظيماً للمقصود، وقد فَسَدَ خَلقٌ كثيرٌ بإطلاق أَبصارهم هناك) [مثير الغرام الساكن].

✍ **أيّها الحبيب الغالي...**

والله أنت أكبرُ وأجلُّ وأرفعُ من أن تكون اهتماماتُك مسلسلاً تافهاً أو فِلماً ماَجناً، أو مقطعاً قبيحاً، وأقول: أليس من الخُسران والخذلان أنْ نخسر جَنَّةٍ عَرضُها السَّمواتُ والأرض؛ لأجل نظرة محرّمة، وشهوة عابرة؛ تزول مُتعتُها ويبقى لهيبُها يضطرم في أحشائك، وتعيش بعدها خافض الرأس، مُسبل الجَفنِ، واضع الخدّ على الكفّ بما جَنَتْهُ يداك؟!

ومَن طلبَ اللّذاذةَ في حرام تجرَّعَ كأسها كدراً وضيقا

✍ **قال رسول الله** ﷺ: «ثلاثةٌ لا تَرى أعينهم النار يوم القيامة: عينٌ بكت من خشية الله، وعيـنٌ حرست في سبيل الله، وعينٌ غضَّت عن محارم الله».

[الصحيحة/ ٢٦٧٣].

✍ **وقد أفتى العلماءُ الأجلاء والمشايخُ الفضلاءُ**؛ بحُرمة النَّظر إلى صور النِّساء، وسماع الموسيقى والغناء في هذه القنوات وغيرها.

✍ **فاحذر** -أخي الحبيب- أنْ تُبدِّد حسناتك، أو يحبط عملك وأنت لا تشعر، **وقيل قديماً**: (لا تنظر إلى صغر المعصية؛ ولكن انظر إلى عظمة من عصيت).

ومَن كان هذا شأنه؛ فإنّهُ لم يَقدْر الله حقَّ قَدْره، ولم يعظِّم شعائرَه، والله ﷻ يقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

فإيّاك ثمّ إيّاك.. من الذّنوب والمعاصي ـ وخصوصاً ذنوب الخلوات ـ فهي سببٌ لسوء الخاتمة، وبئس ما يَلقى به العبدُ ربَّه، وبئس ما يُسطَّرُ في صحيفتِهِ، ولك أنْ تعيشَ مع هذا الحديث الذي أَجرى مدامع الصَّالحين وأقضَّ مضاجعهم، **فعن ثوبانَ** رضي الله عنه **قال**:

قال رسول الله ﷺ: «لأعلمنَّ أَقواماً من أُمتي يأَتون يوم القيامة بأعمالٍ أَمثال جبال تهامة بيضاء؛ فيجعلها اللهُ هباءً منثوراً».

قال ثوبان: يا رسولَ الله؛ صِفْهُم لنا، حَلِّهِم لنا لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: «أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذونَ من الليل كما تأخذونَ؛ ولكنهم قومٌ إذا خَلَوا بمحارم الله انتهكوها» [صحيح الترغيب/ ٢٣٤٦].

قال ابنُ رجب الحنبلي رحمه الله: **(خاتمة السوء؛ تكون بسبب دسيسةٍ باطنةٍ للعبد لا يطلعُ عليها الناس).**

نداء .. نداء .. نداء
إلى أصحاب الفنادق والشقق السكنية

يا من أكرمكُم الله ورزقكم هذا المال وذاك العَقار، يا من تَقومون على راحة الحجيج والعُمّار، اتقوا الله في ضيوف الرحمن.. اتقوا الله في عباد الله؛ لا تفسدوا عليهم دينهم وطاعتهم بهذه القنوات المحرَّمة التي تَبثُ الفَسادَ وتنشرُ المنكرَ وتُحاد اللهَ ورسولَه ﷺ، فإنّ لكم بين يدي الله موقفاً يسألكم فيه؛ فما أنتم فاعلون؟ وبماذا تُجيبون؟!

وقد وُجِدَ ـ والحمدُ لله ـ أَجهزة تستقبلُ ـ فقط ـ القنوات الإسلامية الهادِفة والمحافِظة؛ التي تزيد الإيمان وترتقي بالمسلم إلى معالي الأخلاق.

يا أحبابنا؛ أنتم في أَقدسِ مكان وأَشرفِ بُقعة، أَنتم في بلاد التَّوحيد ومَهبط الوحي ومنبَع الرِّسالة، فاحفظوا الأمانة التي شَرَّفكم الله بحملها وأكرمكم بنيلها.

أيّها الحاجّ والمعتمر ! تواضَعْ لله

إنَّ من برِّ الحجِّ التواضع، وإنّ مِن أعظم الثّمرات التي يَجنيها الحاجُّ والمعتمر -من هذه العبادة- التّواضع، وما هذا اللباس المُوحَّد، وتلك الهيئة التي يكونون عليها؛ إلا دليل تواضع وذلّ لله.

والتواضع صفةُ الأنبياء وحليةُ الأولياء، وقد وعدَ اللهُ المتواضعين على لسان رسوله ﷺ بالرِّفعة في الدُّنيا والآخرة. **قال** ﷺ: «ما تواضع أحدٌ لله؛ إلا رفَعَهُ الله» [مسلم].

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه **أن النّبيَّ** ﷺ **خطبَهم فقال**: «إنّ الله أوحى إليَّ أنْ تواضعوا؛ حتى لا يَفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يَبغي أحدٌ على أحدٍ» [مسلم].

وقيل: (علامةُ التواضع؛ أنْ يعتقدَ الإنسانُ أنّ كلَّ مسلم خيرٌ منه).

مَلأى السنابل تنحني بتواضع ... والفارغاتُ رؤوسهنَّ شوامخ

وقفَ مُطرِّفُ بنُ عبد الله بن الشِّخِّيرِ وبكر بن عبد الله المزنيّ بعرفة. فقال مُطَرِّف: (اللهمَّ لا تردّهم اليومَ من أجلي).

وقال أبو بكر: (ما أشرفَه مِن مَقام وأرجاهُ؛ لو لا أنّي فيهم) [صفة الصفوة].

قصة

قال أحدُ الصّالحين: رأيتُ فتى مُترفاً يطوف بالكعبة المشرَّفة، وحوله خدمٌ؛ يَمنعون النّاس من الطواف حتى لا يُزاحِمَهُ أحد. ثم مرّت سُنون فرأيتُه على جسر (الرَّصافة) يسألُ النّاسَ، فسألتُه: ما الذي جرى؟ قال: تكبَّرتُ في موضع يتواضع النّاسُ فيه، فأذلَّني الله في موضعٍ يتكبرُ النّاسُ فيه.

إنّ كريمَ الأصل كالغُصن كلّما ... ازداد من خير تواضعَ وانحنى

ذِكرُ الله

ذِكرُ الله تعالى مِن أجلِّ القُربات، وأفضل الطاعات، وهو من أيسر العبادات وأسهلها؛ فالذِّكرُ خفيفٌ على اللسان، ثقيلٌ في الميزان، حبيبٌ إلى الرَّحمن، يُتقِنُهُ كلّ واحد، الكبير والصغير، الذَّكَر والأنثى، العالِـمُ ومَن دُونَه، ولا يحتاج إلى هيئة مُعَينة أو مكان مُعين؛ بل على أيِّ حال: قائماً.. قاعداً.. مُتكئاً.. على جَنب.. على طهارة أو بدونها.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ **وقال** ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾.

إذا مرضنا تداوينا بذِكركمُ ونتركُ الذِّكر أحياناً فننتكسُ

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان أهل الجاهلية يَقِفونَ في الموسم، يقول الرَّجلُ منهم: كان أَبي يُطعم، ويحمل الحمالات، ليس لهم ذِكرٌ غير ذكر فعال آبائهم، فأنزل الله على محمَّدٍ ﷺ: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾.

ومن مقاصد الحجّ وأهدافِهِ؛ تعظيمُ الله وذكرُهُ، **وقد فَطِنت السيِّدة عائشة** رضي الله عنها **لذلك فقالت:** (إنما جُعِل الطَّواف بالبيتِ، وبين الصَّفا والمروةِ، ورمي الجمارِ؛ لإقامة ذِكر الله).

قال معاذُ بنُ جبل رضي الله عنه: (ما شيء أَنجى من عذاب الله؛ من ذِكْر الله) [صحيح الترغيب/ ١٤٩٣].

ذهبَ الذاكرونَ بالخير كلِّه

✍ **روى الإمام أحمد في «مسنده» عن أَبي الدرداء** رضي الله عنه **أنَّ رسولَ الله** ﷺ **قال:**

«ألا أُنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير من إنفاق الذَّهب والوَرِق [أي: الفضة]، وخير لكم من أنْ تَلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويَضربوا أعناقكم؟».

قالوا: بلى. قال: «ذِكْر الله» [صحيح الترغيب / ١٤٩٣].

✍ **وعن أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه **أنّ النبيَّ** ﷺ **قال:** «مَثَلُ الذي يَذْكُرُ ربَّه والذي لا يَذْكُرُ ربَّه، مَثَلُ الحيِّ والميت» [البخاري].

كثرة ذكره علامة حُبّه

✍ **قال أبو حمزة البغدادي** رحمه الله: (من المُحال أن تُحبّه ثمّ لا تَذكره، ومن المُحال أنْ تَذكُره ثم لا يُوجِدك طَعمَ ذِكره، ومن المُحال أن تجد طعم ذكره، ثم يُشغلك بغيره) [سير أعلام النبلاء].

✍ **وذكرَ الرَّبيعُ عن بعض أصحابه أنه قال:** (علامةُ حفظ الله، كثرةُ ذكره، فإنك لن تُحبَّ شيئاً إلا أكثرتَ ذِكرَهُ).

من أقوال السَّلف في فضل الذّكر

✍ **قال أبو بكر الصدّيق** رضي الله عنه: (ذهبَ الذَّاكِرون الله بالخير كلِّه).

✍ **قال أبو الدّرداء** رضي الله عنه: (لكلِّ شيء جلاء، وإنّ جلاءَ القلوبِ ذكرُ الله ﷻ).

✍ **قال ابن القيّم** رحمه الله: (إنّ في القلب قسوة، لا يُذيبها إلا ذِكر الله تعالى).

✍ **وقال أيضاً**: (إنّ أفضلَ أهل كلِّ عملٍ؛ أكثرهم فيه ذِكراً لله تعالى، فأفضلُ الصوّام؛ أكثرهم ذِكراً لله تعالى في صومه، وأفضلُ الحجّاج؛ أكثرهم ذِكراً لله، وأفضلُ المتصدّقين؛ أكثرهم ذِكراً لله ﷻ، وهكذا سائر الأعمال) [الوابل الصيب].

✍ **قال ذو النون** رحمه الله: (ما طابت الدُّنيا إلا بذِكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنّة إلا برؤيته).

✍ **قال أبو الحسين الورّاق** رحمه الله:

(حياةُ القلب؛ في ذِكر الحيِّ الذي لا يَموت).

✍ **ومَن ذَكَرَ اللهَ؛ ذكرهُ اللهُ في الملأ الأعلى، قال يحيى بن معاذ** رحمه الله: (يا جَهول يا غَفول؛ لو سمعتَ صريرَ القلمِ حين يَجري في اللوح المحفوظ بذِكْرِكَ؛ لمتَّ طَرباً) [حلية الأولياء]

العمرة في رمضان

إنّ فضل الله علينا عظيمٌ، فقد عَلِمَ -سبحانه- أن الذين يرغبون بأداء فريضة الحجّ كُثُر؛ لكن الاستطاعة ليست عند الجميع؛ فعوَّضهم بالعمرة في رمضان؛ فإنه تعدل أجر حجَّة، و جاء في بعض الروايات: تعدل حَجَّةً مع النّبيِّ ﷺ.

☜ **جاءت أمُّ سُليم إلى رسول الله ﷺ فقالت**: حجَّ أبو طلحة وابنُهُ، وترَكاني! فقال ﷺ: «يا أمَّ سليم؛ عمرةٌ في رمضان؛ تعدلُ حجَّةً معي».

[صحيح الترغيب/ ١١١٨]

☜ **وعن أمِّ معقل** رضي الله عنها **قالت**: لما حجَّ رسولُ الله ﷺ حجَّة الوداع، وكان لنا جمل، فجعله أبو مَعْقَلٍ في سبيل الله، قالت: وأَصابنا مرض، وهلَكَ أبو مَعْقَلٍ.

قالت: فلما قفلَ رسول الله ﷺ من حجِّه [أي: رجع] فقال: «يا أمَّ مَعْقَلٍ؛ ما منعك أن تخرجي معنا؟!» قالت: يا رسول الله؛ لقد تهيأنا؛ فهلك أبو مَعْقَلٍ، وكان لنا جمل هو الذي نحجُّ عليه، فأوصى به أبو مَعْقَلٍ في سبيل الله. قال: «فهلاَّ خرجت عليه؛ فإنَّ الحجَّ في سبيل الله، فأمّا إذ فاتتك هذه الحجَّة، فاعتمري في رمضان؛ فإنها كحجَّة».

☜ **وفي رواية**: «وإن عُمرة في رمضان؛ تعدل حجَّة، أو تجزي حجَّة».

☜ **وفي رواية ثالثة أنها قالت**: يا رسول الله؛ إنِّي امرأةٌ قد كبرْتُ، وسَقِمتُ؛ فهل من عمل يُجزئُ عنّي من حَجَّتي؟ قال: «**عُمرة في رمضان؛ تعدل حجَّةً**» [صحيح الترغيب/ ١١١٩].

☜ **قال ابنُ العربي**: (حديثُ العُمرة هذا صحيح، وهو فضلٌ من الله ونعمة؛ فقد أدركتْ العُمرةُ منزلةَ الحجِّ بانضمام رمضانَ إليها) [فتح الباري].

الحجّ والعمرة باب من أبواب الرِّزق

يظنُّ كثيرٌ من النّاس أنَّ الحجَّ والعُمرةَ؛ سببٌ من أسباب ضياع المال وفقدانه، وجالبة للفقر والبؤس، وما دروا أنّ الحجَّ والعمرةَ سببٌ من أسباب الرّزق وتكثيره، وبابٌ من أبواب الخير والفضل والبركة، وبهما يدفعُ اللهَ الفقرَ والعَوَز، ويُخلِفُ بأفضل مما أُنفق في سبيلهما، وذلك فضل الله وحده.

عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «أديموا الحجَّ والعمرة؛ فإنهما يَنفيان الفقرَ والذُّنوبَ؛ كما يَنفي الكيرُ خبثَ الحديد» [الصحيحة/ ١١٨٥].

وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ:

«تابعوا بين الحجِّ والعمرة؛ فإنهما يَنفيَان الفقرَ والذُّنوبَ، كما يَنفي الكيرُ خبثَ الحديدِ والذّهبِ والفضَّةِ، وليس للحجَّة المبرورة ثَوابٌ إلا الجنَّةَ».

[صحيح الترغيب/ ١١٠٥]

قال المناوي رحمه الله:

(خُصَّ الحديدُ الذي هو أَشدُّ المُنطبِعاتِ صلابةً وأكثرها خُبثاً، إشارة إلى أنَّ الفقر وإنِْ اشتدَّ، والذُّنوبَ وإنْ خَبثَت وعظمت؛ يزيلهما المداومة على النُّسُكين) [أي: الحج والعمرة].

رائعة من الروائع

✍ **قال حاتم الأصمّ لأولاده:** إني أُريد الحجَّ، فبكوا، وقالوا: إلى من تكِلنَا؟

فقالت إحدى بناته: اسكتوا، دعوه؛ فليس هو برزَّاق، الله هو الرَّزاق، فباتوا جياعاً، وجعلوا يوبِّخون البنت، فقالت: اللهمَّ لا تُخجلني بينهم.

فمرَّ أميرُ البلد، وطلب ماءً؛ فناولَه أهلُ حاتم كُوزاً جديداً فيه ماء بارد فشرب، وقال: دارُ من هذه؟ قالوا: دارُ حاتم الأصمّ.

فرمَى فيها صرّة من ذهب، وقال لأصحابه: من أَحبَّني فعل مثلي، فرمى مَن حولَه كُلُّهم مثله.

فجعلت ابنةُ حاتم تبكي، فقالت لها أمُّها: ما يُبكيك وقد وسَّعَ الله علينا؟! فقالت: مخلُوقٌ نَظَرَ إلينا فاستغنينا.

أي: فما ظنك -يا أمَّاه- برحمة الخالق جلَّ وعلا الذي سخّر لنا هذا المخلوق؛ فعطّفه علينا؟

✍ **روى الإمامُ أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أنه قال: قال رسول الله** ﷺ: «إنّ الله تعالى يقول: يا ابنَ آدم؛ تفرَّغ لعبادتي أملأ صدركَ غنى، وأَسُدَّ فقركَ، وإنْ لا تفعل؛ ملأتُ يديك شُغلاً، ولم أَسُدَّ فقرك» [صحيح الجامع/ ١٩١٤].

> **قال رسول الله** ﷺ: «ليس أحدٌ أفضلَ عند الله من مؤمنٍ يُعَمَّرُ في الإسلام؛ لتكبيرِهِ وتحميدِهِ وتَسْبِيحِهِ وتَهْلِيلِهِ» [الصحيحة/ ٦٥٤].

لا تخش الفقر

◆ **يقول الله تعالى:** ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

◆ **قال زيد بن ثابت** رضي الله عنه: **سمعتُ رسول الله** ﷺ **يقول:**

«من كانت الدُّنيا هَمَّهُ؛ فرّق الله عليه أَمره، وجعلَ فقرَهُ بين عينيه، ولم يأتِهِ من الدُّنيا إلا ما كُتبَ له، ومن كانت الآخرة نيَّتُه؛ جَمَعَ الله له أمرَهُ، وجعلَ غِناهُ في قلبه، وأتته الدُّنيا وهي راغمةٌ» [صحيح الترغيب/ ٣١٦٨].

◆ **ومن جميل ما قالَهُ ابنُ القيّم** رحمه الله **في كتابه «الفوائد»:**

(إذا أَصبحَ العبدُ وأَمسى، وليس همّهُ إلا الله وحْدَه؛ تَحمَّلَ اللهُ سبحانه حوائجَه كلّها، وحمَلَ عنه كلَّ ما أَهمّه، وفرَّغَ قلبَهُ لمحبَّتِهِ، ولسانَه لذكره، وجوارحه لطاعته.

وإنْ أَصبحَ وأَمسى والدُّنيا هَمَّه؛ حَمَّلَهُ اللهُ هُمومَها وغُمومَها وأَنكادَها، ووكَلَهُ إلى نَفْسِهِ، فشَغلَ قلبَه عن محبَّتِهِ بمحبَّةِ الخَلق، ولسانَهُ عن ذِكْرِهِ بذكْرهم، وجوارَحَه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم).

✸ **قال رسولُ الله** ﷺ: «أَحبُّ الكلام إلى الله أَربع: سُبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ لا يَضرُّك بأيهنَّ بدأتَ، وهنَّ من القرآن» [صحيح الترغيب/ ١٥٤٦].

✸ **وقال** ﷺ: «إنّ الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ لتُساقط من ذنوب العبد كما تساقطُ ورق هذه الشجرة».

[صحيح الجامع/ ١٦٠١]

مناسكُ الحجِّ والعمرة

الإحرام

الإحرام هو النيّة في الدّخول بالنُّسك، ولو لم يتلفظ بها. **قال أنس** رضي الله عنه : حجَّ النّبيُّ ﷺ ... **ثم قال**: «اللهمَّ حجَّةٌ لا رياء فيها ولا سُمعةٌ».

[صحيح الترغيب/ ١١٢٢]

من السُّنّة؛ الاغتسال إذا أراد الإحرامَ، **قال عبدُ الله بن عمر** رضي الله عنهما : (من السُّنّة أنْ يغتسل إذا أرادَ الإحرام، وإذا أرادَ دخول الكعبة).

ومن السُّنّة أيضاً؛ التطيُّب، ويكون للجسم لا لملابس الإحرام، **فعن أمِّ المؤمنين عائشة** رضي الله عنها **قالت**: (كان رسول الله إذا أرادَ أن يُحرِمَ؛ يَتَطَيَّبُ بِأَطْيَبِ ما يَجِدُ) رواه مسلم.

وإذا أراد الدخول في نُسك الحجِّ أو العمرة يقول: لبيك اللهم بحجٍّ.. لبيك اللهمَّ بعمرة لا رياء فيها ولا سمعة. وبهذا يكون قد بدأ مناسكه.

فائدة

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

(وليُعلم أنّ جميع محظورات الإحرام -إذا لم يتعمَّدها الإنسانُ، ووقعت على سبيل الخطأ- فإنّه لا حرجَ عليه؛ **لأنَّ الله سبحانه وتعالى قال في كتابه**: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ **وقال سبحانه وتعالى**: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فقال الله تعالى: قد فعلتُ) [فتاوى أركان الإسلام].

التلبية

التلبيةُ؛ ذِكرٌ وتعظيمٌ وخضوعٌ وخشوعٌ لله ﷻ، وهي من شعار الحجِّ، **قال ابنُ حَجَر في «الفتح» في معنى لبَّيْكَ**: (أي: إجابة بَعد إجابة.. وقيل: معنى لبَّيْكَ؛ اتجاهي وقصدي إليك).

قال محمَّد بن إبراهيم الحمَد: (ثم إنّ شعار الحاجِّ مُنذ إحرامه إلى حين رمي جمرة العقبة والحَلق: لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ، لبَّيْكَ لا شريك لك لبَّيْكَ. ومعنى ذلك: أَنّني خاضع لك، منقادٌ لأمرك، مستعدٌّ لما حمَّلتني من الأمانات؛ طاعة لك واستسلاماً، دونما إكراهٍ أو ترددٍ.

وهذه التلبيةُ تُرهِفُ شُعور الحاجِّ، وتوحي إليه بأنه ـ منذ فارق أهله ـ مُقْبِلٌ على ربِّه، مُتجرِّدٌ عن عاداته ونعيمه، مُنسلخٌ من مفاخره ومزاياه).

قال سهل بن سعد رضي الله عنه **قال رسول الله** ﷺ: «ما مِن مُلبٍّ يلبّي؛ إلا لبّى ما عن يمينه وشماله من حَجر، أو شجر، أو مَدَر؛ حتى تنقطعَ الأرض من هاهنا وهاهنا، عن يمينه وشماله» [صحيح الترغيب/ ١١٣٤].

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **سُئل**: أي الأعمال أفضل؟ ـ وفي رواية: سُئل: ما برُّ الحجّ؟ ـ قال: «العجّ، والثجّ».

قال وكيع رحمه الله: (يعني بالعجّ؛ العجيجُ بالتلبية، والثّجّ؛ نَحرُ البُدن) [صحيح الترغيب/ ١١٣٨].

> **كَانَ القاضي شُرَيح** رحمه الله إذا أحرمَ؛ كأنَّه حَيّةٌ صمَّاء
> [الطبقات الكبرى]

وقال ابن قُدامة المقدسي رحمه الله: (فيُستحبُّ للمُحرم أن يَشتغلَ بالتلبية وذِكر الله تعالى، أو قراءةِ القرآن، أو أَمرٍ بالمعروف أو نهيٍ عن المنكر، أو تعليمٍ لجاهل) [المغني].

إليك إلهي قد أتيتُ مُلبّياً ... فبارك إلهي حجّتي ودُعائيا
قصدتُك مُضطراً وجئتُك باكياً ... وحاشاكَ ربّي أنْ تَرُدَّ بكائيا
كفاني فخراً أنني لك عابد ... فيا فرحتي إنْ صِرتُ عبداً مواليا
أتيتُ بلا زاد وجودُك مَطمعي ... وما خاب مَن يهفو لجودك ساعيا
إليك إلهي قد حضرتُ مُؤمِّلاً ... خلاصَ فؤادي من ذنوبي مُلبّيا

وقفات

ينبغي للمسلم عند التلبية أنْ يستحضرَ عقلَهُ، ويجمع قلبه؛ فهو على وشك الدّخول في النُّسك والتَّلبُّس بالإحرام.

لما حجَّ علي بن الحسين -زين العابدين- رحمه الله أراد أن يُلبّي؛ فارتعدت فرائصُهُ، وارتعش جسمُهُ، واحمرَّ لونُهُ ! فقيل له: ما لك؟ قال: أخشى إنْ قلتُ: لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ، أن يقال لي: لا لبَّيْكَ ولا سعديكَ !

وذَكرَ ابنُ الجوزي في كتابه «المنثور» أنّ جعفراً الصَّادق رحمه الله لمّا حجّ أراد أنْ يُلَبّي فتغيّر وجهُه، فقيل له: ما لك يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ؟ فقال: أريد أن أُلبّي، وأخاف أن أسمعَ غير الجواب.

رفعُ الصوت بالتلبية

قال رسول الله ﷺ: «أمرني جبريلُ برفع الصوت في الإهلال؛ فإنّه من شِعار الحجِّ» [صحيح الجامع/ ٢٢٦٤].

عن خلّاد بن السّائب عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبرائيل، فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتّلبية» [صحيح الترغيب/ ١١٣٤].

✍ **عن جابر وأبي سعيد الخدري** رضي الله عنهما **قالا:** (قدِمنا مع النّبيِّ ﷺ فنحن نصرخ بالحجِّ صُراخاً) [مسلم].

✍ **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه **عن النّبيِّ** ﷺ **قال:** «ما أهلَّ مُهِلٌّ قطّ، إلا بُشِّرَ، ولا كبَّر مكبِّرٌ قطّ، إلا بُشِّرَ» قيل: يا رسول الله بالجنّة؟!

قال: «نعم».

وفي رواية: «ما أهلّ مُهِلٌّ قطّ؛ إلا آبَتِ الشمسُ بذنوبه».

قال المنذريُّ رحمه الله: (أهلَّ الملبي؛ إذا رفع صوته بالتلبية).

[صحيح الترغيب/ ١١٣٧]

✍ فهذه الأحاديث تحُثّ الحاجَّ والمعتمر على رفع الصوت بالتلبية؛ فما بالُنا نجد رجالاً لا يَرفعون أصواتهم، ولربّما اكتفوا بالسّماع، ولم يحركوا ألسنتَهم بالتلبية، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

وقد كان أصحابُ النّبيِّ ﷺ إذا أحرموا لم يبلغوا (الرَّوْحاء) حتى تُبحَّ أصواتُهم. [مناسك الحجّ والعمرة/ الألباني]

والرَّوحاء؛ مكانٌ يَبعُد عن المدينة نحو أربعين ميلاً.

الرسلُ والأنبياء -عليهم السلام- يُلبّون

✓ نَعم يُلبّون، ويرفعون أصواتَهم بالتلبية، **قال** ﷺ: «كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثَّنِية، له جُؤارٌ إلى الله تعالى بالتلبية» [مسلم].

✓ **وروى أحمد في «مسنده» عن ابن عباس** رضي الله عنهما **أنّ النبيّ** ﷺ **قال:** «كأنّي أنظرُ إلى يونس على ناقةٍ خطامها ليفٌ، وعليه جُبّةٌ من صوف، وهو يقول: لبّيك اللهمَّ لبّيك» [صحيح الجامع/ ٤٤٧٠].

✓ **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «والذي نفْسي بيده ! ليُهِلّنَّ ابنُ مريم بفجِّ الرَّوحاء؛ حاجّاً أو مُعتمراً، أو ليثنينّهما [أي: يقرن بينهما]» [مسلم].

قال النّوويّ رحمه الله **في شرحه الحديث**: (وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام من السّماء في آخر الزمان).

نحُجُّ لبيتٍ حجَّهُ الرسْلُ قَبلَنا لِنشهدَ نَفعاً بالْكتاب وُعِدناهُ

النّساء والتلبية

قال سيّد سابق رحمه الله **في كتابه «فقه السُّنّة»**: (أمّا المرأة فتُسمِعُ نفْسها ومن يليها، ويكرهُ لها أنْ ترفعَ صوتَها أكثر من ذلك، وقال عطاء: يرفعُ الرِّجالُ أصواتَهم، وأمّا المرأة فتُسمِعُ نفْسها، ولا ترفعُ صوتَها).

من ألفاظ التلبية

لبّى النّبيُّ ﷺ **قائلاً**: «لَبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شريك لك لَبَّيْكَ، إنّ الحمدَ والنِّعمة لك والملك، لا شريك لك» متفق عليه.

وثبتَ عنه ﷺ **أنه كان يقول:**

« لَبَّيْكَ إله الحقِّ لَبَّيْكَ»، و« لَبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْكَ، إنّما الخيرُ خير الآخرة».

[صحيح الجامع/ ٥٠٥٧و٥٠٥٨].

وأقرَّ النّبيُّ ﷺ **أصحابه** رضي الله عنهم **على تلبيتهم:**

(لَبَّيْكَ ذا المعارج، لَبَّيْكَ ذا الفواضل). [صحيح أبي داود/ ١٥٩٠].

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما **يزيدُ التلبية فيقول:**

(لَبَّيْكَ وسعديكَ، والخير بيديك، والرّغباء إليك والعمل) متفق عليه.

تلبية المريض والاشتراط

من كان مريضاً وأرادَ أنْ يُحرِمَ بالحجِّ والعمرة، وعنده شكٌّ في قُدْرتِهِ على إتمام المناسك؛ فيُحرم ويُلبي، ويشترط؛ **فعن عائشة** رضي الله عنها **قالت**: دخل النّبيُّ ﷺ على ضُباعة بنت الزُبير، فقال لها: «لعلَّكِ أردت الحجَّ؟» قالت: والله؛ لا أجدني إلا وَجِعة، فقال لها:

«حجّي واشترطي، قولي: اللهمَّ مَحِلِّي حيث حَبَستني» متفق عليه.

وفي رواية: قال لها ﷺ: «قولي: لَبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْكَ، ومحِلِّي من الأرض حيث تحبسُني؛ فإنّ لكِ على ربِّك ما استثنيتِ» [صحيح الجامع/ ٤٤٢٥].

معنى الاشتراط

قال ابن عثيمين رحمه الله: (أي: إنْ منعني مانعٌ من إتمام نُسكي من مرض أو تأخرٍ أو غيرهما؛ فإني أحلُّ بذلك من إحرامي).

وفي الحديث تخفيفٌ ورحمةٌ من الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾.

السواك للمحرم

كفى فخراً بالسِّواك أنّ فيه رضوان الله تعالى، **قال رسول الله** ﷺ: «السِّواك مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» [صحيح الجامع/ ٣٦٩٥].

ولولا المشقة؛ لكان السِّواك فرضاً مع الصَّلاة والوضوء.

قال ليث: كان عطاء وطاوس ومجاهد يَستَحِبُّون السِّواك للمحرم. ذَكَرَهُ ابن ابي شيبة في «المصنّف»، وذكرَ أيضاً أنّ:

أبا بكر قال: قلتُ لعكرمة: هل يَستاكُ المحْرِم؟

قال: نعم؛ السِّواك طهارة.

الطَّواف بالبيْت

أَمَرَ اللهُ نبيَّهُ إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام- أنْ يُهيؤوا البيت ويطهروه للعُبَّاد والزّائرين، وعلى رأسهم الطائفين فقال سبحانه تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾

الطَّوافُ وما أدراك ما الطَّواف؟.. أَنيسُ الحجّاج والمعتمرين، ومتعةُ الطَّائفين والوافدين، **مَن ذاق عرَفَ، وليس مَن طاف كمن وقف**، هناك تُسكب العبَرات، وترتفع إلى الله الدعوات، سكينةٌ وخشوع، ذلٌّ للمولى وخضوع، أَنسَاهم الطَّوافُ الأهلَ والأحبابَ، وشغلَهم عن الخلان والأصحاب، همهمُ الأكبر أنْ يرضى الله عنهم، وشُغلهم الشاغل الغفران يوم الحساب.

ذِكْرى

للبيت آدابٌ ظاهرة وباطنة، **قال ابن قدامة المقدسي** رَحِمَهُ اللهُ: (إذا رأى البيْت الحرام استحضرَ عظمته في قلبه، وشكرَ الله تعالى على تبليغه رتبة الوافدين إليه، وليستشعر عظمة الطَّواف به، فإنه صلاة، ويعتقد عند استلام الحَجر أنه مبايع لله على طاعته، ويضم إلى ذلك عزيمته على الوفاء بالبيعة، وليتذكر بالتعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم؛ لَجْأ المذنب إلى سيِّده وقُربَ المحبِّ) [مختصر منهاج القاصدين]

قال الشريف حاتم بن عارف العوني:(تطوفُ قلوبهم بأجسادهم لا أجسادُهم بقلوبهم...تراهُ يَطأ أرض المطاف، وهو يَشْعُرُ أنَّه يَطأ النّجوم) [عطاءات البلد الحرام].

◈ **قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: دخلتُ مكة، وكنتُ أَقعدُ بحذاء الكعبة، وربّما كنتُ أَستلقي وأمدُّ رجلي، فجاءتني عائشة المكّيّة ـ وكانت من العابدات ممن صحبَ الفضيل بن عياض ـ فقالت لي:

يا عبد الله ! يُقال: إنّك عالِمٌ! اقبَلْ منّي كلمة:

(لا تُجالسْهُ إلا بأدب، فيمحو اسمك من ديوان القُرب) [صفة الصفوة].

حكمة

قال بعضُ أَهل العلم: من الحِكم في طواف الطائف والكعبة على يساره؛ ليكون القلب قريباً منها، مُتعلِّقاً بها.

فضل الطَّواف

مرَّ معنا قولُ رسول الله ﷺ: «أما طوافك بالبيْت بعد ذلك؛ فإنك تطوف ولا ذَنْب، يأتي مَلَكٌ حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما تَستقبل؛ فقد غُفِرَ لك ما مضى» [صحيح الترغيب/ ١١١٢].

☜ **عن عبد الله بن عبيد بن عمير** رضي الله عنه **أنّه سمع أباه يقول لابن عمر** رضي الله عنهما: ما لي لا أراك تستلمُ إلا هذين الرُّكنين الحَجر الأسود، والرُّكن اليماني؟! فقال ابن عمر: إنْ أفعل فقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ استلامهما يَحطُّ الخطايا».

قال: وسمعتُه يقول: «من طاف أُسبوعاً يحصيه، وصلّى ركعتين؛ كان كعدل رقبة». أسبوعاً يعني سبعة أشواط.

قال: وسمعتُه يقول: «ما رفع رَجلٌ قَدَماً ولا وضعَها؛ إلا كتبَ له عشرُ حسنات، وحطَّ عنه عشرُ سيئات، ورفعَ له عشرُ درجات».

وسمعتُه يقول: «إنّ مسحها؛ كفارة للخطايا».

وسمعتُه يقول: «لا يَضع قدماً، ولا يرفع أخرى؛ إلا حطّ الله عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة».

ورواه ابن حبان في «صحيحه» مختصراً أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مسح الحَجر، والرُّكن اليماني؛ يحط الخطايا حطّاً» [صحيح الترغيب/ ١١٣٩].

☜ **وعن محمّد بن المنكدر عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ**: «من طاف بالبيْت أُسبوعاً، لا يَلغو فيه؛ كان كعدل رقبة يعتقها».

[صحيح الترغيب/ ١١٤٠].

●● والطَّواف سبعة أشواط، تبدأ من الحَجر الأسود، وتنتهي عنده، ومن شكَّ في العدد؛ بنى على اليقين ـ أي العدد الأقل ـ وأكملَ.

الطَّواف صلاة

شبَّهَ الرسولُ ﷺ الطَّوافَ حول البيْت بالصَّلاة، لكن أُذن لنا فيه بالكلام، وأنْ لا نتكلَّمَ إلا بخير، لا كما يفعل بعضُهم من حديث دُنيوي، أو رُبّما فتح هاتفه الجوال وأَسهب في الحديث وشرَّقَ وغرَّب !!

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «الطَّواف حول البيْت صلاة، إلا أنكم تتكلَّمُون فيه، فمن تكلَّمَ فلا يتكلَّمُ إلا بخيرٍ».

[صحيح الترغيب/ ١١٤١].

وعنه أنَّ النّبيّ ﷺ قال: «الطّوافُ صلاةٌ، فأقلِّوا فيه الكلام».

[صحيح الجامع/ ٣٩٥٦].

طوافُ الصّالحين

هكذا كان طوافُهم بالبيت، وهكذا كان حالُهم وسَمْتُهم ومنطقهم، فما هو حالُنا مع الطَّواف؟

فهذه آثارُهم تدلُّ عليهم، فاسْلُكوا سبيلَهم، وسيروا على نهجهم؛ تَهتدوا.

قالت عائشة رضي الله عنها: (إنما جُعل الطَّوافُ بالبيت، وبين الصّفا والمروة، ورمي الجِمار؛ لإقامة ذِكْر الله).

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (الطَّواف بالبيت صلاة، ولكنّ الله أَحلَّ فيه المنطق، فمن نَطَقَ؛ فلا ينطق إلا بخير).

وفي لفظ آخر قال: (الطَّواف بالبيت صلاة؛ فأقِلُّوا الكلام فيه).

[مصنف ابن أبي شيبة].

ووصف ابن عباس رضي الله عنهما **أَهل مكة وقريش وحُسن طوافهم فقال**: (أسعدُ النّاس بهذا الطَّواف، قريش وأهلُ مكة؛ وذلك أنهّم أَلين النّاس فيه مناكب، وأنهم يَمشون فيه التُّؤدة) [أخبار مكة للأزرقي].

وكان أبو سعيد الخدريِّ رضي الله عنه يأمر بَنيهِ إذا طافوا أن لا يَلْغوا في طوافهم، ولا يَعصوا خِلسة، ولا يُكلِّموا أحداً؛ حتى يَقضوا طوافهم ـ إن استطاعوا ـ [مصنف ابن أبي شيبة].

قال عطاء: (طُفتُ وراء ابنِ عمر وابنِ عباس؛ فلم أسمع أحداً منهما يَتكلّمُ في الطَّواف) [مصنف ابن أبي شيبة].

وهذا الذي رآه عطاء رحمه الله **من ابن عمر وابن عباس؛ جعله يُذَكِّر المسلمين قائلاً**: (من طافَ بالبيت؛ فليدَع الحديثَ، وليذكر اللهَ؛ إلا حديثاً ليس به بأس، وأحبّ إليَّ أنْ يَدع الحديثَ كلَّه؛ إلا ذِكْرُ الله والقرآن) [مصنف عبد الرّزاق].

☜ **جاء في «مصنف ابن أبي شيبة»**

قال نافعٌ: طُفتُ مع طاوس؛ فلم أسمعه يَبدأُ إنساناً بالكلام، إلا أن يُكلِّمَهُ فيُجيبه.

وطاوس رَحِمَهُ اللَّهُ **هو الذي قال**: (إني لأَعدها غنيمة أن أطوف بالبيت أُسبوعاً [أي: سبعة أشوط]، لا يُكلِّمني أحد).

☜ **وقال عبد المجيد بن أبي رواد** رَحِمَهُ اللَّهُ: (كانوا يطوفون بالبيت خاشعين ذاكرين؛ كأنَّ على رؤوسهم الطّير وقعَ، يَستبينُ لمن رآهم أنه في نُسكٍ وعبادة) [مثير الغرام الساكن].

☜ **وكان أُميَّة الشَّاميُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ **يدخل الطَّواف**؛ فيأخذ في البكاء والنَّحيب، وربّما سقط مَغشيّاً عليه. [صفة الصفوة].

﴿ طواف القدوم ﴾

❀ من السُّنّة الاضطباعُ والرَّمل

الاضطباع؛ أنْ يكشفَ الرجلُ مِنكبه الأيمن ويُغطي الأيسر.

أما الرَّملُ؛ فهو الإسراع في المشي أثناء الطَّواف، مع تقارب الخُطى، ويكون ذلك في الأشواط الثلاثة الأولى، مع مُراعاة عدم إيذاء الآخرين.

كما ذكرنا؛ هذه السُّنن مُتعلِّقة بطواف القُدوم، وللرجال دون النِّساء.

◆ **قال مجاهد**: سُئلت عائشة: على النِّساء رمل؟

فقالت رضي الله عنها: أليس لكنَّ بنا أُسوة؟! ليس عليكنَّ رَملٌ بالبيت، ولا بين الصَّفا والمروة. [مصنف ابن أبي شيبة].

◆ **وقال ابنُ عمر وابنُ عبّاس** رضي الله عنهم: (ليس على النِّساء رملٌ، ولا بين الصّفا والمروة) [مصنف ابن أبي شيبة].

دعاء مخصوص

من السُّنّة؛ الدّعاء بين الرُّكن اليماني والحجر الأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [صحيح أبي داود/ ١٦٥٣].

وهذا دعاء شامل لخيري الدُّنيا والآخرة، وكان النّبيُّ ﷺ يُكثِرُ من هذا الدّعاء في كلِّ أحيانه.

✸ **قال ابن أبي نجيح**: كان أكثر كلام عمر وعبد الرحمن بن عوف في الطَّواف: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. [أخبار مكة للأزرقي].

فائدة

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

(وليس للطواف دعاءٌ مخصوصٌ لكلِّ شوط، وعلى هذا؛ فينبغي أنْ يَحذَرَ الإنسان من هذه الكُتيبات التي بأيدي كثير من الحجّاج، والتي فيها لكلِّ شوط دعاءٌ مخصوص، فإنَّ هذه بِدعة لم تَرِد عن رسول الله ﷺ، وقد قال النّبيُّ ﷺ: «كل بدعة ضلالة» رواه مسلم).

تنبيهات

✖ **احذر** من رفع الصّوتِ بالدُّعاء والأذكار أثناء الطَّواف وفي السّعي؛ ففي هذا الرّفع تشويش على المسلمين، وتشتيتٌ للعقل والقلب.

✖ ولا يُشترطُ في الدُّعاء أنْ يكون باللُّغة العربية، حتّى في السجود؛ لكن الأذكار المخصوصة مثل: (الله أكبر، سبحان ربي الأعلى، الحمد لله)؛ لا بُدَّ من ذِكرها بالعربية.

طُرفة

رأى أَحدهم مجموعة مِن النِّساء ـ غير عربيات ـ يَتقدَّمهنّ رجل من بلادهنّ، يَقرأُ العربية؛ إلا أنه لا يَفهمها. وكان يَقرأُ من كتاب أدعية، وهن يردّدن وراءه، حتى صار يقول: طُبع، فيقلن: طبع، فيقول: في الرِّياض !! فيقلن: في الرِّياض، فيقول: في مطبعة، فيقلن: في مطبعة..إلخ.

خطأ

يقع فيه بعض الطّائفين، وذاك بأنْ يمرَّ بين حِجر إسماعيل والكعبة أثناء طوافه، وهذا الشوط يُعتبر غير كامل، ويجب إعادته.

حدَّث سفيانُ بنُ عُيينة عن أبيه: أنه رأى سالماً يطوفُ ومعه هشام، فأراد هشام أنْ يدخل الحِجر؛ فمنعه سالم. [مصنف ابن أبي شيبة].

فائدة

من المعلوم أنّ هناك أوقاتٌ نهى النّبيُّ ﷺ عن الصَّلاة فيها، وهي بَعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس حسناء، وعند الزوال قبل الظهر بقليل، وبعد العصر حتّى الغروب.

لكنّ البيْت الحرام له خاصيّة استثناء، **كما جاء في «مسند أحمد» من حديث جُبير بن مُطعم أنّ رسول الله ﷺ قال:**

«يا بَني عبد مناف ! لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيْت وصلى أيَّة ساعةٍ شاء من ليل أو نهار» [صحيح الجامع/ ٧٩٠٠].

قال عطاء: رأيتُ ابنَ عمر وابنَ عباس رضي الله عنهم طافا بَعد العصر وصلّيا. [مصنف ابن أبي شيبة]. فمن طاف بالبيت؛ فله أنْ يصلي ركعتين في أي وقت.

مسألة

سُئل الشّيخ ابن باز سؤالاً جاء فيه: أنا امرأةٌ مريضة ذهبتُ إلى العمرة، وعندما طُفتُ ثلاثة أشواط أُصِبت بالدَّوخة، ماذا يجب عليَّ أن أفعل؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (عليكِ أنْ تستريحي، وتُكملي الطَّواف، فإن طالَ الفصلُ؛ فأعيدي الطَّواف من أوَّله، أما إذا زالت الدّوخة بسهولة وسرعة؛ فكمِّلي الطَّواف ويَكفي. والحمدُ لله).

طواف الإفاضة

طواف الإفاضة؛ رُكن من أركان الحجّ؛ **لقوله تعالى:** ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ والعلماءُ – رحمهم اللهُ– مُجمِعون على رُكنيته، ومَن تركه؛ فحجُّه غيرُ مقبول.

طواف الوداع

إنّه الوداعُ للبيت العتيق، إنّها لحظةُ الرّحيل والفِراق؛ التي تتفَطَّرُ لها قلوب الزّائرين، وتبكي حُزناً ولوعةً عليها عُيون المحبِّين، فتُثيرُ في النّفُوس الأشجان، وتبثُّ في السّويداء الأحزان.

تلك اللحظة التي تَبعثُ في الأعماق اللوعة والأسى، يوم أنْ تُودع تلك البُقعة المباركة والمنازل الشريفة؛ لذا ادعُ اللهَ ـ أخي الحبيب ـ أن يُعيدك إلى هذا البيت مرَّات ومرَّات، وأنْ لا يجعل هذا الطَّواف وتلك الرؤية آخرَ العهد بهذا البيت، **فإنَّ الأتقياء الأنقياء لا يُؤلمهم ولا يُحزنهم شيء؛ كمفارقة الطَّاعة والعبادة.**

ذكرياتٌ كلّما لاحت في الأُفق؛ هيّجت المشاعر وأثارة الأشجان، وحرّكت الأحاسيسَ، وأسالت الدُّموع على الخدود، ولا يُدركُ ذلك إلا من عايشَ الأمْرَ، وذاق مَرارة الفِراق.

ولم أنسَ موقفنـا للـوداع ... وقد حان ممن أحبُّ الرَّحيل
ولم يبق لي دمعة في الشؤون ... إلا غدت فوقَ خدّي تسيل
فقـال نصيحٌ مِن القـوم لي ... وقد كادَ يأتي عليَّ الغليـل
تأنّ بدمعـك لا تُـفنِـه ... فبين يديك بكـاءٌ طويـل

الحنين والأنين

حنينٌ لتلك الديار، وأنينٌ على مُفارقتها، كما تحِنُّ الأمُّ لولدها وتبكي حزناً لفراقه ورجاءَ عودتِه مرّة أخرى.

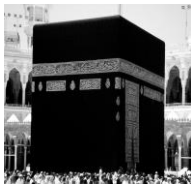

قال الحسن بن عمران بن عيينة: حججتُ مع عمّي سفيان بن عُيينة آخر حجَّة حجَّها، فلمّا كنا بجَمْع وصلّى؛ استلقى على فراشه، ثم قال: قد وافيتُ هذا الموضع سَبعين مرّة، أقول في كلّ سَنة: **اللهمَّ لا تجعَلهُ آخرَ العهد من هذا المكان،** وإنّي قد استحييتُ من الله من كَثرة ما أَسألُهُ ذلك، فرجع فتوفي في السَّنَة الدَّاخلة. [تاريخ بغداد].

مدَدْتُ إلى التـوديع كَفّاً ضعيفةً ... وأُخرى على الرَّمضَاءِ فوق فؤادي
فلا كان هذا آخرَ العهـد منكمو ... ولا كان ذا التوديعُ آخـــرُ زادي

فضل طواف الوداع

أما فضلُهُ وثوابُهُ؛ فاسمع بقلبك وتَدبَّر بوجدانِكَ؛ **عن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما **أنَّ النّبيَّ** ﷺ **قال**: «إذا رمى الجِمَار؛ لا يَدري أحدٌ ما له، حتّى يتوفَّاه الله يومَ القيامة، وإذا قضى آخرَ طواف بالبيْت؛ خَرَجَ من ذنوبه كيوم ولدته أُمه» [صحيح الترغيب/ ١١٥٥].

وفي حديث عبادة بن الصامت قال ﷺ: «وأمّا طوافك بالبيت- إذا ودّعتَ- فإنك تخرجُ مَن ذنوبك كيوم ولدتك أمّك» [صحيح الترغيب/ ١١١٣].

تَدَاعَتْ رِفَاقاً بالرَّحِيل فَمَا تَرَى ... سِوَى دَمْع عَيْنٍ بالدِّمَاءِ مَزَجْنَاهُ
لِفُرْقَةِ بَيْتِ اللهَّ وَالْحَجَر الَّـذِي ... لأَجْلِهِمَا صَعْبَ الأُمُور سَلَكْنَاهُ
ووَدّعتِ الحُجَّـاجُ بَيتَ إلهِهَـا ... وكُلُّهُمُ تَجْري مِن الحُزنِ عَيْنَـاهُ
فَلِلَّهِ كَمْ بَاكٍ وَصَاحِب حَسْـرَةٍ ... يَـوَدُّ بَـأَنَّ اللهَ كَـانَ تَـوَفَّـاهُ
فَلَوْ تَشْهَد التَّوْدِيعَ يَوْماً لِبَيْتِـهِ ... فَإِنَّ فِرَاقَ الْبَيْتِ مُرٌّ وَجَـدْنَـاهُ
ووالله لَـولا أنْ نُؤمِّـلَ عَودةً ... إليهِ لَذُقْنا الموتَ حينَ فُجِعْنَاهُ

مشروعيّة طواف الوداع

عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم **أنّ رسول الله** ﷺ **قال**: «لا يَنْفِرنَّ أحدٌ، حتى يكونَ آخرَ عهده الطَّوافُ بالبيت» [صحيح الجامع/ ٧٨٠٥].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن الحارث بن أوس الثَّقفيِّ رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «مَن حجَّ هذا البيت؛ فليكُن آخِرَ عهدِه الطَّوافَ بالبيت» [صحيح الجامع/ ٦١٩٨].

قال طاوس وعطاء رحمهما الله: (كان عمر يَرُدُّ مَن خرجَ، ولم يَكن آخر عهدِهِ بالبيت) [مصنف ابن أبي شيبة].

أفضل الطَّواف

سُئلَ الشيخُ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ **ما حكم الطَّواف وراء المقَام أو وراء زمزم؟**

فاجابَ: لا حرجَ في ذلك، حتَّى ولو طافَ في الأَروِقة؛ أَجزأه ذلك، ولكن كلّما دَنا مِن الكعبة؛ كان أفضل، وإذا كان هناك سِعة وليس فيه زحمة، فدنا من الكعبة؛ فهو أفضل، وإن شَقَّ عليه ذلك؛ طاف مِن بَعيد، ولا حرجَ في ذلك.

تكرارُ الطَّواف

روى عبد الرزاق في «مصنفه» عن ابن جريج قال: كنتُ أسمع عطاءً يسأله الغرباء: الطَّواف أفضل لنا أم الصَّلاة؟ فيقول: أمّا لكم فالطَّواف أفضل؛ إنكم لا تَقدِرون على الطَّواف بأرضكم، وأنتم تَقدِرون هنا على الصَّلاة.

وروى أيضاً عن الثوريّ عن سالم قال: رأيتُ سعيد بنَ جُبير يقول للغرباء ـ إذا رآهم يُصلُّون ـ: انصرفوا فطوفوا بالبيت.

فتوى

سُئل الشيخ ابن باز: هل الأفضل تِكرارُ الطَّواف، أم التَّطوع بصلاة؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: في التفضيل بينهما خلاف، لكن الأولى أن يَجمع بين الأمرين فيكثر من الصَّلاة والطَّواف، حتى يَجمع بين الخيرين، وبعض العلماء فضّل الطَّواف في حقِّ الغُرباء؛ لأنهم لا يجِدون الكعبة في بُلدانهم، فاستحبَ أن يُكثروا مِن الطَّواف ما داموا بمكة، وقومٌ فَضّلوا الصَّلاة؛ لأنها أفضل من الطَّواف.

فالأفضلُ والأولى ـ فيما أرى ـ أن يُكثِر مِن هذا، ويُكثِر مِن هذا، وإن كان غريباً، حتّى لا يفوته فضلُ أحدهما، يساهم في هذا وفي هذا.

ركعتا الطَّواف

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما **قال: سمعتُ رسول الله** ﷺ **يَقول:** «من طاف بالبيْت، وصلَّى ركعتين؛ كان كعتق رقبة» [صحيح الترغيب/ ١١٤٢].

من السُّنّة؛ أن يُصلّي خلف المقام -إنْ تيسَّرَ- وإلا يُصليها في أيِّ مكان.

ومن السُّنّة، أنْ يَقرأ في الرَّكعة الأولى بَعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وفي الرَّكعة الثانية بَعد الفاتحة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

قال أبو أُمامة رضي الله عنه: **قال رسول الله** ﷺ: «مَن هالَهُ اللّيلُ أن يُكابِدَهُ، أو بَخِلَ بالمال أن يُنْفقهُ، أوجَبُنَ عن العَدُوِّ أن يُقاتلَهُ؛ فليُكثر من: **(سبحان الله وبحمده)**؛ فإنّها أَحبُّ إلى الله من جبل ذهب يُنفقه في سبيل الله ﷻ».

من عيون الشعر

قال الإمام الصَّنعانيُّ رحمه الله:

نَحِنُّ إلى تلك الرُّبوع تشَوُّقاً ... ففيها لنا عَهدٌ وعَقدٌ عَقَدْنَاهُ
وربِّ بَرَانا ما نسينا عهودكم ... وما كان مِن رَبع سِواكم سلوناه
ففي رَبْعهم لله بيتٌ مُبارك ... إليه قلوبُ الخلق تهوي وتهواه
يَطوفُ به الجاني فيُغفرُ ذنبُهُ ... ويَسقطُ عنه جُرمُه وخطايَاه
فكمْ لذّةٍ كم فرحةٍ لطوافهِ ... فَلِلّه ما أَحْلَى الطَّوافَ وأهنَاهُ
نَطوفُ كأنّا في الجنان نَطوفُها ... ولا همَّ لا غمَّ فذاكَ نفيناهُ
شوقُنا نحو الطَّواف وطِيبِهِ ... فذلك شوقٌ لا يُحاطُ بمعناه
فمن لم يَذقهُ لم يذق قطُّ لذّةً ... فذُقهُ تذق يا صاح ما قد أُذِقْناه

احذر التّشبه باليهود

نرى بعض النّاس إذا أراد مغادرة مكة والمسجد الحرام، يَرجِعُ القهقرى ويَمشي للخلف ووجهه للكعبة، وهذا الأمر لم يَثبت عن النّبيِّ ﷺ ولا عن أحدٍ من أصحابه؛ بل فيه تشبّه باليهود !

قال عطاء: كَرِهَ ابنُ عباس قيام الرّجل على باب المسجد، إذا أرادَ الانصراف إلى أهله مُنحَرِفاً نحو الكعبة ينظر إليها ويَدعو، وقال: اليّهود يفعلون ذلك [أي: في أماكن عبادتهم]. [مصنف ابن أبي شيبة].

الحَجر الأسْود

جاءت عِدَّةُ أحاديث في فضل الحَجر الأسود؛ ذُكرَ شيءٌ منها في فضل الطَّواف؛ وإليك المزيد:

عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ **في الحَجَر**: «والله ليبعثنّهُ الله يوم القيامة له عينان يُبصرُ بهما، ولسان يَنطق به؛ يشهدُ على من استلمه بحقٍّ» [صحيح الترغيب/ ١١٤٤].

وعنه أنَّه ﷺ **قال**: «نزلَ الحَجر الأسود مِن الجنّة، وهو أشدُّ بياضاً من اللبن؛ فسَوّدتهُ خطايا بَني آدم».

وفي رواية: «أشدُّ بياضاً من الثّلج».

وفي رابعة: «الحَجر الأسود مِن الجنّة، وكان أشدَّ بياضاً مِن الثّلج؛ حتّى سوّدَته خطايا أهلِ الشِّرك» [صحيح الترغيب/ ١١٤٦].

تقبيلُ الحَجر الأسود واستلامه

تقبيل الحَجر ـ إنْ تيسَّر ـ أو استلامه أو الإشارة إليه؛ عِبادةٌ وقُربة، واتِّباع للنّبيِّ ﷺ وسُنّة.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ إذا طافَ بالبيت استلمَ الحجرَ والرُّكن في كلِّ طوافٍ) [صحيح الجامع/ ٤٧٥١].

قال عابسُ بن ربيعة رحمه الله: رأيتُ عمر يُقْبِّلُ الحَجر، ويقول: إنّي لأعلمُ أنّك حَجَر ما تنفعُ ولا تضرُّ، ولولا أنّي رأيتُ رسول الله ﷺ يُقبِّك؛ ما قبَّلتك. أخرجه الجماعة. وزاد مسلم والنَّسائي في إحداهما: ولكن رأيتُ رسول الله ﷺ بك حفيّاً.

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: قال الطبريُّ:

(إنّما قال ذلك عمرُ؛ لأنّ النّاسَ كانوا حَديثي عهدٍ بعبادة الأصنام، فخَشي عمرُ أن يَظنَّ الجُهّالُ أنّ استلامَ الحَجر مِنْ بَابِ تعظيم بعض الأحجار كما كانت العربُ تفعلُ في الجاهلية، فأرادَ عمرُ أنْ يُعلِّم النّاسَ أنّ استلامَهُ اتِّباعٌ لفعل رسولِ الله ﷺ، لا لأنّ الحَجَرَ يَنْفَعُ وَيَضُرُّ بِذَاتِهِ، كما كانت الجاهليةُ تَعتقِدُه في الأوثان) [فتح الباري].

> **فائدة**: قال المحبُّ الطبري: (في بقائه أسْود؛ عبرةٌ لمن له بَصيرة، فإنّ الخطايا إذا أَثّرت في الحَجر الصَّلد؛ فتأثيرها في القلب أشدُّ) [فتح الباري].

قال نافع: رأيتُ ابن عمر رضي الله عنهما يَستلمُ الحَجر بيده، ثم قبّلَ يدهُ، وقال: ما تركتُه مُنذ رأيتُ رسول الله ﷺ يفعله. أخرجه مسلم.

من السُّنّة

✖ **إذا استلم الطائفُ الحَجر الأسود أنْ يقول**: (بسم الله، والله أكبر) أو: (بسم الله، والله أكبر، اللهمَّ إيماناً بك، وتصديقاً بكتابك، ووفاءً بعهدك، واتّباعاً لسُّنة نبيّكَ محمّدٍ ﷺ).

✖ **قال الحافظ ابن حَجر** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الفتح»**: (قال الجمهورُ: إنَّ السُّنّة أنْ يَستلم الرُّكنَ، ويُقبِّل يَده، فإنْ لم يستطع أنْ يستلِمه بيده؛ استلمه بشيء في يده وقَبَّلَ ذلك الشيءَ، فإنْ لم يستطع؛ أَشارَ إليه واكتفى بذلك).

✖ **قال الألبانيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه: «مناسك الحجِّ والعمرة»**:

(يُبادر إلى الحَجر الأسود، فيستقبله استقبالاً فيُكبِّر، والتّسميةُ قبلَهُ صحَّت عن ابن عمر موقوفاً، ووهِم مَن ذَكَرَهُ مرفوعاً، ثمّ يَستلمه بيده، ويُقَبّله بفمه، ويسجد عليه أيضاً، فقد فعله رسول الله ﷺ، وعمر، وابن عباس).

قال الشريف حاتم بن عارف العوني: (إذا أقبل الطّائفون إلى الحجر الأسود لتقبيله، وهو مِن الجنّة، قَبَّلوا فيه أَرضّ موطنهم الأوَّل: الجنّة، التي أَخرج الشيطانُ ـ عدوُّهم الأوّل ـ أبويهم منها. وهنا تَستَعِرُ لواعجُ الأشواق وتحترقُ خوالجُ العُشَّاق إلى الموطن الأوَّل لهذه البشريَّة، وهي الجنّة، فتَحِنُّ إليها أَشدّ ما يكون حنينُ الغريب الطَّريد مِن وطنه إليه إذا ما رأى ما يُذكِّرهُ به).

[عطاءات البلد الحرام].

حرصٌ على السُّنّة والخير

محرومٌ من اكتفى باليَسير من الطَّاعات، ورضي بالفرائض والواجبات، وفرَّطَ بالسُّنن والمندوبات، وما هكذا كان أصحابُ محمّد ﷺ ولا الصالحون مِن بَعدهم؛ بل كانوا يتسابقون بالخيرات، ويتنافسون بالطَّاعات.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: (ما تركتُ استلام هذين الرُّكنين: اليماني والحَجر، في شدَّة ولا رخاء؛ منذ رأيتُ رسول الله ﷺ يستلمهما) متفق عليه.

وإذا كانت النّفوس كبـاراً تعبت في مُرادها الأجسام

فائدة

قال عكرمة رحمه الله: (الحَجر الأسود يمينُ الله في الأرض، فمن لم يُدرك رسول الله ﷺ، فمسح الرُّكن؛ فقد بايعَ اللهَ ورسولَه).

احذر أيّها الحاجّ

من قصدَ الحَجر الأسود؛ فلا يُؤذي النّاسَ، ولا يُزاحم بعنف؛ بل عليه السَّكينة واللطف، **قال رسول الله** ﷺ: «يا عمر ! إنّك رجلٌ قويّ، فلا تؤذِ الضعيف، وإذا أردتَ استلام الحَجر، فإنْ خَلا لك فاستلمه، وإلا فاستقبله، وكبِّر»، قال الألبانيُّ: أخرجه الشافعيُّ وأحمد وغيرهما، وهو حديثٌ قويٌّ.

وكان عليه الصَّلاة والسلام يُرشد النّاسَ، فيقول: «السَّكِينة عباد الله، السَّكِينة» [صحيح الجامع/ ٣٦٨٨].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا وجدتَ على الرُّكن زحاماً؛ فلا تؤذ ولا تؤذى، لا تؤذ مسلماً ولا يُؤذيك، إن رأيت منه خَلوة؛ فقبِّله، أو استلمه؛ وإلا فامض).

قال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: (إذا كان على الحجر زحام؛ فلا تؤذين، وابعد منه) [مصنف ابن أبي شيبة].

الرُّكن اليماني والمقام

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

مرَّ معنا في فضل الطَّواف شيءٌ من الفضائل، وإليك المزيد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال: سمعت رسول الله** ﷺ **-وهو مُسندٌ ظهره إلى الكعبة- يقول:** «الرُّكن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنّة، ولولا أنّ الله تعالى طمس نورَهما؛ لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب».

وفي رواية: «إنّ الرُّكن والمقام مِن ياقوت الجنّة، ولولا ما مسه من خطايا بني آدم؛ لأضاء ما بين المشرق والمغرب، وما مسهما من ذي عاهة ولا سقيم؛ إلا شُفي» [صحيح الترغيب/ ١١٤٧].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال:**

«يأتي الرُّكنُ اليماني يوم القيامة؛ أعظم من أبي قبيس [جبل بمكة] له لسانان وشفتان» [صحيح الترغيب/ ١١٤٥].

قال نُسَيْر بْنِ ذُعْلوق:

رأى ابنُ الزُّبير النّاسَ يَمسَحون المقام، فنهاهم وقال: إنكم لم تؤمروا بالمسح، وإنما أمرتم بالصَّلاة. [مصنف عبد الرزاق].

قال ﷺ: «لقيتُ إبراهيم ليلة أُسري بي، فقال: يا محمّد؛ أقرئ أُمتَكَ منّي السلامَ، وأخبرهم أنّ الجنَّة طيبةُ التربة، عذبةُ الماء، وأنها قِيعان، وأنَّ غِراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» [صحيح الجامع/ ٥١٥٢].

جلسةُ خَلَفَ المقام بسبعين ألف درهم

نَعم بسبعين ألف درهم في زمانهم، ألا ليت شعري كم تَعدِل في زماننا؟

قال إبراهيمُ الخوَّاص رَحِمَهُ اللَّهُ: رأيتُ شاباً في الطَّواف مُتَّزراً بعباءة مُتَّشحاً بأُخرى، كثير الطَّواف والصَّلاة؛ فوقع في قلبي محبَّته، ففُتح عليَّ بأربعمائة درهم، فجئتُ بها إليه وهو جالس خلف المقام، فوضعتُها على طرف عباءته. وقلتُ له: يا أخي اصرف هذه القُطيعات في بعض حوائجك.

فقام وبدّدها في الحصا، وقال:

يا إبراهيم؛ اشتريتُ هذه الجلسة من الله تعالى بسبعين ألف دينار، تريد أن تخدعني عن الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الوسخ؟!

قال نوحُ بنُ حبيب: (كانَ أبو بِشْر جعفر اليَشكري ساجداً خلفَ المقام حين ماتَ) [السير].

قال إبراهيمُ: فما رأيتُ أعزَّ منه -وهو ينظرُ- وأذلَّ منّي وأنا أَجمَعُها من بين الحصى، ثم قام وذهبَ. [صفة الصفوة].

ووالله؛ ما بذل وضحى بهذه الأموال والدَّنانير بجلسة خلف المقام؛ إلا لأنه عرف قدْر وجلالة المقام !

هجرتُ الخلق طُراً في رضاكا ... وأَيتمتُ العيالَ لكي أراكا
فلو قطّعتني في الحـبِّ إرْبـاً ... لَمَا حنَّ الفـؤادُ إلى سواكـا

المُلتَزَم

المُلتزم؛ هو ذلك المكان الذي بين باب الكعبة والحَجر الأسود، **قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما : (الملتزم؛ ما بين الرُّكن والباب).

[مصنف ابن أبي شيبة]

✍ وسمّي بذلك؛ لأنَّ النّاسَ يلتزمونه عند الدعاء، ويُستحبُّ للطائف والزائر أنْ يلزمه ـ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ـ ويضع صَدْره عليه بذلٍّ وانكسار، وخضوع وخشوع للرحيم الرحمن، ويُكثر من الدعاء والابتهال، والتَّبتل والبكاء، **ولا يُطيل حتى يفسح المجال لغيره**.

✍ **قال محمّد بنُ إبرهيم** رحمه الله:

(التزام الكعبة –المعروف– ليس في التّمسح بحال؛ إنّما هو إلصاقُ الخدِّ والصّدر واليدين: إشتياقاً تارة، وأسفاً على الفراق تارة، وذلاً لله تعالى، وخشية تارة أخرى) [فتاوى ورسائل الشيخ محمّد بن إبراهيم آل الشيخ].

✍ **عن عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما أنّ النّبيّ ﷺ كان يُلزق صدره ووجهه بالمُلتزم. [صحيح الجامع/ ٥٠١٢].

✍ **وعن عمرو بن شعيب عن أبيه قال**: طُفتُ مع عبد الله، فلما جئنا دُبر الكعبة، قلتُ له: ألا تتعوَّذ؟ قال: أعوذُ بالله من النّار، ثم مضى حتى استلم الحَجر، وأقام بين الرُّكن والباب، فوضع صدره... ثم قال: هكذا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يفعله. [الصحيحة/ ٢١٣٨].

✍ **وحدَّثَ حَفْصُ بْنُ غِيَاث عن الشيباني** رحمه الله **قال**: رأيتُ عمرو ابن ميمون وهو مُلتزم ما بين الرُّكن والباب. [مصنف ابن أبي شيبة].

✍ **قال مجاهد** رحمه الله: (كانوا يَلتزمون ما بين الرُّكن والباب، ويَدْعُون) [مصنف ابن أبي شيبة].

✍ **وقال ابن عثيمين** رحمه الله: (المُلتزم الذي بين الحَجر الأسود والباب؛ فإنَّ هذا قد وردَ عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم قاموا فالتزموه يَدْعون) [فتاوى أركان الإسلام].

بُشرى

✍ **قال أبو الزبير**: كان ابن عباس رضي الله عنهما يَلزمُ ما بين الرُّكن والباب، وكان يقول: (ما بين الرُّكن والباب يُدعى: الملتزم، لا يَلزم ما بينهما أحدٌ يسأل الله شيئاً؛ إلا أعطاه إيّاه) [سنن البيهقي/ ٩٥٤٧].

✍ **كان الحسن البصري** رحمه الله إذا رأى الملتزم تَعلَّقَ به، وقال لمن معه: **(تنحوا عنّي حتى أُقِرَّ لربي بذنبي)** [رحلة المشتاق العمرة].

✍ **قال ابن قُدامة المقدسي** رحمه الله: (وليتذكَّر بالتعلّق بأستار الكعبة والالتصاق بالمُلتزم؛ لجأ المذنب إلى سيِّده وقُرب المحبِّ).

[مختصر منهاج القاصدين].

عُشّاق الجنان

كلمات سهلة ميسورة؛ ونبيُّ الله محمّدٌ ﷺ يتعهّدُ لك بالجنّة؛ ولكن عِش مع هذه الكلمات قلباً وقالباً؛ لتنال الجائزة والبِشارة..

قال ﷺ: «من قال: (رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيًّا) وجبت له الجنَّة» [صحيح الجامع/ ٦٤٢٨].

وفي رواية: «من قال إذا أصبح: (رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيًّا) فأنا الزَّعيمُ لآخذنَّ بيده حتّى أُدخلَهُ الجنَّة» [صحيح الترغيب/ ٦٥٧].

تنبيه وتحذير للنساء

لا يكادُ عجبُك ينقطعُ ! وأنت ترى النِّساء -في مواسم الحجِّ والعمرة- يقعنَ في مخالفات ومحاذير شرعية.

فمن ذلك: عدمُ التستر كما أَمرَ اللهُ تعالى، فربما بدا شيءٌ من الذِّراعين، وجزءٌ من شَعْر الرأس، وقد تجدها تَفترشُ الأرض والطُّرقات؛ مُتَكَشِّفة، ولربما لبست ملابس خفيفة تَصِفُ وتشفّ عمّا تحته، ولا أظن أنّ التّعطر والتّطيب عن بعضهنّ بَعيد.

وأسوأ من ذلك؛ تعمّد مُخالطة الرّجال ومزاحمتهم، وهذا ـ والله ـ من البلاء، ومخالفٌ للأخلاق والحياء، **وقد قال رسول الله** ﷺ: «الحياء شُعبة من شُعبِ الإيمان» متفق عليه.

يا نساء.. الحياء

الحياءُ دليلُ إيمان المرأة المسلمة وعفافها، وهو زينتها وجمالها، فما تجمّلت النِّساءُ ولا تطيبن بمثل الأدب والحياء؛ ولن تجد زينة تَلُف المرأة؛ كمحاسن الأخلاق؛ **لذا قالوا**:

(الحياءُ في الطفل؛ يَدُلُّ على ذكائه وأَدبه، والحياءُ في المرأة؛ يَدُلُّ على عِفّتها، والحياء في الرَّجل؛ يَدُلُّ على كَرم أَخلاقه).

إذا المـرءُ جَمَعَ المــروءة والتُّقى وحوى مع الأدب الحياءَ فقد كَمُلْ

فالخيرُ كلُّ الخير في الحياء، فإنّه يدل على حُسن العقل ويَستر العيوب، **جاء في الحديث المتفق عليه أنّ النّبيَّ** ﷺ **قال**: «الحياء لا يأتي إلا بخير».

إذا قلَّ ماءُ الوجه قلَّ حيـاؤه ولا خير في وجه إذا قلَّ ماؤه

حيـاؤكَ فاحفظهُ عليك فإنّما يَدلُّ على فعل الكريـم حياؤه

♦ **وقد قيل**: (لا خيرَ فيمن لا يَستحي من النّاس).

♦ **وقال الأصمعيُّ**: (سمعتُ أعرابياً يقول: من كَساه الحياءُ ثوبه؛ لم ير النّاس عيبَه).

دروس وعبر

♦ **عن مَنْبُوذ بن أَبي سليمان عن أُمِّه**، أنها كانت عند عائشة، فدخلت عليها مولاةٌ لها، فقالت لها: يا أمَّ المؤمنين؛ طفتُ بالبيت سَبعاً، واستلمتُ الرُّكن مرَّتين ـ أو ثلاثاً ـ فقالت لها عائشة: لا آجَركِ الله ! لا آجَرك الله ! تدافعين الرِّجال؟! ألا كبّرتِ ومررتِ ! [سنن البيهقي/ ٩٠٥٠].

♦ **وقالت عائشة بنتُ سعد** رضي الله عنه: كان أبي يقول لنا: إذا وجدتنَّ فُرجَة من النّاس فاستلمن؛ وإلا فكبرن وامضين. [الأمّ للشافعي].

ولقد أصرفُ الفؤادَ عن الشيء ... حياءً وحُـبـّـه في السـواد

أُمسك النَّفس بالعفاف وأُمسي ... ذاكراً في غدٍ حديث الأعادي

♦ وكم رأينا وسمعنا عن نساء تعرّضنَ للأذى ونُزع حجابهنَّ؛ وهنَّ يُزاحمن الرِّجال ويدافعنهم لتقبيل الحَجَر، أو التزام الملتزم !! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

♦ **قال سعيد بن المسيّب** رحمه الله: (ما يئسَ الشيطانُ مِن شيء؛ إلا أتاه من قِبَل النِّساء) [صفة الصفوة].

حِجر إسماعيل عليه السلام والصَّلاة فيه

سُئل الشيخ ابن باز: نشاهدُ بعض النّاس يتزاحمون من أجل الصَّلاة في حِجْر إسماعيل؛ فما حكم الصَّلاة فيه؟ وهل له مَزيّةٌ؟

فأجاب رحمه الله:

الصَّلاة في حِجْر إسماعيل مُستحبَّة؛ لأنه من البيت، وقد صحَّ عن النّبيِّ ﷺ أنّه دخلَ الكعبة عام الفتح وصلّى فيها ركعتين، متفق على صحته من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن بلال رضي الله عنه.

وقد ثبت عنه ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها لمّا أرادت دخول الكعبة: «صلّي في الحِجْر؛ فإنّه من البيت».

أمّا الفريضة؛ فالأحوط عدم أدائها في الكعبة أو في الحِجْر؛ لأنّ النّبيّ ﷺ لم يفعل ذلك، ولأنّ بعض أهل العلم قالوا: إنها لا تصحُّ في الكعبة ولا في الحِجْر؛ لأنه من البيت.

قال رسول الله ﷺ: «دعوةُ ذي النُّون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنّه لم يَدْعُ رجلٌ مسلمٌ في شيء قطّ؛ إلا استجابَ اللهُ له» [صحيح الترغيب/ ١٨٢٦].

وبذلك يُعلم أنّ المشروع أداء الفريضة خارج الكعبة، وخارج الحِجْر؛ تأسّياً بالنّبيِّ ﷺ، وخُروجاً من خلاف العلماء القائلين بعدم صِحتها في الكعبة، ولا في الحِجْر، والله وليُّ التوفيق.

صلاة الضُّحى

جاء في فضل صلاة الضحى أحاديث منها:

قال رسول الله ﷺ: «من صلّى الفجر في جماعة، ثم قعدَ يذكرُ الله حتى تَطلُعَ الشمسُ، ثم صلّى ركعتين؛ كانت له كأجر حجَّة وعمرة تامّة تامّة تامّة» [صحيح الجامع/ ٦٣٤٦].

وقال ﷺ: «يُصبِحُ على كلِّ سُلامى من أحدكم صدقة، فكلّ تسبيحة صدقة، وكلّ تحميدة صدقة، وكلّ تهليلة صدقة، وكلّ تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونَهيٌ عن المنكر صدقة، ويُجزئُ من ذلك؛ ركعتان يركعهما من الضحى» رواه مسلم.. والسُّلامى: مفاصل وعظام الجسم.

وقال ﷺ **أيضاً**: «صلاة الضّحى؛ صلاة الأوّابين».

[صحيح الجامع/ ٣٨٢٧]

ونختمها بقوله ﷺ: «من خرجَ من بيته مُتطهراً إلى صلاة مكتوبة؛ فأجره كأجر الحاجِّ المحرم، ومن خَرَجَ إلى تسبيحة الضُّحى [صلاة الضحى] لا ينْصَبه إلا إيّاه؛ فأجْرُهُ كأجر المعتمر» [صحيح الجامع/ ٦٢٢٨]

السّعي بين الصّفا والمروة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

عن ابن عمر رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ:

«أمّا طوافك بالصفا والمروة؛ كعتق سبعين رقبة».

[صحيح الترغيب/ ١١١٢].

روى ابن خزيمة في «صحيحه» عن حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي تَجْرَاةَ رضي الله عنها **قالت:** أشرفتُ على النّبيِّ ﷺ، وإذا هو يَسعى، وإذا هو يقولُ لأصحابه: «اسعوا، فإنّ الله كتب عليكم السعي» فلقد رأيتُه من شِدّة السّعي يدور الإزار حول بطنه. [الإرواء/ ١٠٧٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها:

قد سَنَّ رسولُ الله ﷺ الطَّوافَ بينهما، فليس لأحدٍ أن يتركَ الطوافَ بينهما. رواه مسلم.

ذِكرٌ مخصوص

يُستحبُّ للسَّاعي أنْ يُكثر من ذكر الله والدّعاء.

قالت عائشة رضي الله عنها: (إنما جُعِلَ الطَّوافُ بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمي الجمار؛ لإقامة ذِكر الله).

✍ **قال جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما :

لما دنا رسول الله ﷺ من الصفا قرأ: « ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به» فبدأ بالصفا، فرقى عليه حتى رأى البيتَ، فاستقبلَ القِبلة، فوحَّدَ اللهَ وكبَّره وقال: «لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريك له، له المُلك وله الحمد وهو على كلِّ شيءٍ قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجزَ وعْدهُ، ونصرَ عبده، وهَزمَ الأحزاب وحدَهُ».

ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرَّات، ثم نزلَ إلى المروة، حتّى إذا انْصَبَّتْ قدمَاهُ في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدتا مشى، حتى إذا أتى المروة ففعل على المروة كما فعلَ على الصَّفا. رواه مسلم.

✍ والسَّعي سبعة أشواط، يبتدئ من الصَّفا مُستقبلاً الكعبة، وينتهي بالمروة، **الذّهاب شوط والعودة شوط.**

✍ والأفضل أنْ يكون السّاعي على طهارة كاملة؛ وإن سعى بغير طهارة؛ فسعيُهُ صحيح، ولا شيء عليه.

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:**
«من قال: (**لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيء قدير**) عشر مرات؛ كان كمن أعتق أربعة أنفُس من ولد إسماعيل» متفق عليه.

ماء زمزم

فضله

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «خيرُ ماءٍ على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعامُ الطعم، وشفاءُ السقم».

[صحيح الترغيب/ ١١٦١].

قال المنذري رحمه الله: (قوله: «طعامُ طُعم»؛ أي: طعامٌ يُشبع من أكَلَهُ).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كنّا نسمّيها شبَّاعة؛ يعني: زمزم، وكنّا نجِدها نِعم العونُ على العيال. [صحيح الترغيب/ ١١٦٣].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ماءُ زمزم؛ لما شُربَ له، إنْ شربته تستشفي؛ شفاكَ الله، وإنْ شربتَه لشبعك؛ أشبعكَ الله، وإنْ شربتَه لقطع ظمئك؛ قطعَهُ الله، وهي هزمة جبرائيل عليه السلام، وسُقيا الله إسماعيل عليه السلام» [صحيح الترغيب/ ١١٦٤].

> **قال الشريف حاتم العوني:** (يُقْبِل عليه قاصِدوه بَعد أن أحرقت أجوافهم آهاتُ اللِّقاء، وسكبوا الدُّموع في تلك السَّاحات، فما نضبَ عطاؤه، ولا نقصَ عن رِيِّ ماؤه). [عطاءات البلد الحرام].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها مُباركةٌ، إنها طعامُ طُعم». [صحيح الترغيب/ ١١٦٢].

فلا بُدّ من نيّة صادقة، ويقين جازم، وتوكّل على الله؛ حتى يَحصُلَ المرادُ والمطلوبُ.

كان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شَربَ ماء زمزم يدعو ويقول: (اللهمَّ إني أسألك عِلماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء مِن كلِّ داء) [مصنف عبد الرزاق].

غسل قلب النّبيّ ﷺ بزمزم

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيتُ ليلة أسري بي، فانطُلق بي إلى زمزم، فشرح عن صدري، ثم غسل بماء زمزم ثم أنزل».

وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «بينما أنا في الحطيم مُضطجعاً، إذ أتاني آت؛ فقدَّ ما بين هذه إلى هذه، فاستخرجَ قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبي بماء زمزم، ثم حشي ثم أعيد» متفق عليه.

وفي رواية: «فرج سقف بيتي ـ وأنا بمكة ـ فنزل جبريلُ؛ ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست مِن ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً؛ فأفرغها في صدري، ثم أطبقه» متفق عليه.

وإنْ دلّ هذا على شيء؛ فإنما يدل على فضل وبركة ماء زمزم، كيف لا، وقد غُسّل به قلبُ سيّد البَشر وخير الخلق محمّد ﷺ، ولو كان هناك أطهرُ وأطيبُ وأفضلُ منه؛ لغسل قلبه ﷺ به.

لطائف

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في «الفتح»: (قوله: «فغسل قلبي» في رواية مسلم: «فاستخرج قلبي، فغسل بماء زمزم»، وفيه فضيلة ماء زمزم على جميع المياه).

قال ابنُ أبي جَمرة رحمه الله: (وإنما لم يُغسل بماء الجنّة؛ لما اجتمع في ماء زمزم من كون أصل مائها من الجنّة، ثم استقرَّ في الأرض، فأريد بذلك بقاء بركة النّبيّ ﷺ في الأرض).

رحمَ اللهُ أمَّ إسماعيل

عن أنس بن مالك ﷺ **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:** «يرحمُ الله أمَّ إسماعيل، لو تركت زمزم ـ أو قال: لو لم تَغرف من الماء ـ لكانت عَيناً مَعيناً» رواه البخاري.

نقل ماء زمزم

كثُرُ الكلام حول مشروعيّة نقل ماءِ زمزم، وهل البركة تذهب بمجرَّد نقلِه مِن مكة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (مَن حمل شيئاً مِن ماء زمزم؛ جاز، فقد كان السّلف يحمِلُونه) [الفتاوى/ ٢٦/ ١٥٤].

وجاء في «السّلسلة الصحيحة» للألباني رحمه الله **تحت الحديث رقم (٨٨٣) ما نصّه:**

(عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تحملُ من ماء زمزم، وتخبر أنّ رسول الله ﷺ كان يحملُ ماء زمزم في الأداوي والقِرب، وكان يَصبُّ على المرضى ويسقيهم...

وله شاهدٌ مِن طريق أبي الزبير قال: كُنّا عند جابر بن عبد الله، فتحدَّثنا، فحضرت صلاةُ العصر فقام، فصلّى بنا في ثوب واحد قد تلبّب به ورداؤه موضوع، ثم أُتي بماء زمزم، فشرب، ثم شرب، فقالوا: ما هذا؟

قال: هذا ماءُ زمزم، قال فيه رسول الله ﷺ: «ماءُ زمزم لِما شُرب له»، قال: ثم أرسل النّبيُّ ﷺ وهو بالمدينة ـ قبل أن تُفتح مكة ـ إلى سُهيل بن عمرو: «أنْ أهد لنا من ماء زمزم، ولا يُترك». قال: فبعث إليه بمزادتين.

قلت [أي الألباني]: وإسناده جيّد، رجاله كلّهم ثقات. واستهداؤه ﷺ للماء من سُهيل له شاهد من حديث ابن عباس. أخرجه البيهقي). اهـ.

✍ **وجاء في «نبذة التحقيق» لعلي حسن**: (ويُستحبُّ أنْ تَحْمِل ماءَ زمزم معك إلى بلدك؛ لما له فضل، فقد فعلَ قريباً من ذلك رسولُ الله ﷺ، ولكن من غير إيقاع مشقّة على نفسك، ولا على أصحابك ورفقائك).

جواز استعمال ماء زمزم

قال الشيخ ابن باز رحمه الله في إجابة له حول ماء زمزم:

(يُستحبُّ للمؤمن أن يَشربَ منها إذا تيسَّر له ذلك، ويجوز له الوضوء منها، ويجوز أيضاً الاستنجاء منها، والغُسل من الجنابة إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وقد ثبتَ عنه ﷺ أنه نبعَ الماء من بين أصابعه، ثم أخذ النّاسُ حاجتهم من هذا الماء؛ ليشربوا وليتوضؤوا وليغسلوا ثيابهم وليستَنجوا، كلّ هذا واقع.

وماء زمزم إنْ لم يكن مثل الماء الذي نبع من بين أصابع النّبيِّ ﷺ، لم يكن فوق ذلك، فكلاهما ماء شريف، فإذا جازَ الوضوء والاغتسال والاستنجاء، وغسل الثياب من الماء الذي نبعَ من بين أصابعه ﷺ؛ فهكذا يجوز من ماءِ زمزم.

وبكلِّ حال؛ فهو ماءٌ طهور طيِّبٌ، يُستحبُّ الشّرب منه، ولا حرجَ في الوضوء منه، ولا حَرجَ في غَسل الثّياب منه، ولا حَرجَ في الاستنجاء منه؛ إذا دعت الحاجة إلى ذلك. والحمد لله).

قصص واقعية مع ماء زمزم وبركته

قال سويد بن سعيد: رأيتُ ابن المبارك بمكة أتى زمزم، فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة فقال: اللهمَّ ابن أبي الموال حدَّثنا عن محمّد بن المنكدر، **عن جابر عن النّبيِّ ﷺ أنه قال**: «ماءُ زمزم؛ لِما شُرب له»، وهذا أشربُهُ لعطش القيامة، ثم شَربهُ. [السير].

لو شربناها للتقوى

قال الإمامُ الشّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (شربنا ماء زمزم لتعلُّم العلم؛ فتعلَّمناهُ، ولو شربناها للتقوى؛ لكان خيراً لنا) [رحلة المشتاق العمرة].

شربهُ بنيّة الإنجاب

قال الحافظ السَّخاويُّ في ترجمة ابن الجزريّ الإمام العالم: كان أبوه تاجراً، ومَكَثَ أربعين سَنة لم يُرزق ولداً، فحَجَّ وشَربَ مَاءَ زمزم بنيّة أنْ يَرزقهُ اللهُ ولداً عَالماً؛ فوُلِدَ له مُحمّد الجزريّ.

> **وشَربَ أحمد بن عبدالله الشّريفي زَمزم** بنيّة الشِّفاء مِن العَمى؛ فشُفِيَ.
> [مثير الحنين إلى البلد الأمين]

دواء لمرضى القلب

قال الشيخ محمّد محمد المختار الشنقيطي: (قال جمعٌ مِن العلماء: إنّ لهذا الماء مزية وفضلاً، حتى إنه عُرف بالتجربة أنه يقوّي القلب، مع ما فيه من فضائل من كونه: «لِما شُرب له»، ولذلك كان بعض الأطباء يُوصي به لضعيف القلب أنْ يَشربَ منه؛ لما جَعلَ اللهُ فيه من الخير والبرَكة) [شرح زاد المستقنع]

شربُهُ للشفاء والعلاج

قال ابنُ القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ **في «زاد المعاد»**: (وقد مرَّ بي وقتٌ بمكّة سَقمتُ فيه، وفقدتُ الطبيبَ والدّواءَ؛ فكنتُ آخذ شربة مِن ماء زمزم، وأقرأُ عليها الفاتحة مِراراً، ثم أشربه؛ فوجدتُ بذلك البُرءَ التّامَّ، ثم صِرتُ أعتمدُ ذلك عند كثير من الأوجاع؛ فأنتفعُ بها غاية الانتفاع).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **في موضع آخر**: (وقد جَرّبتُ -أنا وغيري- من الاستشفاء بماء زمزم أُموراً عجيبة، واستشفيتُ به مِن عِدَّة أمراض، فبرأتُ بإذن الله).

بالدُّعاء .. وزمزم هنديّ يَستعيدُ بصرَهُ عند الكعبة

استعاد مواطن هندي بَصَرَهُ أمامَ الكعبة المشرَّفة بَعد أربعة أعوام من إصابته بالعمى؛ وسط تهليل وتكبير من الطّائفين ببيت الله الحرام، وقال المواطن الهنديّ (عبد العزيز بدر الدِّين الكشميري): إنه لجأ للحرَمِ الشّريف؛ بَعدما فقد الأطباءُ والمعالجون في بلاده كلَّ أمل في علاجه، بدرجة دفعته في إحدى المرات إلى التفكير في الانتحار بسكين!

وذكرَ الكشميري في مقابلة مع صحيفة (شمس) السّعودية -وقد اغرورقت عيناهُ بالدّمع وهو يُشيرُ إلى الكعبة المشرَّفة-: إنه بَعد نجاته من محاولة الانتحار؛ ألحَّ على أفراد عائلته ببيع محتويات البيت لتدبير تذاكر سفر لأداء العمرة، واستجابت الأسرة الفقيرة لطلبِهِ.

وخلال قيامه الليل بالحرم المكّي، كان يدعو الله أنْ يَرُدَّ له بصرهُ، وذات مرّة أخذتهُ غفوة؛ فرأى رؤيا أنّ عليه مداومة غسل وجهه بماء زمزم، وأداء ما تيسَّر من النوافل في أوقات السَّحر، والإكثار من الدّعاء والمناجاة بأن يردَّ اللهُ بَصرَه، وأثناء الدّعاء في إحدى المرّات كان يبكي بخشوع، ومسح دموعه؛ وإذا به يرى الكعبة، فَخَرَّ على الأرض سَاجداً شُكراً لله. [صحيفة السبيل/ العدد ١٢٣١].

العلماء وماءُ زمزم

✍ **قيل لابن خزيمة** رَحِمَهُ اللَّهُ: من أين أوتيت العلم؟

فقال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»، وإنّي لما شربتُ ماءَ زمزم؛ سألتُ اللهَ علماً نافعاً. [طبقات الشافعية الكبرى].

✍ **قال مشهور حسن:** (وقد شرب العلماءُ زمزم بنوايا عديدة، فها هو الحاكم صاحب «المستدرك» يشربه بنيّة الإحسان بالتصنيف، وقد أحسنَ في تصنيفاتهِ رَحِمَهُ اللَّهُ. وها هو ابن حَجَر شَرب زمزم بنيّة أن يكون كالحافظ الذهبي في معرفته بالرّجال، **وكان** رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول:** لا يحصى كم شربه من الأئمة لأمور نالوها، **وقال:** أنا شربته في بداية طلبي للحديث؛ بنيّة أنْ يرزقني الله حالة الإمام الذهبي في الحفظ ومعرفة الرّجال.

وقال: حججت بَعد عشرين سّنة، وأنا أجدُ في نفسي المزيد من تلك الرُّتبة. **وقال:** شربتُهُ فيما بَعد بنيّة أن يجعلني الله كابن تيميّة في مَعرفة الفِرق والأديان.

قال ابنُ الهُمام رَحِمَهُ اللَّهُ **في «فتح القدير»**: والعبدُ الضعيف -يقصد نفسه- شربه للاستقامة، والوفاة على حقيقة الإسلام). اهـ.

طرفة

شهد أعرابيٌّ عند حاكم، فقال المشهود عليه: أتقبلُ شهادَتَهُ، وله من المال كذا، ولم يحجّ؟ فقال الأعرابيّ: بل لقد حججتُ كذا وكذا مرَّة.

قال المشهود عليه: سَلْهُ -أصلحك الله- عن مَكان زمزم، فسأل الحاكمُ الأعرابيَّ عن مكان زمزم.

فقال الأعرابيُّ: إنّي حججت قبل أنْ تُحفر زمزم!

كلكم يبكي لدُنياي

قال يزيد الرَّقاشيُّ: دخلتُ على عابد، وإذا أَهلُ بيتِهِ حوْلهُ، فإذا هو مجهودٌ قد أَجهده الاجتهاد [في الطاعة].

قال: فبكى أَبوه فنظرَ إليه، ثم قال: أيَّها الشيخ؛ ما الذي يُبكيكَ؟ قال: يا بُني، أَبكي فَقدكَ، وما أرى من جُهدكَ.

قال: فبكت أُمُّهُ، فقال: أيّتها الوالدة الشّفيقة الرَّفيقة؛ ما الذي يُبكيك؟ قالت: يا بُني؛ فِراقك، وما أَتعجَّلُ من الوحشة بَعْدَكَ؟

قال: فبكى أَهلهُ وصبيانه، فنظرَ إليهم، ثم قال: يا معشرَ اليتامى بَعد قليل؛ ما الذي يُبكيكم؟ قالوا: يا أبانا نبكي فِرَاقك، وما الذي نتعجّلُ من اليُتم بَعدَكَ.

فقال: أقعدوني، ثم قال: أرى كلّكم يَبكي لدُنياي، أما فيكم من يَبكي لآخرتي؟ أما فيكم من يَبكي لما يلقاه في التُّراب وجهي؟ أما فيكم من يَبكي لمسألة مُنكر ونكير إيَّاي؟ أما فيكم من يَبكي لوقوفي بين يدي الله ربِّي !

قال يزيد: ثم صرخَ صرخةً فمات. [صفة الصفوة].

الوقوف بعرفة

قال عمرُ بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ **عند دفع النّاس من عرفة:** (ليس السَّابق اليومَ مَن سَبق به بَعيره؛ إنّما السّابقُ مَن غُـفر له).

أي: إنّ الأمر ليس بالكثرة؛ ولكن بالقَبُول.

وقفَ بعضُ الخائفين بعرفات وقال: إلهي! الناسُ يَتقرَّبون إليك بالبُدن، وأنا أتقرّبُ إليك بنفسي، ثم خرَّ ميّتاً.

للنّاسِ حجٌّ ولي حجٌّ إلى سكَني
تهدي الأضاحي وأهدي مُهجتي ودَمي

[لطائف المعارف]

الوقوف بعرفة

الحَجُّ عَرَفة

الوقوفُ بعرفَة ركن من أركان الحَجِّ؛ **لقول رسول الله** ﷺ: «الحَجُّ عرفة، من جاء قبل طلوع الفجر من ليلة جَمْعٍ؛ فقد أدرك الحجّ».

[صحيح الجامع/ ٣١٧٢].

سُنَّة: **قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: غدونا مع رسول الله ﷺ إلى عرفات منّا الـمُلبّي ومنّا المكبِّر. رواه مسلم.

فضائل يوم عرفة

يوم عرفة؛ يومُ غفران الذّنوب، وعِتقُ الرِّقاب مِن النِّيران، يُباهي اللهُ بأهل عرفات ملائكتَه، وهذه أدلّةٌ صريحةٌ وأحاديثٌ صحيحةٌ تُثبِتُ ذلك:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «إنّ الله يُباهي بأهل عرفات أهل السّماء، فيقول: انظروا إلى عبادي جاؤوني شُعثاً غُبراً».

[صحيح الترغيب/ ١١٥٢]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «إنّ الله يُباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي شُعثاً غُبراً» [صحيح الترغيب/ ١١٥٣]

قالت عائشة رضي الله عنها: **قال رسول الله** ﷺ:

«ما مِن يوم أكثرَ مِن أن يُعتق الله فيه عبيداً من النّار من يوم عرفة، وإنه ليَدنو، ثم يُباهي بهم الملائكة، فيقول: ماذا أراد هؤلاء؟!» رواه مسلم.

وفي زيادة قال: «اشهدوا ملائكتي أني قد غَفَرتُ لهم».

[صحيح الترغيب/ ١١٥٤]

✍ **وفي لفظ آخر: أنه ﷺ قال:** «إذا وقف بعرفات؛ فإنّ الله ﷻ ينزلُ إلى سماء الدُّنيا فيقول: انظروا إلى عبادي شُعثاً غُبراً، اشهدوا أنّي قد غفرتُ لهم ذنوبهم، وإنْ كانت عدد قطر السّماء، ورمل عالج».

[صحيح الترغيب/ ١١٥٥]

✍ **وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال:** «أمّا وقوفك بعرفة؛ فإن الله ﷻ يقولُ لملائكته: يا ملائكتي؛ ما جاء بعبادي؟ قالوا: جاؤوا يَلتمسون رضوانك والجنَّة، فيقولُ الله ﷻ: فإني أشهدُ نَفْسي وخَلقي؛ أني قد غَفرتُ لهم، ولو كانت ذُنوبهم عدد أيّام الدّهر، وعدد رمل عالج» [صحيح الترغيب/ ١١١٣]

شفاعة أهل عرفات

✍ **عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:**

«أما وقوفك عشية عرفة؛ فإنّ الله يَهبط إلى سماء الدُّنيا فيُباهي بكم الملائكة؛ يقول: عبادي جاؤوني شُعثاً مِن كلِّ فجٍّ عميق، يَرجون جَنَّتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرّمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر؛ لغفرتُها، أفيضُوا عبادي مغفوراً لكم، ولمن شَفعتُم له» [صحيح الترغيب/ ١١١٢].

✍ **قال المناوي رحمه الله:**

(وهذه المباهاة تقتضي الغُفران، وعموم التّكفير؛ لأنّه لا يُباهي بالحاجِّ، إلا وقد تطهّر من كلِّ ذنب، إذ لا تُباهي الملائكةُ -وهم مُطهَّرون- إلا بمطهَّر) [الرّياض/ ١٧٨].

كثُرَ خيرُ اللهِ وطابَ

ومن فضائل يوم عرفة؛ ما جاءَ **عن أنس بن مالك** رضي الله عنه **أنّه قال: وقفَ النّبيُّ** ﷺ **بعرفات، وقد كادت الشَّمسُ أنْ تؤوبَ؛ فقال:**

«يا بلال؛ أنصت لي النّاسَ».

فقام بلالٌ فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ، فأنصت النّاس.

فقال ﷺ: «مَعاشرَ النّاس؛ أتاني جبرائيلُ عليه السلام آنفاً، فأقرأني مِن ربّي السّلام، وقال: إنّ الله عز وجل غَفَرَ لأهل عرفات، وأهل المشْعر، وضَمِن عنهم التّبِعات».

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله؛ هذا لنا خاصة؟

قال: «هذا لكم، ولمن أتى مِن بعدكم إلى يوم القيامةِ».

فقال عمرُ: كثُرَ خيرُ اللهِ وطابَ. [صحيح الترغيب/ ١١٥١].

حُسنُ ظنٍّ بالله

نَظر الفضيلُ بن عياض رحمه الله **إلى تسبيح النّاس، وبكائهم يوم عرفة،** فقال: أرأيتم لو أنَّ هؤلاء صاروا إلى رَجُل يسألونهُ دانقاً ـ يعني: سدس درهم ـ أكان يردُّهم؟ قالوا: لا، قال: والله؛ للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق. [مختصر منهاج القاصدين].

وقال الشيخ صالح المَغامِسي في محاضراتِه «آياتٌ وعِظاتٌ»:

(مِن أعظمِ الغبْنِ أنْ يَخرجَ الإنسانُ حاجّاً إلى بيت الله الحَرام، والنَّبيُّ ﷺ يقول: قال الله عز وجل: «أنا عِند ظنِّ عَبدي بي» فيُكتبُ لهُ أنْ يَقِفَ في يوم عَرفة، ويدعوا الله؛ ويَغلبُ على ظنِّهِ ـ بَعد ذلك ـ أنّ الله لن يَغفِرَ لهُ).

الغبْنُ: الخُسرَان.

لطيفة

قال عبد الله بن المبارك: جئتُ إلى سفيان الثوريِّ عشية عرفة، وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناهُ تَهملان، فبكيتُ فالتفتَ إليَّ فقالَ: ما شأنُكَ؟ فقلت: مَن أسوأُ هذا الجمع حالاً؟

قال: الذي يَظن أنّ اللهَ لا يَغفر له [حسن الظن بالله].

دعاء عرفة

الدعاءُ يوم عرفة؛ هو الأفضلُ والمستحبُّ؛ لذا.. كَرِهَ بعضُ العلماء للحاجِّ أنْ يصوم يوم عرفة؛ حتى يَتفرَّغَ للدّعاء ومُناجاة الله.

وبالجملة؛ يَنبغي أن يَغتنم المسلمونَ يوم عرفة بالطّاعات، وأهمها الدعاء والذِّكر وقراءة القرآن والصّلاة على النّبي ﷺ، سواء كانوا حجّاجاً أو غير حجّاج؛ **لقوله** ﷺ: «خير الدّعاء؛ يوم عرفة».

[صحيح الجامع/ ٣٢٧٤].

وفي رواية: «أفضلُ الدّعاء؛ دعاءُ يوم عرفة، وأفضلُ ما قلتُ أنَا والنّبِيّونَ مِن قبلي: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له».

[صحيح الترغيب/ ١٥٣٦]

✸ **قال عطاء الخُراساني** رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن استطعتَ أن تخلو عَشية عرفة بنَفْسك فافعل).

فهمٌ دقيق

قال سفيانُ الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدِمت إلى مكّة، فإذا أنا بأبي عبد الله جعفر ابن محمّد قد أناخَ بالأبطح، فقلتُ: يا ابن رسول الله ﷺ لِمَ جُعِل الموقف مِن وراء الحرم، ولم يصير في المشعر الحرام؟!

فقال: الكعبةُ بيتُ الله، والحرمُ حجابُه، والموقفُ بابُه؛ فلمّا قصَدَهُ الوافدون [أي: الحجّاج] أوقفهم بالباب يَتضرَّعون، فلمّا أُذِن لهم في الدّخول؛ أدناهم من الباب الثاني، وهو المزدلفة، فلمّا نظر إلى كثرة تضرّعهم، وطول اجتهادهم رحمهم، فلمّا رحمهم، أمرهم بتقريب قُربانهم، فلما قرَّبوا قُربَانهم، وقضوا تَفثهم، وتطهروا من الذنوب التي كانت حجاباً بينه وبينهم، أمرهم بزيارة بيته على طهارة.

قلتُ: فَلِمَ كُرِه الصوم في أيام التشريق؟

قال: لأنهم في ضيافة الله، ولا يجبُ على الضيف أن يصوم عند من أضافه.

رأى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سائلاً يَسألُ [النّاسَ] يومَ عرفة! فقال: يا عاجز في هذا اليوم تسألُ غير الله؟! [التمهيد].

يوم عَرفة اليوم المشهود

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾ واليوم المشهود هو: يومُ عرفة؛ **فعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:**

قال رسول الله ﷺ: «اليومُ الموعود؛ يومُ القيامة، واليومُ المشهود؛ يومُ عرفة، والشاهد؛ يومُ الجمعة، وما طلعت الشمسُ ولا غربت على يوم أفضلَ منه؛ فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يدعو الله بخير؛ إلا استجابَ اللهُ له، ولا يَستعيذُ مِن شرٍّ؛ إلا أعاذهُ الله مِنه» [صحيح الجامع/ ٨٢٠١].

لطيفة

عن طارق بن شِهاب قال: قال رجلٌ من اليهُود لعمرَ بن الخطاب: يا أميرَ المؤمنين؛ لو أنَّ علينا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾؛ لاتخذنا ذلك اليومَ عيداً.

فقال عمرُ: إنّي لأعلمُ أيّ يوم نزلَت هذه الآية، نزلت يومَ عَرفة، في يوم جُمُعة. أخرجه البخاري.

بالاستغفار **نـدحرُ الشيطان** ونردّه خائباً خاسراً، **فعن أبي سعيد الخُدري** رضي الله عنه **أنّ النّبيَّ** ﷺ **قال:** «قال إبليس: وعزّتك! لا أبرحُ أُغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الله: وعزّتي وجلالي! لا أَزال أغفر لهم ما استغفروني». [صحيح الترغيب/ ١٦١٧].

تنبيه هام: كُنّا نرى مَن يَنامُ نوماً عميقاً، ثم إذا ما أُقيمَت الصّلاةُ؛ قامَ، أو ربّما أيقظَه مَن بجواره، فيقوم في الصفِّ، ويُصلّي وهو غيرِ وضوءٍ، **وقد قال رسولُ الله** ﷺ: «وكاءُ السَّه (الدُّبُر) العينان، فمَن نامَ؛ فليَتوضّأ» [صحيح أبي داود/ ١٩٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «أُمرَ بعبدٍ من عباد الله أن يُضربَ في قبره مائةَ جلدةٍ، فلم يَزَلْ يسأل ويدعو، حتى صارت جلدةً واحدة، فجُلدَ جلدةً واحدة؛ فامتلأ قَبرُهُ عليه ناراً، فلمّا ارتفع عنه وأفاقَ؛ قال: على ما جَلَدْتُمُونِي؟ قال: إنّك صلّيتَ صلاةً واحدة بغير طُهُورٍ، ومَررتَ بمظلوم فلم تنصُرْهُ» [الصحيحة/ ٢٧٧٤].

فضلُ الاستغفار

ها نحن نقف وقفة مع الاستغفار وفضائله، لنبُثَّ العزم في اغتنام -لا أقول: موسم الحجِّ والعمرةِ فحسب؛ بل- العُمر كلّه في الاستغفار، وذِكر الله تعالى.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فالاستغفار؛ أمانٌ من عذاب الله وسخطه وعقابه.

ووصف اللهُ أهلَ الجنّة ومدحهم بأنّهم كانوا يستغفرون كثيراً، **فقال سبحانه:** ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

ومع الاستغفار تكون السعادة والحياة الطيبة؛ **يقول الله تعالى:** ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾.

وهذا نبيّ الله نوح عليه السلام **يُذَكِّرُ بالاستغفار وفضائله:** ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ فبالاستغفار يُنالُ الخيرُ كلّه.

المبيت بمزدلِفة

✔ **قال الله تعالى:** ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ والمشعرُ الحرام؛ هو مزدلِفة.

✔ **قيل:** سمّيت مُزدلِفة بذلك؛ لأنّ النّاس يجتمعون فيها، ويزدلِفون إلى الله، أي: يتقرّبون إليه بالوقوف بها. [التوعية الإسلامية في الحجّ].

مسألة:

يَجمعُ الحاجُّ بمزدلفة بين صلاتي المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، مع قَصر صلاة العشاء.

فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ جَمَع في حجَّة الوداع المغرب والعشاء بالمزدلِفة. متفق عليه.

لطيفة

توسّد سفيانُ الثّوريُّ كومَةً مِن التُّرابِ في مزدلفة وهو حاجٌّ، فقال الناسُ: أفي مثل هذا الموطن تتوسّدُ التُّرابَ وأَنتَ مُحدِّثُ الدُّنيا؟!

قال: لَمخدّتي هذه أعظمُ من مخدّة أبي جعفر المنصور الخليفة. [لا تحزن].

الاستغفار

مِن رحمة الله –بنا– أنْ جاءنا بالخير كلِّه، ومن محبَّته –لنا– أنْ جعل عقِب كلّ طاعة ما يُنقّيها من الشّوائب؛ لتكون مُتقبّلة، فالصَّلاة بعد الانتهاء منها؛ نستغفر الله ثلاثاً، وشهر الصيام نختِمُهُ بصدقة هي طُهرة لنا قبل كلّ شيء، وكذلك الحجّ، فبَعد الوقوف بعرفة؛ ذِكرُ الله، وبَعد المبيت بمزدلفة؛ استغفار، **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وفي نهاية الأمر: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

قال الشّوكانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإنّما أمروا بالاستغفار؛ لأنّهم في مساقط الرّحمة، ومواطن القَبُول، ومظنّات الإجابة).

قال الحسن البصري:(أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقاتكم، وفي أسواقكم، ومجالسكم؛ أينما كنتم؛ فإنّكم ما تدرون متى تنزل المغفرة) [تزكية النفوس].

فضل رمي الجمار

✍ **عن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «إذا رميتَ الجمار؛ كان لك نوراً يوم القيامة» [صحيح الترغيب/ ١١٥٧].

✍ **قال ابن عمر** رضي الله عنهما : **قال رسول الله** ﷺ: «وأمّا رميك الجمار؛ فلك بكلِّ حصاة رميتها؛ تكفيرُ كبيرة مِن الموبقات» [صحيح الترغيب/ ١١١٢].

وفي رواية: «وإذا رمى الجمار؛ لا يَدري أحدٌ ما له، حتى يَتوفَّاهُ الله يوم القيامة»[صحيح الترغيب/ ١١٥٥].

✍ **قال عُبادة بنُ الصامت** رضي الله عنه : **قال رسول الله** ﷺ: «أما رميك الجمار؛ قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾» [صحيح الترغيب/ ١١١٣].

أبعدَ هذه البشائر، وتلك الفضائل لرمي الجِمار؛ يتساهلُ الحجيجُ بهذا الأمر، ويوكِّلون غيرهم، من غير عذر؟!

لطائف

✍ **قال ابن جماعة** رحمه الله: (وانْوِ عند رمي الجمار أنّك رميتَ عُيوبَك وسالف ذنوبك، وأقلعت عنها).

✍ **وقال أيضاً:** (وتذكَّر عند رمي الجمار كلّما رميتها رمي الشيطان، والتّحصن منه بكلمات الله التّامات وطاعاته، فإنّك في الظاهر ترمي الحصى إلى الجمرة، وفي الحقيقة ترمي به وجه الشّيطان وتقصم به ظهرَهُ، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثال أمر الله تعالى تعظيماً لمجرَّد أمره من غير حظّ للنفس فيه).

✍ **احذر.. قال رسول الله ﷺ**: «يا أيها النَّاسُ ! لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يُصبْ بعضُكم بعضاً، وإذا رميتم الجمرَ؛ فارموا بمثل حصى الخَذف» [صحيح الجامع/ ٧١٩٠].

أي بحجارة صغيرة بحجم حَبَّة الحُمّص.

الدعاء عند رمي الجمار

قال الهيثمُ بن حنش: سمعتُ ابن عمر ـ حين رمى الجمار ـ يقول: (اللهمَّ اجعله حَجّاً مبروراً وذَنباً مغفوراً) [مصنف ابن أبي شيبة].

قال الأعمشُ رحمه الله: (ليس على الوقوف عند الجمرتين دعاء موقت؛ فادع بما شئت) [مصنف ابن أبي شيبة].

ومن السُّنّة؛ التّكبيرُ عند رمي كلِّ حَصاة، كما صحَّ ذلك من فعله ﷺ كما في حديث جابر عند مسلم.

قصة رمي الجِمار

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما رفعه إلى النّبيِّ ﷺ قال:

«لما أتى إبراهيمُ -خليلُ الله- صلوات الله عليه وسلامه المناسكَ، عَرَضَ له الشيطان عند جمرة العَقَبة، فرماه بسبع حَصَيَاتٍ؛ حتى ساخَ في الأرض، ثم عَرَضَ له عند الجمرة الثانية، فرماهُ بسبع حَصَيَاتٍ؛ حتى سَاخَ في الأرض، ثم عَرَضَ له عند الجمرة الثالثة، فرماهُ بسبع حَصَيَاتٍ؛ حتى سَاخَ في الأرض».

✍ **قال ابن عباس موضّحاً**: (الشّيطان تَرجمون، ومِلّة أبيكم إبراهيم تتّبِعون) [صحيح الترغيب/ ١١٥٦].

فتوى التوكيل في رمي الجمار

سأل سائلٌ الشيخَ ابنَ باز فقال: حجَجت في العام الماضي ـ ولله الحمد ـ وقد رميتُ الجمرات عن زوجتي، ولم تكن حاملاً ولا مريضة، وكان مَعنا أربعة أطفال صغار، شاهدتُ الزِّحام، فلم أرها تستطيع الرّمي؛ فهل يجوزُ التوكيل أم أنها تركت واجباً؟ وماذا عليها الآن؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا كان الحالُ كما ذكرتم؛ فلا شيء عليها، إذا كانت قد وكّلتكَ في ذلك؛ لأنّ تعاطيها الرّمي مع الأطفال؛ فيه خطرٌ عظيمٌ عليها، وعلى الأطفال).

فقهٌ دقيقٌ وفهمٌ عميقٌ

قال الشيخ محمد محمد المختار الشنقيطي:

(هنا مسألة أُحبّ أنْ أنبِّه عليها: بعضُ النّاس يفعلُ المحظورات، فيقالُ له: لا شيء عليك إلا أن تذبح دماً !

أقول: لا، من ترك واجباً من واجبات الحجِّ عليه أمران: أحدهما التّوبة والنّدم والاستغفار، وهذا أمرٌ مهمٌ جدّاً يُغفَلُ كثيراً في الفتاوى.

أولاً: النَّدمُ والاستغفار؛ لأنه ترك أمراً أوجب اللهُ عليه فعلَهُ.

أما الأمر الثاني: ضمان ذلك الحقّ، وذلك بالدَّم الذي يُسمّى: دم الجُبران.

فليس كون وجود الدَّم يُعفي الإنسان من وصول الإثم عليه، يَنبغي على الإنسان أن يَتوبَ إلى الله، وأنْ يستغفرَ اللهَ، وإذا قصّرَ في واجب من واجبات الحجِّ دون أنْ يُعذر؛ عليه أنْ يُنيب إلى الله، وأن يستغفر الله؛ لأنه نوعُ استخفاف بشعيرة من شعائر الله، والله تعالى أعلم).

النّحر

إنّ أجرَ النّحر والذّبح عند الله عظيم، **قال الله** ﷻ **مخاطباً نبيّه محمّدٍ** ﷺ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

وجعلَ الله ذبحَ الهدي مِن شعائر الدِّين، ومنارات الحجّ، **فقال** ﷻ: ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُمْ مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾.

✓ **عن عبد الله بن قُرْط** رضي الله عنه **قال: قالَ رسولُ الله** ﷺ: «أعظمُ الأيام عند الله يوم النَّحر، ثم يوم القَرّ» [صحيح الجامع/ ١٠٦٤].

ويومُ القرِّ هو اليوم الذي يلي يومَ النّحر، ويقرّ الناس ويسكنون بمنى.

✓ **وعن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «أما نَحرُكَ؛ فمَذخُورٌ لك عند ربِّك» [صحيح الترغيب/ ١١١٢].

قال رسول الله ﷺ: «**دعواتُ المكروب**: (اللهمَّ رحمتَك أرجو، فلا تَكِلْني إلى نفسي طَرْفةَ عين، وأصلِحْ لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت)» [صحيح الجامع/ ٣٣٨٨].

✓ **وعن أبي بكر الصديق** رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **سُئل**: أي الأعمال أفضل؟ قال: «العجُّ، والثجُّ».

وفي رواية: سُئل: ما برُّ الحجّ؟ قال: «العجّ، والثجّ».

قال وكيع: (يعني بالعجّ؛ العجيج بالتلبية، والثجّ؛ نحر البُدن) [صحيح الترغيب/ ١١٣٨].

الحَلْق والتقصير

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾.

✂ يتهَرّبُ نفرٌ من الحجيج والعُمّار –الرّجال– من حَلْقِ شُعره، ويَعمَدون إلى التقصير بدلاً عنه؛ بحجَّة أنّ إبقاء الشَّعر أجمل وأرتب، وليت شِعري يا مَن قَدِمت ترجو غفران الذّنوب؛ أتبحثُ عن الأجمل، أم الأرجى للثواب والأجر؟ وهذه أحاديثُ أجمل البَشر محمّد ﷺ؛ تدعوك لحلق شَعرك وتُرغِّبك فيه؛ بل إنه ﷺ كان يَفعله، واعلم أنّ الأجملَ هو ما قرَّبَكَ إلى الله أكثر، ورفع منزلتَكَ ودرجتَكَ عنده سُبْحانه وتعالى.

✂ **قال ابنُ عمر** رضي الله عنهما: **قال رسول الله** ﷺ: «أما حِلاقك رأسك؛ فلك بكلِّ شَعرة حلقتها حَسنة، ويُمحى عنك بها خطيئة».

[صحيح الترغيب/ ١١١٢]

✂ **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال:** «اللهمَّ اغفر للمحلِّقين» قالوا: يا رسول الله وللمقصِّرين؟

قال: «اللهمَّ اغفر للمحلِّقين». قالوا: يا رسول الله؛ وللمقصِّرين؟

قال: «اللهمَّ اغفر للمحلِّقين». قالوا: يا رسول الله؛ وللمقصِّرين؟!

قال: «وللمقصِّرين» متفق عليه.

✂ **قال الإمام النووي** رحمه الله: (ووجه فضيلة الحلق على التّقصير؛ أنه أبلغ في العبادة، وأدلّ على صدق النِّية في التَّذلل لله تعالى، ولأنَّ المقصِّر مُبْقٍ على نفْسه الشَّعرَ الذي هو زينة، والحاجُّ مأمورٌ بترك الزِّينة، بل هو أشعث أغبر. والله أعلم) [شرح مسلم].

بُشرى أخرى للمحلّقين

نَعم هم مُحلِّقون لشعورهم، ولكنهم مُحلِّقونَ بأرواحهم وهِممهم، فكان لهم هذا الأجر، وذاك النّور والفوز، **فعن عبادة بن الصامت** رضي الله عنه **أن النّبيَّ** ﷺ **قال**: «وأما حَلْقُكَ رأسَكَ؛ فإنّه ليس من شَعرك شَعرة تقعُ في الأرض؛ إلا كانت لك نوراً يوم القيامة» [صحيح الترغيب/ ١١١٣].

فرحة صحابي

وانظر للفرحة التي تَغمرُ أصحابَ النّبيِّ ﷺ عند فعلهم للعمل الأتم والأكمل، والذي فيه الأجر والثّواب، فنفُوسُهم لرضى المولى تطيبُ، وأرواحهم لأجله تُزهق، هانت عليهم ذواتهم في سبيل الله، يُقدِّمون صدورهم للموت وهم فرحون ولسان حالهم: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ فما بالك بحلق شَعرات، عمّا قريب تَنبُتُ من جديد؟!

عن مالك بن ربيعة رضي الله عنه **أنه سمع رسول الله** ﷺ **وهو يقول**: «اللهمَّ اغفر للمحلِّقين، اللهمَّ اغفر للمحلِّقين». قال: يقول رجل ـ من القوم: وللمقصِّرين؟ فقال رسول الله ﷺ ـ في الثالثة أو الرّابعة ـ: «وللمقصِّرين».

ثم قال: وأنا يومئذٍ مَحلُوقُ الرأس؛ فما يَسرُّني بحلْق رأسي حُمْر النَّعم [صحيح الترغيب/ ١١٦٠]. وحُمْر النَّعم؛ كرائم النَّعم وأعلاها منزلة.

فتوى

سُئل الشّيخ ابن عثيمين رحمه الله **عن حلق الرأس بالماكينة، هل يُعتبر حَلْقاً أو تقصيراً؟**

فأجاب: (الظاهر أنه تقصير، حتى لو كانت الماكينة تأخذ شيئاً كثيراً من الرأس، وأن الحلق يختص بالحلْق بالموسى).

تنبيه

إلى أولئك الذين يأخذون شَعرة مِن هنا وأُخرى مِن هناك، ويَظنون أنّ هذا تقصيرٌ للشَعر، وإنّما هو ـ في الواقع ـ تقصيرٌ باتِّباع هدي النّبيِّ ﷺ.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله في معرض فتوى له بهذا الخصوص:

(ولا يجوزُ تقصير بعض الرأس ولا حَلْقِ بعضه، في أصح قولي العلماء، بل الواجب حَلْق الرأس كلّه، أو تقصيره كلّه. والأفضل أن يَبدأ بالشق الأيمن في الحَلْق والتقصير).

وقال أيضاً رحمه الله: (الواجب على الحاجِّ والمعتمر أنْ يُعمّم رأسه في الحلق والتقصير، كما فعل النّبيُّ ﷺ، وكما فعل أصحابه رضي الله عنهم بأمره).

النساء والحَلْق

أما النساء؛ فيُقصّرن من شعورهنّ قدْر الأُنملة، ولا يَحلقْنَ رؤوسهنّ؛ **روى أبو داود في «سُننه» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله** ﷺ: «ليس على النّساء حَلْق؛ وإنّما على النِّساء التّقصير» [الصحيحة/ ٦٠٥].

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (تجمع المُحرِمةُ شَعرَها، ثم تأخذ قَدْر أُنملة) [مصنف ابن أبي شيبة].

خطأ

من الأخطاء التي تَقعُ فيها بعضُ النِّساء أثنا تقصيرهنّ الشَّعر؛ القيام بكشف جزء مِن الشَّعر وتقصيره أمام الرِّجال عند المروة؛ ليتعجّلنَ التحلّل من الإحرام؛ وهذا فعلٌ مُنكرٌ ولا يجوز.

طُرفة

جعلَ أحدُ الجهّال من نفْسِه مُطوّفاً للحجيج ومُرشداً؛ فأوْكَلَ إليه رئيس المطوّفين تطويف اثنتي عشرة امرأة، وبعد أن فرغن من رمي الجِمار، أمرهنّ بحلق رؤوسهنّ بالموس، فامتثلن أمرَ المرشد ـ الجاهل ـ وعادت النّساء إلى أهلهنّ بدون شَعْر !!

وكم من مُدّع للعلم وهو جاهلٌ مُبِيْن، ومُتصدّرٌ للفتوى وهو ضالٌ مضلٌ، ومَن تأمّل حالَ الحجيج، تفطَّرَ قلبُه وطارَ عقلُه؛ لكثرة المخالفات الشرعية التي يقعون فيها، جراء فتاوى تصدر من الغوغاء وأهل الأهواء.

فيا علماء المسلمين.. هبّوا وقوموا بواجبكم تجاه إخوانكم؛ وألينوا لهم الجانب، وفقّهوهم دينَهم.

إليك بشارة نبويّة، وعطية ربانيّة؛ فقط للمستغفرين، **فعن عبد الله بن بُسر** رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:** «طُوبى لمن وُجِدَ في صحيفته استغفارٌ كثيرٌ» [صحيح الترغيب/ ١٦١٨].

فالاستغفار.. يزيِّن صحائف الأعمال، ويُدخل السرور على قلب صاحبه؛ **فعن الزُّبير** رضي الله عنه **أنّ النّبيّ** ﷺ **قال:** «من أحبّ أنْ تسرَّهُ صَحِيفتُهُ؛ فليكثر فيها من الاستغفار» [صحيح الترغيب/ ١٦١٩].

أيامُ التشريق

✍ **عن نُبَيْشَةَ الهذَلِيِّ** رضي الله عنه **قال: رسولُ الله** ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لله» رواه مسلم.

✍ **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أنّ رسولَ الله** ﷺ **قال:** «أيامُ التّشريق؛ أيام طعم وذِكرٌ الله» رواه أحمد

✍**وفي لفظ ابن ماجه:** «أيام مِنى أيام أكل وشُرب» [الصحيحة/ ١٢٨٢].

✍ **ونقلَ سيّد سابق في كتابه «فقه السُّنّة» آثاراً تؤكِّدُ فضيلةَ التكبير في هذه الأيام؛ فقال:**

قال البخاري: (وكان عمر رضي الله عنه يُكَبِّر في قُبّته بمنى، فيسمعه أهلُ المسجد؛ فيكَبِّرون، ويُكَبِّر أهلُ السّوق حتى يرتجّ مِنى تكبيراً.

وكان ابن عمر يُكَبِّر بمنى تلك الأيام، وخَلْف الصّلوات، وعلى فِراشه وفي فُسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً، وكانت ميمونة تُكبِّر يوم النَّحر).

✍ **عن عائشة وابن عمر** رضي الله عنهم **قالا:** لم يُرخّص في أيام التّشريق أنْ يُصَمْنَ؛ إلا لمن لم يجد الهدي.

✍ **قال سفيان الثوريّ: قلتُ لعبد الله بن جعفر:**.. فَلِمَ كُره الصوم في أيام التّشريق؟

قال: لأنهم في ضيافة الله، ولا يجبُ على الضيف أن يصوم عند من أضافه.

الحجّ عن الغير

☯ **عَنْ أَبِي رَزِينٍ العُقَيْلِيِّ** رضي الله عنه أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الحَجَّ، وَلَا العُمْرَةَ، وَلَا الظَّعْنَ، قَالَ: «حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ» رواه أحمد وغيره

☯ **قال ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنه: جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ فَرِيضَةَ الله عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» رواه البخاري.

☯ **قال الإمام ابن القيّم** رحمه الله: (فأفضلُ ما يُهدى إلى الميّت: العتقُ، والصدقة، والاستغفار... والحجّ).

☯ **وقال الشيخ الألباني** رحمه الله: (للولد أن يتصدَّق، ويصوم، ويحج، ويعتمر، ويقرأ القرآن عن والديه؛ لأنه من سعيهما) [الصحيحة/ ١/ ٧٩٣].

لطائف الفتاوى

✍ **قال الشيخ ابن باز** رحمه الله **في معرض فتوى له:** (إذا مات المسلم، ولم يقض فريضةَ الحجِّ، وهو مُستكمِلٌ لشروط وجوبها؛ وجبَ أنْ يُحجَّ عنه من ماله الذي خلَّفه، سواء أوصى بذلك، أم لم يوص).

✍ **وسُئل الشيخ ابن عثيمين عن رجل اعتمر عن أبيه؛ فهل يجوز له أن يَدعو لنفسه؟**

فأجاب رحمه الله: (يجوز أنْ يدعو لنَفْسه في هذه العمرة، ولأبيه، ولمن شاء من المسلمين؛ لأنّ المقصود أنْ يأتي بأفعال العمرة لمن أرادها له.

أمّا مسألة الدُّعاء؛ فإنّه ليس بركن، ولا بشرط في العمرة، فيجوز أنْ يدعو لنَفْسه ولمن كانت له العمرة، ولجميع المسلمين).

[فتاوى أركان الإسلام]

✍ **وسُئل الشيخ محمد محمد المختار الشنقيطي**: إذا توفي الوالدان، ولم يحجّا، ولم يعتمرا، وأردت أن أحجّ عنهما وأعتمر؛ فهل أبدأُ بالوالد أو الوالدة. وما الدليلُ؟

فأجاب -حفظه الله-: (تبدأُ بالوالدة؛ لأنَّ النّبيَّ ﷺ عظّم حقَّها، فقال -لما سأله الصّحابي: مَن أحقّ النّاس بحُسن صحابتي؟- قال: «أمّك» قال: ثم مَن؟ قال: «أمّك» قال: ثم مَن؟ قال: «أمّك» قال: ثم مَن؟ قال: «أبوكَ».

قال العلماءُ: في هذا دليل على أن حقَّ الأمّ آكدُ مِن حقّ الأب؛ حتى إنّ بعضَ العلماء قال: إذا تعارض برُّ الوالد والوالدة، يُقدَّمُ بِرُّ الوالدة على الوالد؛ وذلك لأن النّصَّ دلَّ على أنها أحقّ بحُسن الصحبة، وهي أولى، وحينئذٍ تبدأ بأمّك، ثم بَعد ذلك تُثنّي بأبيك، والله تعالى أعلم).

ملاحظة

لا بُدّ لمن أراد أنْ يَحجّ عن غيره، أنْ يكون حجّ عن نفسه، **فعن عبد الله ابن عباس** رضي الله عنهما **أنّ رسول الله** ﷺ **سمعَ رجلاً يقول: لبّيك عن شُبْرُمَة! فقال** ﷺ:

«أحجَجْتَ عن نفسك؟».

قال: لا.

قال ﷺ: «فحجّ عن نفسك، ثم حجّ عن شُبْرُمَة» [صحيح الجامع/ ٣١٢٨].

تحذير وتنبيه

سُئل الشيخ محمد محمد المختار الشنقيطي عن رجل توفي ولم يحجّ؛ مع أنه كان قادراً على الحجّ في حياته، فما الحكم؟

فأجاب ـ حفظه الله ـ: (نسأل الله السلامة والعافية، من كان قادراً على الحجّ ولم يحجّ؛ فإنه آثم، كَرِه الله انبعاثه فثبَّطه وقيل: اقعدوا مع القاعدين، كَرِهَ الله أن يراه في هذه الجموع المؤمنة، ولو كان عبداً صالحاً موفَّقاً؛ لما تقاعس عن واجب الله جل وعلا وفريضته، فإنّ الله يَبتلي الإنسانَ بماله، ويبتليه بأهله وأولاده، فيكره الخروج في طاعة الله وما فرَضَ الله عليه، فيجعل الله ماله شُؤماً عليه، ويجعل ذريته وأولاده بلاءً عليه، وهذه هي فتنة الأموال والأولاد، فمن فعل ذلك فقد أثم، واعتدى حدَّ الله ﷻ بترك هذه الفريضة، فيجب على من استطاع الحجّ إلى بيت الله الحرام -ولم يكن مَعذوراً- أن يُبادر بالحجِّ، وأن يَقوم بفريضة الله جلّ وعلا عليه.

أما لو مات ولم يحجّ؛ فإنّه آثم، ثم يجبُ على ورثتِهِ أنْ يقوموا بالحجِّ عنه، يُحججوا أو يُخرجوا من تَرِكَتِه ما يُحَجَّ به عنه، فإنْ وُجِد متبرع بدون مال؛ فلا إشكال، وإنْ لم يوجد متبرع؛ فإنهم يستأجرون من يقوم بهذا الحجّ على وجهه، **ويُعتبر هذا مِن الدّيون التي تُقضى قبل قسمة التَّرِكة**، فيؤخذ من ماله على قَدْر الحجّ عنه قبل أنْ تُقسم التَّرِكة؛ لأن الله قال في قسمة المواريث: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ فلما قالَ: ﴿أَوۡ دَيۡنٍ﴾ أطلق، وقد سمّى النّبيُّ ﷺ حقّ الله دَيناً، فقال للمرأة: «أرأيت لو كان على أمّك دين أكنت قاضيته؟» قالت: نعم. قال: «فدينُ الله أحقّ أنْ يُقضى» فمن مات ـ وهو قادر على الحجِّ ـ ولم يحجّ؛ فإنّه يُحَجّ عنه من ماله، ويُخرج من ماله على قدْر نفقة الحاجّ عنه).

حجّ الصبي والصغير

عن ابن عباس رضي الله عنهما **أن امرأةً رفعت صبياً إلى النّبيِّ** ﷺ **في حجَّة الوداع، فقالت**: يا رسولَ الله: ألهذا حجّ؟

قال: «نَعم؛ ولك أجر» رواه مسلم.

فيكتب له أجر حجّ أو عمرة؛ ولا يسقط الفرض عنه.

الزواج والحجّ

رجلٌ أعرفه؛ قاربَ التسعين، ويُعدُّ في بلدته من أهل التّدين والاستقامة، وكلّما سُئل: لماذا لم تحجّ؟! كان جوابه: تزويج الأولاد أولى، وها هو قد زوَّجَ أولادَه وأولاد أولادِهِ؛ ولم يحجّ بعد ولم يعتمر !!

☯ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: (إذا كان مع الرّجل مالٌ، فإن تزوج به لم يبق معه فضلٌ، وإن حجَّ خشي على نفسه؛ فإنه إذا لم يكن له صبرٌ على التزويج؛ تزوج، وترك الحجّ).

☯ **فيا أيها الحبيب**.. لا تؤجل الطاعة ولا تؤخِّرها، وقد ذكرنا خطورة التأخير سابقاً.

إذا هبّت ريـاحُك فاغتنمهـــا ... فإنّ لكلّ خافـقـةٍ سكـــونُ

ولا تغفُل عن الإحسـان فيها ... فما تدري السكون متى يكونُ

كم أستغفر؟ ومتى؟

يظنُّ بعضُ الناس أنّ الاستغفار إنّما يكون لكبيرةٍ من الكبائر أو موبقة مِن الموبقات؛ وهذا فهمٌ خاطئٌ، وظنٌّ بَعيد؛ فقد كان النّبيُّ ﷺ كثير التوبة والاستغفار، وهو الذي غَفرَ الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر.

✍ **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: سمعتُ رسول** ﷺ **يقول:** «والله إنّي لأستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرّة» رواه البخاري.

✍ **وأخرج أبو داود في «سُننه» عن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما **قال:** كنّا نَعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرةٍ: «ربّ اغفر لي وتب عليَّ؛ إنّك أنت التوابُ الرّحيم» [صحيح الجامع/ ٣٤٨٦]

✍ **قال رجل: مررتُ ذات يوم بفضيل بن عياض، فقلتُ له:** أوصني بوصية ينفعني الله بها.

قال: يا عبد الله؛ أخْفِ مكانك، واحفظ لسانك، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات -كما أُمرتَ-.

مسجدُ الخِيف

مسجدُ الخِيف؛ يقع في مِنى، قُرب الجمرات، **عن عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ:

«صلّى في مسجد الخِيف سَبعون نبيّاً، منهم موسى ﷺ، كأنّي أنظرُ إليه، وعليه عباءتان قَطَوانيتان، وهو مُحرِمٌ على بعير من إبل شنوءة، مخطوم بخطام ليف، له ضفيرتان».

قال المنذري رحمه الله: (قَطَوان بفتح القاف والطاء المهملة جميعاً؛ موضع بالكوفة تُنسب إليه العبي والأكسية) [صحيح الترغيب/ ١١٢٧].

وشنوءة؛ اسم قبيلة.

من ثمرات الحجّ والعمرة

لا بُدَّ لكلّ عمل مِن نتيجة وثمرة، وللحجّ والعمرة ثمرات عديدة ـ مَرَّ معنا بعضُها ـ ومنها؛ التقوى، وزيادة الإيمان، وتعزيز الحبِّ والبُغض في الله، والولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين أعداء الدِّين، وقد أدركَ الأوائل هذه الثمرة، فكان حبُّهم في الله وبغضهم في الله.

✓ **فعن البراء** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «أوثق عُرى الإسلام؛ أنْ تُحبّ في الله، وتبغض في الله» [صحيح الجامع/ ٢٠٠٩].

ولا يكادُ العَجبُ ينقطع من أولئك الذين جهلوا قاعدة الولاء والبراء، ولربّما وجدتَهم في مساجدنا يُصلّون معنا ويَصومون كما نصوم؛ ولكنّهم لا يُوَالون ولا يُعادون في الله، وإنما الأمر عندهم مرتبطٌ بالمصالح والمآرب.

✓ **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: (لو أنّ رجلاً قام بين الرّكن والمقام يعبد الله سبعين عاماً؛ لبعثه الله مع مَن يُحبّ).

✓ **قال أبو الوفاء بن عقيل** رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا أردتَ أنْ تعلم محلَّ الإسلام مِن أهل الزَّمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيكَ، وإنما انظر إلى مواطأتِهم أعداءَ الشريعة.

عاش ابنُ الرّواندي والمعرّي ـ عليهما لعائن الله ـ يَنْظمون وينشرون كُفراً، وعُظِّمت قبورهم، واشتُريت تصانيفهم؛ وهذا يَدلُّ على بُرودة الدِّين في القلوب) [الولاء والبراء/ القاسم].

ومن هذه الثمرات.. رؤية عِباد الله الصّالحين والعلماء الرَّبانيين، **قال أيوب السّختياني** رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَزيدُني حرصاً على الحجِّ لقاء إخوان لي، لا ألقاهم بغير الموسم) [روضة العقلاء].

﴿ وماذا بَعد الحَجّ؟! ﴾

وإذا أتمَّ الحاجُّ نُسكه؛ فمِن السُّنّة أن يُعجِّل الرُّجوع إلى دياره وأهلِهِ، **فعن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت: قال رسول الله** ﷺ: «إذا قضى أحدكم حجَّهُ، فليُعجِّل الرّجوع إلى أهلِهِ؛ فإنَّه أعظم لأجرِهِ» [صحيح الجامع/ ٧٣٢].

> **جاء جبريلُ إلى النبيِّ** ﷺ **فقال: «يا محمّد ! عِشْ ما شِئتَ فإنّك ميِّتٌ.. واعمَلْ ما شئتَ فإنّك مَجزيٌّ به.. وأحبِبْ مَن شئتَ فإنّك مُفارِقُه، واعلَمْ أنّ شَرَفَ المؤمن قيامُ الليل.. وعِزَّهُ استِغناؤهُ عن النَّاس»** [صحيح الترغيب/ ١٢٣٩].

أخي الحبيب ! يا من لم يكتب له الحجّ !

قال ابنُ رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «لطائف المعارف»:

(من فاتَهُ في هذا العام القيام بعرفه؛ فلْيَقُم لله بحقِّه الذي عَرَفه.

من عجز عن المبيت بمزدلفة؛ فليبت عزمه على طاعة الله، وقد قرَّبه وأزلفه.

من لم يُمكنه القيام بأرجاء الخَيْف؛ فلْيقُم لله بحقِّ الرَّجاء والخوف.

من لم يقدر على نحر هديه بمِنى؛ فليذبح هواهُ هنا وقد بلغَ المُنى.

من لم يصل إلى البيْت؛ لأنّه منه بَعيد؛ فليقصد ربَّ البيْت؛ فإنّه أقرب إلى مَن دعاهُ ورجاهُ مِن حبل الوريد...

يا همم العارفين بغير الله لا تَقْنعي.

يا عزائم النّاسكين لجمع أنساك السّالكين اجمعي، ولحبِّ مولاكِ أفردي، وبين خوفِهِ ورجائه أقرِني، وبذِكره تمتَّعي.

يا أسرارَ المحبِّين بكعبة الحُبِّ طوفي واركعي، وبين صفاء الصّفا ومروة المروة اسعي وأسرعي.

وفي عرفات الغرفات قفي وتضرَّعي، ثم إلى مُزدلفة الزّلفى فادفعي، ثم إلى مِنى نيل المنى فارجعي.

فإذا قرَّبوا القرابين؛ فقرِّبي الأرواح ولا تمنعي، لقد وضحَ الطّريق، ولكن قلَّ السّالكُ على التّحقيق، وكَثُرَ المدَّعي).

الصلاة على النّبيّ ﷺ

أمرَ اللهُ عبادَه بالصَّلاةِ على رسولِه محمَّد ﷺ فبدأ بنَفْسِه، وثنّى بملائكتِه المسبِّحة بقُدسِه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

• **عن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «إن أولى النّاس بي يوم القيامة؛ أكثرهم عليَّ صلاة» [صحيح الترغيب/ ١٦٦٨].

• **عن عمار بن ياسر** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «إنّ الله وَكّل بقبري مَلَكاً أعطاهُ الله أسماء الخلائق؛ فلا يُصلّي عليَّ أحدٌ إلى يوم القيامة؛ إلا أبلغني باسمه واسم أبيه: هذا فلان ابن فلان؛ قد صلّى عليك» [صحيح الترغيب/ ١٦٦٧].

• **وقال أبو الدّرداء** رضي الله عنه: **قال رسول الله** ﷺ: «مَن صلّى عليَّ حين يُصبح عشراً، وحين يُمسي عَشراً؛ أدركتهُ شفاعتي يوم القيامة» [صحيح الجامع/ ٦٣٥٧].

واحدة بعشر: عن أنس بن مالك رضي الله عنه **أنّ النّبيَّ** ﷺ **قال:** «من ذُكرتُ عنده فليصلّ عليَّ، ومن صلّى عليَّ مرَّة؛ صلّى الله عليه بها عشراً».

وفي رواية: «من صلّى عليَّ صلاة واحدةً؛ صلّى الله عليه عشر صلوات، ويحطَّ عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات».

[صحيح الترغيب/ ١٦٥٧]

المسجد الحرام

قال بعض الحكماء: (رؤية البيت؛ تُشوّق إلى ربِّ البيت).

[فضائل الحجّ والعمرة/هيثم محمد حيدر]

فضلُ المسجد الحرام

أوَّل مسجد بُني على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: **قال رسول الله** ﷺ: «أنا خاتمُ الأنبياء، ومسجدي خاتمُ مساجد الأنبياء، أَحقُّ المساجد أنْ يُزار، وتُشدُّ إليه الرّواحل؛ المسجد الحرام، ومسجدي» [صحيح الترغيب/ ١١٧٥].

أجرُ الصلاة فيه

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما **أنّ رسول الله** ﷺ **قال**: «صلاةٌ في مسجدي أفضلُ من ألف صلاة فيما سِواه، إلا المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضلُ مِن مائة ألف صلاة فيما سِواه»

[صحيح الترغيب/ ١١٧٣].

قال أبو بكر النَّقاش رحمه الله: (فحسَبتُ ذلك على هذه الرواية؛ فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة، وصلاة يوم وليلة في المسجد الحرام، وهي خمس صلوات؛ عمر مائتي سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال) [مثير الغرام الساكن].

له تُشدّ الرحال

عن جابر رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «خير ما رُكِبت إليه الرّواحل؛ مسجد إبراهيم ﷺ ومسجدي».

وفي رواية: «مسجدي هذا، والبيْت المعمور».

وفي رواية ثالثة: «إن خيرَ ما رُكِبت إليه الرّواحل؛ مسجدي هذا، والبيْت العتيق» [صحيح الترغيب/ ١٢٠٦].

✍ **وعن سعيد بن أبي سعيد المقبري** أن أبا بصرة جميل بن بصرة لقي أبا هريرة وهو مُقْبِل من (الطور)، فقال: لو لقيتك قبل أن تأتيه لم تأته؛ إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنما تُضربُ أكبادُ المطي إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» [الصحيحة/ ٩٩٧].

والمعنى؛ أنه لا يجوز السَّفرُ وشَدُّ الرِّحال بقصد التَّعبُّد، وبنيّة التقرُّب إلى الله؛ إلا إلى هذه المساجد الثلاثة: المسجد الحرام في مكة، ومسجد النبيِّ ﷺ في المدينة، والمسجد الأقصى في القدس ـ فكّ الله أسرَه من اليهود ـ.

ويأتي ذكرُ مزيد من فضائل المسجد الحرام عند الحديث عن المسجد النبويّ.

﴿ حُرمة المسجد الحرام ﴾

✓ **قال الله تعالى**: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾. الإلحادُ؛ العصيان.

✓**قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما **قال النبيُّ** ﷺ: «أبغضُ النّاس إلى الله ثلاثة: مُلحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سُنّة الجاهلية، ومُطّلِبُ دم امرئٍ بغير حقّ؛ ليُهريق دمه» رواه البخاري.

لذا قال ابنُ عباس ـ راوي الحديث ـ: (لو وجدتُ قَاتلَ أبي في الحَرَم؛ ما عَرضتُ له).

والإلحادُ من الكبائر، **وعدَّ النبيُّ** ﷺ **الكبائر، وذكرَ منها**: «وإلحادٌ بالبيت قِبلتِكم أحياءً وأمواتاً» [صحيح الجامع/ ٤٦٠٢].

إلى كلِّ مهموم ومكروب ! أسألُ الله أنْ يُفرِّجَ همَّك ويكشفَ كربَك، هذا علاج أُرشِدُكَ إليه ليس من عندي؛ بل من صيدلية محمد ﷺ ، ففيه الفَرَجُ والحلُّ والمخرجُ -بإذن الله تعالى-.

✓ **قال أُبيّ بن كعب** رضي الله عنه : **كان رسول الله** ﷺ **إذا ذهبَ رُبع الليل، قام فقال:** «يا أيها النّاس؛ اذكروا الله، اذكروا الله؛ جاءت الرّاجِفة، تتبعُها الرّادِفة، جاء الموتُ بما فيه، جاء الموت بما فيه».

قال أُبيّ بن كعب: فقلت: يا رسول الله؛ إنّي أُكثِرُ الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؟! **قال:** «ما شئتَ».

قلتُ: الرُّبع؟ **قال:** «ما شئتَ، وإن زدت فهو خير لك».

قال: فقلتُ: فثُلثين؟ **قال:** «ما شئتَ فإن زدتَ فهو خير لك».

قلتُ: النّصف؟ **قال:** «ما شئتَ وإن زدتَ فهو خير لك».

قلتُ: أجعل لك صلاتي كلّها؟

قال ﷺ: «**إذاً يُكفى همّك، ويُغفر لك ذنبك**».

✓ **وفي رواية: قال أُبي: قال رجلٌ:** يا رسول الله؛ أرأيتَ إنْ جعلتُ صلاتي كلّها عليك؟

قال: «إذاً يَكفيك اللهُ تبارك وتعالى ما أهمّكَ مِن دُنياك وآخرتك».

✓ **قال المنذريّ:** قوله: أُكثِرُ الصَّلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؛ معناه: أُكثرُ الدُّعاء، فكم أَجعلُ لك مِن دُعائي صلاة عليك؟

[صحيح الترغيب/ ١٦٧٠]

الكعبة المشرَّفة

الكعبةُ قِبلتنا، ومهوى أفئدتنا، نتّجهُ إليها في كلِّ صلاة، وتسكن سويداء قلوبنا في الحِلِّ والتّرحال، حبُّها عبادة، وتعظيمُها واجب، فيها الحَجر الأسود، والرّكن اليماني، وبجوارها المقام، وماء زمزم والمسعى، وتسكن أحبّ البِقاع إلى الله أمّ القرى مكة؛ حرسَها اللهُ وحفظَها.

هنا السماوات تبدو قرب طالبها ... هنا الرِّحاب فضاء حين يُلتمس

هنا الطهارة تحيا في أماكنها ... لا الطيب يبلى ولا الأصداء تندرس

وهذا نبينا ﷺ يُعبِّرُ عن حُبِّه وما يَختلجُ قلبه تجاه الكعبة، في مشهدٍ مِلؤهُ الولَه والعِشق والهيام، ينقله أصحابه رضي الله عنهم.

◈ **عن عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما **قال: رأيتُ رسول الله** ﷺ **يطوف بالكعبة، ويقول:** «ما أطيبك وما أطيب ريحك، ما أعظمك وما أعظم حرمتك؛ والذي نفسُ محمد بيده؛ لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه» [صحيح الترغيب/ ٢٤٤١].

◈ **وعن عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما **قال: لما نظرَ رسول الله** ﷺ **إلى الكعبة قال:** «مَرحباً بك من بيتٍ، ما أعظمَك، وأعظمَ حُرمتكَ».

[الصحيحة/ ٣٤٢٠]

قصة

قال سعيد بن جبير رحمه الله: (ما رأيتُ أرعى ذمّةً لهذا البيت، ولا أحرص عليه؛ مِن أهل البصرة، ولقد رأيتُ جاريةً منهم ذات ليلةٍ تعلَّقَت بأستارِ الكعبة، فجعلَت تدعو وتبكي وتتضرّع؛ حتى ماتت).

[صفة الصفوة]

السِّرُّ

يقولُ يوسف -وهو الاسم الجديد لمسلم أميركي-:

(أكثر ما شدَّني مَنظرُ أَحدُ المصلِّينَ في الحرم المكي يُجهشُ بالبكاء، كُنتُ أتساءل: ما يُبكيه؟!! وعَرفتُ الإجابة عندما وقَعَ بَصري على الكعبة.

منظرٌ مهيبٌ، إجلالٌ وتعظيمٌ، ذرفت دموعي ولم أشعر بها؛ فقد كُنت أنظر إلى الكعبة، وقد أَسَرَني منظرُها) [المختصر للأخبار/ ٧٢٩٢].

الدعاء عند رؤية الكعبة

ويُستحبُّ الدعاءُ، ورفعُ اليدين عند رؤية الكعبة والنظر إليها، **قال الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه: «مناسك الحجّ والعمرة»:**

(فإذا رأى الكعبةَ، رفعَ يديه إن شاء، لثبوته عن ابن عباس، ولم يثبت عن النّبيِّ ﷺ هنا دعاءٌ خاص، فيدعو بما تيسَّر له، **وإن دعا بدعاء عمر**: (اللهمَّ أنت السَّلامُ، ومنك السَّلامُ، فحيّنا ربّنا بالسَّلام). فحَسنٌ، لثبوته عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

قصة

قال السَّريّ السَّقَطيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: خرجت إلى الحجّ؛ فلقيتُ جارية حَبَشية، فقلتُ: إلى أين يا جارية؟ فقالت: إلى مكة. فقلتُ: إنّ الطريق بَعيد، فأنشدت تقول:

بعيدٌ على الكسلان أو ذو مَلالةٍ وأمّا على المشتاق فهو قريبُ

[مُنية الواعظين]

النظر إلى الكعبة

✍ **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ:

«إنّ لكلّ شيءٍ سيّداً، وإنّ سيّد المجالس قِبالة القِبلة» [الصحيحة/ ٢٦٤٥].

✍ **قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما: (النظرُ إلى الكعبةِ؛ مَحْضُ الإيمان) [أخبار مكة للأزرقي].

✍ **عن عطاء ومجاهد** رحمهما الله **أنهما قالا**: (النّظرُ إلى البيت عِبادة، وتكتبُ له بها حَسنة، وتُصلّي عليه الملائكة؛ ما دامَ ينظر إليه) [مصنف عبد الرزاق].

✍ **وقال بعض الحكماء**: (رؤية البيت؛ تُشوّق إلى ربِّ البيت).

[فضائل الحجِّ والعمرة]

✍ **وقال الغزالي** رحمه الله:

(وأما وقوع البصر على البيت، فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب، ويُقدِّر كأنه مشاهدٌ لربِّ البيت لشدّة تعظيمه إيّاه، وارجُ أن يرزقك الله تعالى النّظر إلى وجهه الكريم، كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم).

قال الشافعيُّ رحمه الله: **(أربعةٌ تقوي البَصر: الجلوس تجاه الكعبة، والكحل عند النوم، والنّظر إلى الخضرة، وتنظيف المجلس).**

أمريكي يموت أمام الكعبة

قَدِم للمملكة السعودية للعمل، أمريكيُّ الأصل والمنبت، لونه أبيض، مركزه مرمُوق، ناجحٌ في عمله، كان همّه جمعُ المال، والتّمتع بالحياة.

يقول: في لحظة استرخاء؛ لفت نظري ـ لأول مرَّة ـ مَنظر عددٍ غير قليل من المسلمين ـ سعوديين وغير سعوديين ـ يتّجهون إلى مسجد كبير، وكنتُ قد سمعتُ الأذان أوَّل ما جلستُ، وشعرتُ بشعور لم أعهده مِن قبلُ؛ هبَّت من خلاله نسائم لا أستطيع أن أصفها، وانقدح في ذهني سؤال: لماذا يصنع هؤلاء النّاس ما أرى؟ ما الذي يدفعهم إلى المسجد بهذه الصورة، كأنّهم يتسابقون إلى مكان يُدفع لهم نقوداً وهدايا ثمينة تستحقّ هذا الاهتمام؟!

كان السؤال عميق الأثر في نفسي، جعلني اهتمُّ بمتابعة ما يجري بصورة أعمق، وسمعتُ حركة صوت مكبِّر الصوت، ثم الإقامة، وبدأت أفكرُ بصورة جدَّية، وحينما سمعت الإمام يقول: السلام عليكم ورحمة الله، وجّهتُ نظري إلى بوَّابة المسجد الكبيرة؛ فإذا بحشود المصلِّين يخرجون يتدافعون، يصافحُ بعضهم بعضاً بصورة كان لها أثرها الكبير في نفسي، **ووجدتني أردِّد بصوت مرتفع: يا له من نظام رائع !!** وكانت تلك بداية دخولي إلى عالم الإسلام الجميل.

نعم.. أَشرقَ قلبه بنور التوحيد والإيمان، عرف حلاوة الإسلام، وكان يُحدِّث أصحابه عن سعادته الغامرة بهذا الدِّين العظيم.

بَعد مُرور شهرين على إسلامه؛ أبدى رغبتَه في زيارة البيت الحرام للعمرة والصلاة أمامَ الكعبة مباشرة.

وانطلق ومعه صديقان سعوديان من رفقاء العمل. وهناك في رحاب البلد الأمين، وفي ساحات المسجد الحرام، وأمام الكعبة المشرَّفة؛ هامَ بروحه، وارتقى عالياً في تلك الأجواء الإيمانية، والنَّفحات الرّبانيّة.

وقد رأى مِنهُ صاحباهُ عَجباً: من خشوعه ودعائه وبكائه، وقال لهما:

(كم في هذا العالم من المحرومين مِن هذا الجو الرّوحي العظيم).

أتمَّ عمرته قَبل صلاة العشاء، وكان حريصاً على الصلاة في الصّفِ الأوَّل المباشر للكعبة، وحقَّق الله مُرادَهُ.

وبدأت الصلاة، وكان في حالةٍ من الخشوع العجيب، يقول صاحبُه: وحينما قمنا من التشهُّد الأوَّل، لم يقم، وظننته قد استغرق في حالته الرّوحيّة؛ فنسي القيام، ومددتُ يدي إلى رأسه مُنبّهاً له، ولكنّه لم يستجب، وحينما ركعنا؛ رأيته يميل ناحية اليمين، وما أنْ انتهت الصلاة؛ حتى تبيَّن لنا أنّ الرّجل قد مات وفارقَ الحياة.

إذا كان حبُّ الهائمين من الورى ... بليلى وسلمى يَسلبُ اللبّ والعقلا

فماذا عسى أنْ يصنع الهائم الذي ... سرى قلبُه شوقاً إلى العالم الأعلى

وتمّ دفنه في مكة المكرمة بعد استئذان أهله في أمريكا.

وحينما علم زملاؤه الأمريكان ـ وهم غير مسلمين ـ بما حصل له؛ قال أحدهم: إنني أغبِطُهُ على هذه الميتة.

قلتُ له: لماذا؟

قال: **(لأنَّه مات في أهم بُقعة، وأعظم مكان).**

قصةُ حُبّ

امرأةٌ حُبّها طاهرٌ عفيف، صادقٌ شريف، حنينها لخالقها ومولاها، وشوقُها لربِّها تعالى، تبحث عمّا يُقرِّبها إليه، وتبذل ما بوسعها لنيل رضاه والفوز بجنته.

قال عبد العزيز بن أبي رواد رَحِمَهُ اللَّهُ: دخل قومٌ حُجّاج ومعهم امرأة تقول: أين بيتُ ربِّي؟ فيقولون: السّاعة تَرينه؛ فلما رأوه قالوا: هذا بيتُ ربّك أمَا ترينَهُ؟ فخرجت تشتدُّ وتقول: بيتُ ربِّي ! بيتُ ربِّي ! حتّى وضعت جبهتَها على البيْت، فوالله ما رُفِعت إلا ميّتة !! [صفة الصفوة].

> **قال العلماءُ:**
> (مِن علامات محبّة الله تعالى؛ كثرة زيارة بيته الحرام لحجّ أو عمرة، فعادةُ الأنجاب زيارةُ معاهد الأحباب) [فضائل الحجِّ والعمرة/ هيثم محمد حيدر].

قَرُبَ الرّحيلُ إلى ديـار الآخرة فاجعل إلهى خَير عمري آخرهُ

قِبلة الأحياء والأموات

الأحياء يَتَّجِهون إلى الكعبة في كلِّ صلاة وعند الدُّعاء، أمّا الأموات فيُوجَّهون إليها في قبورهم، وذاك بوضعهم على شِقهم الأيمن مستقبلين الكعبة، **فعن عمير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البيتُ الحرام قِبلتكم، أحياءً وأمواتاً» [صحيح الجامع/ ٤٦٠٥].

السيئة في مكة تُضاعَف

نقلَ ابنُ الجوزيّ في «زاد المسير» عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: (تُضاعف السّيئات بمكة كما تُضاعف الحسنات).

كما ذكرَ أنّ الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ سُئل هل تُكتب السَّيئة أكثر من واحدة؟

قال: لا؛ إلا بمكة لتعظيم البلد.

وقرَّرَ ابنُ القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الدّاء والدّواء» أنّ الذنبَ إذا وقعَ في شهرٍ حرام، أو بلدٍ حرام، أو وقتٍ معظَّم؛ فإنّ الإثمَ يتضاعف.

قال أبو جعفر الباقر رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما يَعبأُ بمن يؤمُّ البيتَ الحرامَ؛ إذ لم يأتِ بثلاثةٍ: ورعٌ يَحجزُه عن معاصي الله، وحِلمٌ يضبطُ به غضبَه، وحُسن الصُّحبة لمن يَصحَب) [مثير الحنين إلى البلد الأمين].

قال الشيخ محمد المنجد: (حَذارِ من فِعل المعصية في الأزمنة الفاضلة والأمكنة الفاضلة؛ لأنّ ذنبَ المعصية في الزمان الفاضل؛ كالأشهر الحُرم، والمكان الفاضل؛ كالبلد الحرام؛ يُضاعِفُ الذّنبَ ويُضاعِفُ السيئة، **فالذين يَسرِقون الحُجاج والعُمّار، وفي الحَرَم وعند الكعبة، والذي يَنظر النَّظرة المحرمة أثناء الطّواف، وربما يَعبثُ بالأعراض في الحَرَم**، أو يُسافر للفاحشة في رمضان، أو يَفعل هذا في مسجد؛ لا شكَّ أنّ سَوَادهُ أعظم، وأنّ شؤمه أشدّ.

فقد قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى»: (المعاصي في الأيّام المُفضلة والأمكِنة المفضلة تُغَلَّظ، وعِقابُها بقدر فضيلة الزمان والمكان) [من محاضرة/ إذا كنت ستعصي فتذكر].

محبوبة النبي ﷺ

إنها أمُّ القرى، فالحبُّ ليس للكعبة فحسب؛ بل لمكة بأسْرِها، **فعن ابن عباس** رضي الله عنهما **أن النّبيَّ** ﷺ **قال:** «ما أطيبك مِن بلد، وأحبك إليَّ، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منك، ما سكنتُ غيرك» [صحيح الجامع/ ٥٥٣٦].

وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه **أنَّ النّبيَّ** ﷺ **قال:** «والله.. إنك لخير أرض الله، وأَحبّ أرض الله إليَّ؛ ولوَلا أنّي أُخرجت مِنكِ ما خرجتُ» [صحيح الجامع/ ٧٠٨٩].

فضائلُ أهل مَكّة

قال ابنُ بطوطَة: (ولأهل مَكّة الأفعال الجميلة، والمكَارم التَّامّة والأخلاق الحَسَنة، والإيثار إلى الضّعفاءِ والمنقطعين، وحُسنُ الجِوارِ للغُرباء) [رحلة ابن بطوطة].

قال الإمام الشافعيّ رحمه الله:

(طَلَبْنا تركَ الذنوب؛ فوَجَدْناهُ في صلاة الضُّحى، وطَلَبْنا ضياءَ القبور؛ فوَجَدْناهُ في قراءة القرآن، وطَلَبْنا عبورَ الصِّراط؛ فوَجَدْناهُ في الصوم والصدقة، وطَلَبْنا ظلَّ العرش؛ فوَجَدْناهُ في إخوةٍ صالحين).

صفحة من التاريخ

(قال أهلُ التاريخ:

أرادتْ قريش أن تُجددَ بناء الكعبة قبل مَبعث النّبيِّ ﷺ بخمس عشرة سَنة، فضاقت بهم النَّفقة، فضيّقوا بناءها عمّا كانت فى عَهد إبراهيم عليه السلام، فلمّا دخلَ النّبيُّ ﷺ مَكّة عام الفَتح، أرادَ أنْ يَردّها إلى قواعِد إبراهيم بتوسعتها ستة أذرع ـ وهذا حقٌّ لا مِراء فيه ـ ولكنّه لم يَفعل؛ لأنَّ خبرتَهُ الحياتية تُملي عليه أنَّ قومَهُ ما زالوا حَديثي عَهدٍ بكفر، وأنّه لم يتمكَّن الدِّينُ مِن قلوبهم، فلو هُدمت الكعبة ربّما نَفَرُوا من ذلك.

قال مسروق رحمه الله:
(المرءُ حقيق أن يكون له مجالس يَخلو فيها؛ فيذكر ذنوبه، ويستغفر منها).

ولما قام عبدُ الله بن الزبير رضي الله عنه في سنة (٤٦هـ) بردِّ الكعبة إلى قواعدِ إبراهيم -كما أراد لها النّبيُّ ﷺ- جاءَ الحجّاجُ بن يوسف الثّقفيّ بَعد ذلك بعشر سنوات، فردّها إلى سَابق عهدها مِن بناء قُريش لها -بأمر عبد الملك بن مروان- ولم يَكن يعلم بحديث النّبيِّ ﷺ.

فلّما كان زمن ابن المنصور المهدي، استشارَ الإمامَ مالك بنَ أنس أن يُعيدها إلى بناء ابن الزبير.

فقال مالكٌ رحمه الله: نشدتُك اللهَ يا أميرَ المؤمنين أنْ لا تجعل هذا البيْت لُعبة للملوك، لا يَشاءُ أحد إلا نقَضَه وبناه، فتذهب هيبتَهُ مِن صُدور النّاس) [فقه الحياة سلاح الدعاة/ عماد أبو العينين].

إلى أصحاب الهموم والكروب

إلى المهمومين وأصحاب الكروب، إلى المدِينين ونزلاء السجون، إلى المرضى وأصحاب البلاء، إلى من يداهمهم الأرق والقلق ليلاً ونهاراً، إلى الباحثين عن الرزق والوظيفة، إلى من يخشى على نفسه الوقوع في الحرام ويبحث عن الزواج، إلى من حُرم الذُّرية والأطفال، إلى الجميع؛ هذه أدعية نبويّة وكلماتٌ من سيّد البشريّة محمّد ﷺ علّمنا إيَّاه لنناجي ربنا ونسألُ من بيده مفاتيحُ الفرَج أنْ يُفرِّجها.

روى الإمام أحمد في «مسنده» عن ابن مسعود رضي الله عنه **أنّ النبيَّ** ﷺ **قال:** «ما أصاب أحداً قطُّ همّ ولا حزن، فقال: (اللهمَّ إنّي عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أمَتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك؛ أسألك بكلِّ اسم هو لك سمّيتَ به نفسَكَ، أو أنزلتَه في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أنْ تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي) إلا أذهبَ اللهُ عز وجل همّه، وأبدله مكان حُزنه فرحاً». قالوا: يا رسول الله؛ ينبغي لنا أنْ نتعلّم هؤلاء الكلمات؟ قال: «أجل؛ ينبغي لمن سمعهنَّ أنْ يتعلمهنَّ» [صحيح الترغيب/ ١٨٢٢].

وروى البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال: كنت أخدم رسول الله** ﷺ **كلّما نزل؛ فكنتُ أسمعه يُكثر أنْ يقول:**«اللهمَّ إنّي أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجُبن، وضَلع الدَّين وغلبة الرّجال».

المدينة النبوية

على ساكنها أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليم

قال رسول الله ﷺ:

«إنّ اللهَ أمرني أنْ أُسمّي المدينة طيبة ـ وفي رواية ـ: طابة»[صحيح الجامع/ ٣٢١٧]

كان صفوان بنُ سُليم رَحِمَهُ اللهُ لا يَكادُ يَخرجُ من مسجد النَّبيِّ ﷺ.. فإذا أرادَ أنْ يخرجَ؛ بكى..

ويقول: أَخشى أنْ لا أَعودَ إليه.

[صفة الصفوة]

المدينة النبويّة

اعلم -أيّها المبارك- أنّ زيارةَ المدينة المنوّرة ومسجدها وقبر النّبيِّ ﷺ، لا علاقة لها بالحجِّ والعمرة اطلاقاً، والحديث المنسوب للنّبيِّ ﷺ زوراً وبهتاناً أنه قال: (مَن حجَّ فلم يَزرني؛ فقد جفاني) [الضعيفة/ ٤٥] فهو مكذوبٌ موضوع، ولا يصح ولم يثبت عنه ﷺ.

المسجدُ النّبوي

فضله

✓ **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال:**

«لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» متفق عليه.

✓ **وعن جابر** رضي الله عنه **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال:** «إن خير ما رُكبت إليه الرّواحل؛ مسجدي هذا، والبيْت العتيق» [صحيح الترغيب/ ١٢٠٦].

✓ **وعنه أنّ رسول الله** ﷺ **قال:** «صلاةٌ في مسجدي؛ أفضل مِن ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجد الحرام؛ أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» [صحيح الترغيب/ ١١٧٣].

✓ **وقالت عائشة** رضي الله عنها **قال رسول الله** ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحقّ المساجد أن يُزار، وتشدّ إليه الرّواحل؛ المسجد الحرام، ومسجدي. وصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام» [صحيح الترغيب/ ١١٧٥].

مسجدٌ أُسِّسَ على التقوى

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **قال:** دخلتُ على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه فقلتُ: يا رسول الله؛ أيُّ المسجدين الذي أُسِّسَ على التّقوى؟ فأخذ كفّاً مِن حَصباء، فضرب به الأرض، ثمَّ قالَ:

«هو مسجدكم هذا» لِـمسجدِ المدينة.

وفي رواية: قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى من أوّل يوم ! فقالَ رجلٌ: هو مسجد قباء، وقالَ رجلٌ: هو مسجد رسول الله ﷺ فقالَ رسول الله ﷺ: «هو مسجدي هذا» [صحيح الترغيب/ ١١٧٦].

قصة

تَخَرَّج من الجامعة الإسلامية في المدينة النبويّة، كان آية في الذّكاء ويحملُ تزكيات وشهادات أُخر؛ لكنّه لم يُوفَّق لعمل في المدينة؛ ولأنّه مُقيم ولمعرفته بفضائل المدينة؛ كان حريصاً على العمل بها.

ذهبَ إلى أحد المشايخ الفضلاء، فقالَ له: يا شيخ ألا تعرف أحداً يوظّفني؟ لم يبق باب إلا طرقته، ولا سبيل إلا سلكته؛ لكن دون جدوى، ولا أريدُ أنْ أخرج من المدينة.

قال الشّيخ: أنا أعرف من يوظّفك، وفي أسرع وقت !

قال الشاب ـ وقد غمَرَهُ الفرح والسّرور ـ: من هو يا شيخ؟!

قال الشّيخ: **إنه الله عزَّ وجلَّ !**

قال الشاب: فكأني وجمت قليلاً ولم أتكلَّم، فنظرَ إليَّ الشيخُ وقال: عَجباً! لو قلتُ لك: الوزير الفلاني، والمسؤول الفلاني؛ لاستبشرتَ خيراً، ولما ذكرتُ الذي بيده مَلكوت السماوات والأرض وخزائنهما؛ تغيّر وجهك! وكأنك في شكٍّ في وعد الله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾!

اذهب يا بُني إلى مسجد النّبيِّ ﷺ قَبل الفجر بساعة، وتَقرّب إلى الله تعالى في الثُلث الأخير مِن الليل وفي ساعات السَّحر، وأنا واثق أنَّ الله تعالى سَيقضي لك أمرك.

قال الشّاب: فخجلتُ أشدَّ الخجل، وودعتُ الشيخَ وانصرفتُ.

ووضعتُ مُنبِّه ساعتي على الثَّالثة بَعد منتصف الليل، قمتُ وتوضأتُ، ثم ذهبتُ إلى الحرم النّبوي، وبي مِن حَرارة الإيمان ما لا أستطيع وصفَهُ.

فلمّا دخلتُ وصلّيتُ ما كَتَبَ اللهُ لي؛ أردتُ أنْ أَمُدَّ يديَّ إلى السماء فأدعو، لم استطع! إذ غلبني البُكاء فعلا نشيجي؛ حتى ظننتُ أنّ روحي ستخرج، وأنّي قد آذيتُ مَن حولي، فدعوتُ اللهَ بكلمات قليلة، والله عليم بذات الصّدور، ثُمّ صلّيتُ الفجرَ مع المسلمين، ثم حضرتُ درساً لأحد العلماء في الحرم، ثم اتّجهتُ إلى بيتي.

نسيتُ كلَّ شيء إلا الله تعالى، ولم أعد آبَهُ بشيء من أمور الأرض، وبينما أنا في مسيري، كأن قائلاً يقولُ لي: اسلك هذا الطريق؛ فسلكتُه فإذا بي أواجه دائرة حكومية لم يسبق لي المرور عليها، فقلتُ في نفسي: لم لا أنزل فأسألهم إنْ كان لديهم وظيفة، فنزلتُ فاستقبلني رجلٌ تبسّم في وجهي ورحب بي، فقلتُ له: أنا لا أعرف أحداً هنا؛ فإن شئتَ أن تنالَ أجري فهذه أوراقي وشهاداتي.

فقالَ -بعد أن نظر في شهاداتي-: نحنُ مُنذ فترة نبحثُ عن أشخاص يَحمِلُون مثل هذه المؤهلات، الآن تتوظّف إن شاء الله !!

قال الشّاب: فنزلتُ وسجدتُ لله شُكراً، وقد اغرورقت عيناي بالدّموع، وأنا أردِدُ كلمات الشيخ: **إنّه الله عزَّ وجلَّ.. إنّه الله عزَّ وجلَّ.**

[جنان التائبين بتصرف]

الروضة والمنبر

◆ **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **عن النّبيِّ** ﷺ **قال**: «ما بين بيتي ومنبري؛ روضةٌ من رياض الجنّة، ومنبري على حوضي» متفق عليه.

◆ **قال ابن حَجر** رحمه الله **في «فتح الباري» بَعد الحديث**: (قوله: «روضة من رياض الجنّة» أي: كروضة من رياض الجنّة في نزول الرّحمة وحصول السعادة بما يحصل مِن مُلازمة حِلق الذِّكر، -لاسيما في عهده ﷺ ـ فيكون تشبيهاً بغير أداة.

أو المعنى: أنّ العبادة فيها تؤدِّي إلى الجنّة فيكون مَجازاً.

أو هو على ظاهره، وأنّ المراد أنه روضة حقيقية، بأن ينتقل ذلك الموضع بعَينه في الآخرة إلى الجنّة، وهذا مُحصّلُ ما أَوَّلهُ العلماء في هذا الحديث).

◆ **وقال أبو سليمان الخطابي** رحمه الله: (المعنى: مَن لزمَ طاعةَ الله في هذه البُقعة؛ آلت به الطّاعة إلى روضة مِن رياض الجنّة) [مثير الغرام الساكن].

◆ **وقال أيضاً**: (معناهُ: مَن لزمَ عبادة الله عند المنبر؛ سُقي مِن الحوض يوم القيامة) [مثير الغرام الساكن].

◆ **وعن يزيد بن أبي عبيد قال**: كنت آتي مع سلمة بن الأكوع، فيصلِّي عند الأسطوانة التي عند المصحف، أي: في الروضة الشريفة، فقلتُ: يا أبا مسلم؛ أراك تتحرّى الصلاة عند هذه الأسطوانة؟! فقال: فإنّي رأيتُ النّبيَّ ﷺ يتحرّى الصلاة عندها. متفق عليه.

سُنة مهجورة

قالَ الشّيخ عبد الله الخضير في رسالته «دمعة على حُبِّ النّبيِّ ﷺ»: (ومما نُسي في المدينة من السُّنن المكانية؛ الصَّلاةُ في الرّوضة الشّريفة، وهي مِن رياض الجنّة التي يَنبغي التّنعُّم فيها والاعتناء بها؛ إذ هي مِن أماكن نُزول الرَّحمة، وحصول السّعادة وأسبابها).

قال مالكُ بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان الأبرارُ يتواصون بثلاث: بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعُزلة).

الإمام البخاري في الروضة

قال الدكتور خالد أبو شادي: (وكان مِن ذكاءِ الإمام البخاريّ ونفاذِ بصيرته؛ أن كَتَبَ «صحيحه» في الرّوضة المباركة، ولذا علّل الحافظُ ابن حَجر تفضيل أحاديث البخاري على غيرها ببركة هذا المكان الشّريف، فقال: وإنّما بلغت هذه الدّرجة، وفازت بهذه الحَظوة؛ لسبب عظيم أوجب عِظمها وهو ما رواه أبو أحمد ابن عَدي عن عبد القدوس بن همّام قال: شهدتُ عِدَّةَ مشايخ يقولون: حَوَّلَ البخاريُّ تراجمه (يعني: بيِّضها) بين قبر النّبيِّ ﷺ ومنبره، وكان يُصلّي لكلِّ ترجمة ركعتين) [رحلة المشتاق العمرة].

مشاعر بطل الملاكمة العالمي (تايسون)

عندما أكرمهُ اللهُ سبحانه وتعالى بزيارة المسجد النَّبويّ والتّعريج على الرَّوضة الشَّريفة قال (مايك تايسون) : (بكيتُ دون شُعُور عندما علِمتُ أنّني في روضةٍ مِن رياض الجنَّة، وتمنيّتُ عدمَ مغادرة هذا المكان الطّاهر، الذي طَلبتُ فيه مِن الله أنْ يجعلني من أهلِها) [المختصر للأخبار/ ٣٢٢٣].

قبرُ النّبيِّ ﷺ

استَحبَّ أُهلُ العلم لمن أَتى مسجدَ النّبيِّ ﷺ أنْ يَتَشَرَّفَ بالسَّلام على النّبيِّ ﷺ، وعلى صاحبيهِ أبي بكر الصدِّيق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما مِن غير غُلو ولا جَفاء.

ومِن المنكرات مَا نراهُ مِن توجُّه النَّاس نحو القبر الشَّريف عند الدَّعاء، وطلب الحاجات من النّبيِّ ﷺ أو التَّمسّح بالجُدران، وتقبيل نحاس القبر وما شابه ذلك.

قالَ رسول الله ﷺ:«إذا أويتَ إلى فِراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ حتى تختم الآية؛ فإنك لن يَزال عليك من الله حافظ ولا يَقرَبك شيطان حتى تُصبح» البخاري.

وهذا ما خافه النّبيُّ ﷺ على أُمّته، **فعن عائشة** رضي الله عنها **قالت: قالَ رسول الله** ﷺ: «قاتل اللهُ اليهود؛ اتخذوا قُبور أنبيائهم مساجد». قالت عائشة: لولا ذلك أُبرز قبره؛ غير أنّه خشي أنْ يُتُخَذَ مسجداً. متفق عليه.

وفي لفظ آخر: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لعنةُ الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». **قالت عائشة** رضي الله عنها: يُحذِّر مثل ما صنعوا. متفق عليه.

يا خيرَ مَن دُفنت بالقاع أعظُمُه ... فطابَ مِن طِيبِهنَّ القاعُ والأكمُ
نَفْسي فداءٌ لقبرٍ أنتَ ساكنُه ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ
أنتَ الشّفيعُ الذي تُرجى شفاعتُه ... عند الصّراط إذا ما زلَّتِ القَدَمُ
وصاحباكَ فلا أنساهُما أبداً ... منّي السَّلام عليكم ما جرى القلمُ

فتوى

سُئل القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ عن أُناس من أهل المدينة يَقِفونَ على القبر في اليوم مَرّة أو أكثر، ويُسلِّمون ويَدْعُون ساعة !

فقال: لم يَبلغني هذا عن أحد مِن أهل الفقه، ولا يُصلح آخر هذه الأمّة إلا ما أصلح أولَها، ولم يَبلغني عن أوّل هذه الأُمّة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك. [الشفا بتعريف حقوق المصطفى].

توضيح ورد شبهة

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ **بَعد ذِكرِهِ الحديث الموضوع:** (مَن حجّ، فزار قبري ـ بَعد موتي ـ كان كمن زارني في حياتي) وبيان نكارته سَنداً ومَتْناً:

(تنبيه؛ يَظنُّ كثيرٌ من النّاس أنَّ شيخَ الإسلام ابن تيميّة، ومَن نَحى نحوه مِن السَّلفيين؛ يَمنعُ مِن زيارة قبره ﷺ، وهذا كَذِبٌ وافتراءٌ، وليست أوّل فِرية على ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وعليهم.

وكلُّ من له اطّلاع على كتب ابن تيمية؛ يَعلمُ أنه يقول بمشروعية زيارة قبره ﷺ واستحبابِها، إذا لم يقترن بها شيء من المخالفات والبدع، مثل شدِّ الرّحل والسّفر إليها؛ **لعموم قولهِ** ﷺ: «لا تشدُّ الرِّحل إلا إلى ثلاثة مساجد»، والمستثنى منه في هذا الحديث ليس هو المساجد فقط ـ كما يظن كثيرون ـ بل هو كلّ مكان يقصد للتقرُّب إلى الله فيه، سواء كان مسجداً أو قبراً أو غير ذلك) [الضعيفة/ ٤٧].

قال مُحمّد إقبال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنّ بريقَ المدنيّة الغربيّة لم يُبهرني ويُغْشِ بَصري؛ لأنّي اكتحلتُ بإثمد المدينة النبويّة).

إجلالُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم وتوقيرُهُ

مِن الأدب مع رسول الله ﷺ عدمُ رفع الصوت في مسجده وعند قبره.. **قال الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾.

قال السائب بن يزيد: كنت نائماً في المسجد، فحصبني رجلٌ، فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب، فقالَ: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما.

قالَ: مَن أنتما ـ أو مِن أين أنتما ـ؟ قالا: من أهل الطائف.

قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ. أخرجه البخاري.

وهذا إمامُ دار الهجرة مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول:** حجَّ أيوب السّختياني حجَّتين؛ فكنتُ أرمُقُهُ، ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذَكَرَ النّبيَّ ﷺ بكى حتّى أرحمه، فلما رأيتُ منه ما رأيتُ وإجلاله للنبيِّ ﷺ؛ كتبتُ عنه [أي الحديث]. [الشفا بتعريف حقوق المصطفى].

قال أبو مصعب: سمعتُ مالكاً يقول: (إنّي لأذكُرُ وما في وجهي طاقة شعر، وما منّا أحدٌ يدخل المسجد إلا مُعْتمّاً [أي: واضعاً عمامة على رأسِه] إجلالاً لرسول الله ﷺ. [ترتيب المدارك وتقريب المسالك].

قبري الصدّيق والفاروق رضي الله عنهما ومنزلتهما

أَخذَ الإمامُ مالك بيد الخليفة هارون الرشيد، ومضى إلى قبر الرسول ﷺ، فقال هارون: أخبرني عن مكان أبي بكر وعمر من النبيِّ ﷺ؟

فقال مالك: كان محلّهما منه في حياته كمحلهما مِنه بعد وفاته.

[ترتيب المدارك]

مسجد قُباء

فضلُ الصلاة فيه

✓ **عن سهل بن حَنيف** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «من خرجَ حتى يأتي هذا المسجد -يعني: مسجد قباء- فيُصلّي فيه؛ كان كعدل عمرة».

وفي رواية: «مَن تطهّر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، فصلّى فيه صلاة؛ كان له أجر عمرة» [صحيح الترغيب/ ١١٨١].

وفي ثالثة: «صلاة في مسجد قباء؛ كعمرة» [صحيح الترغيب/ ١١٨٠].

✓ **عن ابن عمر** رضي الله عنهما **قال:** كان النّبيُّ ﷺ يَزور قُباء ـ أو يأتي قباء ـ راكباً وماشياً.

وزاد في رواية: فيُصلّي فيه ركعتين. متفق عليه.

وفي رواية للبخاري والنسائي: أنّ رسول الله ﷺ كان يأتي مسجد قباء كلّ سبت راكباً وماشياً، وكان عبد الله يَفعَلُه. [صحيح الترغيب/ ١١٨٢].

✓ **عن ابن عمر** رضي الله عنهما **أنه شهد جنازة بالأوساط في دار سعد بن عبادة،** فأقبل ماشياً إلى بَني عمرو بن عوف بفناء الحارث بن الخزرج، فقيل له: أين تؤمّ يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أؤمُّ هذا المسجد في بَني عمرو ابن عوف [مسجد قباء] **فإنّي سمعتُ رسول الله** ﷺ **يقول:** «من صلى فيه كان كعدل عمرة» [صحيح الترغيب/ ١١٨٤].

✓ **عن عامر بن سعد، وعائشة بنت سعد أنهما سمعا أباهما** رضي الله عنه **يقول:** لأن أُصلّي في مسجد قُباء؛ أحبّ إليَّ من أن أُصلّي في مسجد بيت المقدس. قال الألباني: صحيحٌ موقوفٌ. [صحيح الترغيب/ ١١٨٣].

✓ **وعن جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما **أن النّبيَّ** ﷺ دعا في مسجد الفتح [مسجد قباء] ثلاثاً: يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء؛ فاستُجيب له يوم الأربعاء ـ بين الصلاتين ـ فعُرف البِشْرُ في وجهه.

قال جابر: (فلم يَنْزِلْ بِي أَمْرٌ مُهِمٌّ غَلِيظٌ، إِلَّا تَوَخَّيْتُ تلك السّاعةَ، فأدعو فيها؛ فَأَعْرِفُ الإجابةَ. [صحيح الترغيب/ ١١٨٥].

فهنيئاً لكم يا أهل المدينة؛ فليست هذه بأوَّلِ الفضائل والبركات، وذلك فضلُ يؤتيه من يشاء.

زيارة البَقيع ومقبرة شهداء أُحد

زيارة مقبرة البقيع وقبور شهداء أُحد مُستحبّة؛ لأنّ النّبيَّ ﷺ كان يزورها ويدعو لأصحابها، والمقصود مِن زيارة المقابر؛ تذكر الآخرة وترقيق القلوب، والاستعداد لتلك الحفرة ولتلك السّاعة التي نخرج منها من الدُّنيا، **قال رسول الله** ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجراً [أي: كلاماً فاحشاً]» [صحيح الجامع/ ٤٥٨٤].

✓ أمّا ما نراه اليومَ من الحجاج والعُمّار؛ الذين يزورون هذه الأماكن بقصد التبرّك والاستغاثة، أو السياحة والترفيه، ولزيادة المعلومات التاريخية؛ فليس هذا المرادُ ولا المقصود.

✓ **وإذا زُرتَ القبور؛ فالسُّنّة أنْ تدعو كما علَّمك الرسولُ** ﷺ **فتقول**: «السلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون» [مسلم].

فضلُ المدينة ومن مات فيها

• **عن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «من استطاع منكم أن لا يموت إلا في المدينة، فليمت بها؛ فإنه من يمت بها نشفعَ له، أو نشهدَ له».

وفي رواية: «من استطاعَ منكم أنْ يموت بالمدينة، فليفعل؛ فإنّي أشهد لمن مات بها».

وفي ثالثة: «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة، فليمت، فإنّه من مات بالمدينة؛ شفعتُ له يوم القيامة» [صحيح الترغيب/ ١١٩٣].

• **وعن سعد** رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:** «لا يَدعها أحد [أي المدينة] رغبة عنها؛ إلا أبدلَ الله فيها من هو خير منه».

[صحيح الترغيب/ ١١٨٨]

• **وكان من دعاء عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: (اللهمَّ ارزقني شهادةً في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك) رواه البخاري.

وكان للفاروق ما تمنّى؛ فقُتل شهيداً في صلاة الفجر على يد عدو الله أبي لؤلؤة المجوسي، وكانت ميتَتُهُ في المدينة.

• **وعن أبي هريرة وأبي سعيد** رضي الله عنهما **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:** «لا يصبرُ على لأواء المدينة، وشِدَّتها أحدٌ من أُمّتي؛ إلا كنتُ له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً؛ إذا كان مُسلِماً» رواه مسلم. واللأواء؛ شِدّة الضّيق.

زمانٌ تقضَّى وعيش مضى ... بنفْسي والله تلك العهود
ألا قُل لزوّار دار الحبيب ... هنيئاً لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضاً ... فنحنُ عِطاشٌ وأنتم ورود

المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «ليأتين على أهل المدينة زمان ينطلقُ النّاسُ منها إلى الأرياف، يَلتمسون الرَّخاء؛ فيجدون رخاء، ثم يأتون فيتحمّلون بأهليهم إلى الرخاء، **والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون**» [صحيح الترغيب/ ١١٨٩].

◈ **وعن زيد بن ثابت وأبي أيوب الأنصاري** رضي الله عنهما **: أنّ النّبيَّ** ﷺ **قال**: «سيأتي على النّاس زمانٌ تفتح فيه فتحات الأرض، فتخرج إليها رجال يصيبون رخاءً وعيشاً وطعاماً، فيَمُرّون على إخوان لهم حجّاجاً أو عُمّاراً فيقولون: ما يقيمكم في لأواء العيش، وشدّة الجوع فذاهبٌ وقاعدٌ حتى قالها مراراً، والمدينة خير لهم لا يثبت بها أحد فيصبر على لأوائها وشدّتها حتى يموت؛ إلا كنتُ له يوم القيامة شهيداً، أو شفيعاً» [صحيح الترغيب/ ١١٩٢].

◈ **قال الحارث بن مسكين**: (رحِمَ اللهُ مَالِكاً، ما كانَ أَصوَنَهُ للعلم وأَصبرَهُ على الفقر ولزُوم المدينة) [ترتيب المدارك وتقريب المسالك].

دعاء النّبيّ ﷺ للمدينة وأهلها

عن أبي قتادة رضي الله عنه **أنَّ رسول الله** ﷺ **توضأ، ثم صلّى بأرض سعد بأرض الحَرّة عند بيوت السُّقيا، ثم قال:**

«اللهمَّ إنّ إبراهيمَ خليلَك وعبدَك ونبيَّك، دعاكَ لأهل مكّة، مُحَمَّدٌ عَبدُكَ ونَبِيُّكَ ورسُولُكَ، أدعُوك لأهل المدينة مثل ما دعاكَ به إبراهيمُ لأهل مكّة، ندعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومُدِّهم وثمارهم، اللهمَّ حَبّب إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مكّة، واجعل ما بها من وباءٍ بِخُمٍّ، اللهمَّ إني حَرَّمْتُ ما بين لَابَتَيْهَا، كما حَرَّمْتَ على لسان إبراهيم الحرم».

[رواه أحمد. صحيح الترغيب/ ١١٩٨]

عن أبي سعيد رضي الله عنه **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:**

«اللهمَّ بارك لنا في مدينتنا، اللهمَّ اجعل مع البركة بركتين، والذي نَفْسي بيده؛ ما من المدينة شيء ولا شعب ولا نقب؛ إلا عليه ملكان يحرسانها» رواه مسلم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال:**

«اللهمَّ اجعل بالمدينة ضِعفي ما جعلت بمكَّة من البركة» متفق عليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه **أنه قال: كان النّاسُ إذا رأوا أوّل الثّمر، جاؤوا به إلى رسول الله** ﷺ**، فإذا أخذه رسول الله** ﷺ **قال:**

«اللهمَّ بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا ومُدِّنا، اللهمَّ إنّ إبراهيم عبدك وخليلك ونبيّك، وإنّي عبدك ونبيّك، وإنه دعاك لمكّة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكّة ومثله معه». قال: ثم يدعو أصغر وليدٍ يَراهُ، فيُعطيه ذلك الثّمر. رواه مسلم.

قال مالك بن أنس رحمه الله: (أهل المدينة أرقُّ الناس أدباً، وأحلاهُم طَرباً، وأبرعُهم شيماً، وأطبعُهم كرماً) [جمع الجواهر في الملح والنوادر].

وعن عائشة رضي الله عنها **أنّ رسول الله** ﷺ **قال:**

«اللهمَّ حبِّب إلينا المدينة كحُبِّنا مكّة أو أشدّ، وصححها لنا، وبارك لنا في صاعها ومُدّها، وانقل حُمّاها فاجعلها بالجُحفة» رواه مسلم.

قال المنذريُّ رحمه الله: قيل: إنما دعا بنقل الحمى إلى الجُحفة؛ لأنها كانت إذ ذاك دار اليهود.

توقيرُ أهل المدينة

كان الإمام مالك بن أنس رحمه الله **مُهاباً كالسّلطان**، له حاجب يأذن عليه، وكان يخصُّ أصحابَهُ بالدخول؛ فعوتِب في تقديم الإذن لأصحابه.

فقال: (أصحابي وجيرانُ رسول الله ﷺ) [ترتيب المدارك].

خطر الإحداث في المدينة وإيذاء أهلها

عن سعد رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال**: «إنّي أحرّم ما بين لابتي المدينة، أن يُقطع عِضاهها، أو يُقتل صيدها».

وزاد في رواية: «ولا يريدُ أحدٌ أهل المدينة بسوء؛ إلا أذابه الله في النّار ذوبَ الرَّصاص ـ أو ذوبَ الملح في الماء ـ» رواه مسلم.

لابتا المدينة؛ بفتح الباء مخفّفة هو: طرفاها. والعِضاه، شجرُ ذو شوك. [صحيح الترغيب/ ١١٨٨].

وفي ثالثة: «لا يَكيدُ أهل المدينة أحدٌ؛ إلا انماعَ كما ينماعُ الملح في الماء» متفق عليه.

عن عبادة بن الصامت أنّ رسول الله ﷺ **دعا لأهل المدينة قائلاً**: «اللهمَّ من ظلمَ أهلَ المدينة، وأخافَهم؛ فأخِفْهُ، وعليه لعنةُ الله والملائكة والنّاس أجمعين، ولا يُقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ» [صحيح الترغيب/ ١٢١٤].

وعن عليّ وأبي هريرة رضي الله عنهما **أنّ النّبيّ** ﷺ **قال**: «المدينةُ حرام ما بين عَيْر إلى ثَوْر، فمن أحدَثَ فيها حَدَثاً، أو آوى فيها مُحْدِثاً؛ فعليه لعنةُ الله والملائكة والنّاس أجمعين، لا يَقبَلُ اللهُ منه يوم القيامة صَرفاً، ولا عدلاً» متفق عليه.

قصة

روى الإمامُ أحمد في «مسنَدِهِ» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّ أميراً من أمراء الفتنة قَدِمَ المدينة، وكان قد ذهبَ بصر جابر؛ فقيل لجابر: لو تنحّيت عنه، فخرج يمشي بين ابنيه فانكب فقال: تعس مَن أخاف رسول الله ﷺ! فقال ابناهُ ـ أو أحدُهما ـ: يا أبتاه؛ وكيف أخاف رسول الله ﷺ وقد مات؟

فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من أخاف أهل المدينة؛ فقد أخاف ما بين جنبي».

وفي رواية: «من أخاف أهل المدينة؛ أخافه الله» [صحيح الترغيب/ ١٢١٣].

> **قال الإمام مالك** رحمه الله: **(أدْرَكتُ بهذه البلدةِ [أي: المدينة] أقواماً لم يكن لهم عُيوبٌ، فعَابُوا النَّاسَ؛ فصارتْ لهم عُيوبٌ، وأدْرَكتُ بها أقواماً كانت لهم عُيُوبٌ، فسَكَتُوا عن عُيُوبِ النَّاس؛ فنُسيَت عُيُوبُهمْ)** [الضوء اللامع].

وادي العَقيق

وادٍ في المدينة النّبويّة، فيه الميقات أو ما يُعرف بـ (آبار عليّ).

✓ **عن عائشة** رضي الله عنها **أنّ النّبيَّ ﷺ قال**: «أتاني آتٍ ـ وأنا بالعَقيق ـ فقال: إنّك بواد مبارك» [صحيح الترغيب/ ١٢١٠].

✓ **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه **قال: حدَّثني رسول الله ﷺ قال**: «أتاني اللَّيلة آتٍ من ربّي ـ وأنا بالعَقيق ـ: أن صَلِّ في هذا الوادي المبارك». [صحيح الترغيب/ ١٢١١].

لذا يُستحَبُّ لمن مرَّ بذي الحُليفة (آبار عليّ) أنْ يصلّي ركعتين؛ لأنّه بوادٍ مبارك، ولثبوت ذلك عن النّبيِّ ﷺ.

وخِتاماً

اللهمَّ اجعل هذا العملَ خَالصاً لوجهِكَ الكَريم، مُتقَبلاً غيرَ مَردود، وارحم جامِعهُ بعظيمِ رحمتِكَ وواسعِ مغفرتِكَ، واكتبهُ في عبادك الصالحين مَقبولاً غير مطرود.

اللهمَّ لا تُعذّب ضَعيفاً يَدلُّ عليك، ويُحبّبُ الخلقَ فيك، ويُرشدهم إلى مرضاتك.

ووالله؛ ما حالي وهذا الكتاب إلا كما قال الأوَّل:

وغيرُ تَقيٍّ يَصفُ للنـاس التُّقى طبيبٌ يداوي النّاسَ وهو عليلُ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

تَمَّ الكتـابُ وربُّنا المحمودُ وله المكارمُ والعُلا والجـودُ
وعلى النّبيِّ محمّـدٍ صلواته ما ناح قِمريٌّ وأورق عـودُ

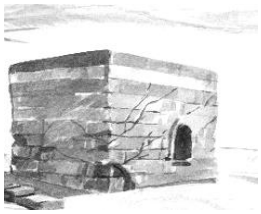

فضل آية الكرسي

إنّ الحديثَ عن آية الكرسي؛ حديثٌ ممتعٌ ذو شجون، فهي أعظم آية في القرآن، تَعدَّدت مناقِبها وفضائلها.

صاحبها محفوظٌ بحفظ الله، وهي سببٌ لدخول الجنة، يَقرأها المسلمُ الحريص كلّ يوم وليلة ثمان مرات على الأقل: بعد الصلوات الخمس، وفي الصباح والمساء، وعند النوم.

وهي للأولياء أنيسٌ وجليسٌ، لا يَمَلّون من كثرة ترادِها، ولا يَفترون من تكرارها، أدركوا عظيم قدرها؛ فأشغلوا أنفسهم بها وجعلوها وِرداً لهم ومنهاجاً.

عن أُبي بن كعب رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «يا أبا المنذر؛ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلتُ: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر؛ أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ قال: فضرب في صدري وقال: «ليُهنك العلم أبا المنذر» رواه مسلم.

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه **أنه** ﷺ **قال**: «من قرأ آية الكرسي دُبُرَ كلِّ صلاة، لم يَمنعهُ من دخول الجنَّة إلا أن يَموتَ».

[صحيح الترغيب/ ١٥٩٥]

صفة الحج والعمرة

محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النّبيَّ ﷺ كان إذا كان قبل التروية بيوم، خطَبَ الناس فأخبرهم بمناسكهم.

[الصحيحة/٢٠٨٢].

صفة الحجّ والعمرة

تم اقتباسها من موقع قوافل الداعيات .. الموسوعة الشاملة

صفة الحجّ

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

نذكرُ هنا صفةَ الحجِّ على سبيل الإجمال والاختصار، وعلى صفة التمتع فنقول: إذا إرادَ الإنسانُ الحجَّ والعمرة، فتوجّه إلى مكّة في أشهر الحجّ، فإنّ الأفضل أنْ يُحرمَ بالعمرة، أولاً ليصير مُتمتعاً، فيُحرم من الميقات بالعمرة، **وعند الإحرام**؛ يغتسل كما يغتسل من الجنابة، والاغتسال سُنّة في حقِّ الرّجال والنّساء؛ حتى الحائض والنُّفساء، فيغتسل ويتطيّب في رأسه ولحيته، ويَلبس ثياب الإحرام، ويُحرم عَقِبَ صلاة فريضة، إنْ كان وقتها حاضراً، أو نافلة ينوي بها سُنَّة الوضوء، لأنه **ليس للإحرام نافلة معينة**، إذ لم يَرِد ذلك عن النّبيِّ ﷺ. والحائض والنفساء لا تُصلّي.

ثم يُلبي الحاجّ فيقول: لبّيك اللهمَّ عمرة، لبّيك اللهمَّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمدَ والنّعمةَ لك والملك، لا شريك لك. ولا يزال يُلبّي حتى يَصل إلى مكة.

✓ **وينبغي إذا قَرُب مِن مكّة أن يغتسل لدخولها كما فعل النّبيُّ ﷺ، ويدخل المسجد الحرام مُقدِّماً رِجلَهُ اليُمنى قائلاً**: (بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهمَّ اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم).

✓ **فإذا شرع في الطواف**، قطعَ التلبية، فيبدأ بالحَجـر الأسود يستلمه ويقبِّله ـ إنْ تيسَّرَ ـ وإلا أشار إليه، **ويقول**: (بسم الله والله أكبر، اللهمَّ إيماناً بك، وتصديقاً بكتابك، ووفاءً بعهدك، واتّباعاً لسُّنّة نبيّك محمّد ﷺ، ثم يجعل البيت عن يساره ويطوف سبعة أشواط، يبتدئ بالحجر ويختتم به، ولا يستلِمُ من البيت سوى الحَجر الأسود والرّكن اليماني، لأنَّ النّبيَّ ﷺ لم يستلم سواهما.

وفي هذا الطواف يُسنُّ للرَّجل أنْ يَرمل في الثلاثة أشواط الأولى؛ بأنْ يُسرع المشي ويُقارب الخُطى، وأنْ يَضطبع في جميع الطواف، بأن يُخرج كتفه الأيمن، ويجعل طرفي الرداء على الكتف الأيسر، وكلّما حاذى الحَجَر الأسود كبّر، **ويقول بينه وبين الركن اليماني**: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ويقول في بقيّة طوافه ما شاء من ذِكر ودعاء.

✓ **وليس للطواف دعاء مخصوص لكلِّ شوط**، وعلى هذا؛ فينبغي أن يحذر الإنسان من هذه الكُتيّبات التي بأيدي كثير من الحجّاج، والتي فيها لكلّ شوط دعاء مخصوص، فإنّ هذه بدعة لم تَرِد عن رسول الله ﷺ، وقد قال النّبيُّ ﷺ: «كلّ بدعة ضلالة» أخرجه مسلم.

✓ **ويجب أنْ ينتبه الطَّائف** إلى أمر يخلّ به بعض الناس في وقت الزحام، فتجده يدخل من باب الحِجر، ويخرج من الباب الثاني، فلا يَطوف بالحِجر مع الكعبة، وهذا خطأ، لأنَّ الحِجر أكثره من الكعبة، فمن دخل من باب الحِجر وخرج من الباب الثاني، لم يكن قد طاف بالبيت، فلا يصح طوافه.

✓ **وبعد الطواف؛ يصلّي ركعتين خلف مقام إبراهيم -إن تيسَّرَ له-** وإلا ففي أي مكان من المسجد.

ثم يخرجُ إلى الصّفا، فإذا دنا مِنه قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ **ولا يُعيد هذه الآيه بَعد ذلك**، ثم يَصعدُ على الصَّفا، ويَستقبلُ القبلة، ويرفعُ يديه، ويُكبِّرُ الله ويحمده، **ويقول**: (لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده).

✓ **ثم يدعو بعد ذلك**، ثم يُعيد الذِّكر مرَّة ثانية، ثم يدعو، ثم يُعيد الذِّكر مرَّة ثالثة.

✓ **ثم ينزل مُتجهاً إلى المروة، فيمشي إلى العَلَم الأخضر إلى العمود الثاني سَعياً شديداً**، أي: يركض ركضاً شديداً، إنْ تيسَّرَ له ولم يتأذّ أو يؤذ أحداً، ثم يمشي بَعد العَلم الثاني إلى المروة مشياً عادياً، فإذا وصل المروة، صعدَ عليها، واستقبل القبلة، ورفع يديه، وقال مثل ما قال على الصّفا، فهذا شوط.

✓ **ثم يرجع إلى الصّفا من المروة، وهذا هو الشّوط الثاني**، ويقول فيه ويفعل كما قال في الشّوط الأوَّل وفعل، فإذا أتمَّ سبعة أشواط، مِن الصّفا للمروة شوط، ومن المروة للصّفا شوط آخر، فإنّه يُقَصِّرُ شَعْر رأسه، **ويكون التّقصير شاملاً لجميع الرأس**، بحيث يبدو واضحاً في الرأس، والمرأة تُقصِّر مِن كل أطراف شَعرها بقدر أُنملة، ثم يَحلّ من إحرامه حِلاً كاملاً، يتمتع بما أحلّ الله له من النّساء والطّيب واللباس وغير ذلك.

✍ **فإذا كان يوم الثامن مِن ذي الحجة أحرمَ بالحجِّ**، فاغتسل، وتطيّب، ولبس ثياب الإحرام، وخرج إلى مِنى، فصلّى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، خمس صلوات، يُصلّي الرُّباعية ركعتين، وكلّ صلاة في وقتها، **فلا جمع في مِنى، وإنما هو القصر فقط**.

✍ **فإذا طلعت الشمسُ يوم عرفة، سار إلى عرفة**، فنزل بنَمِرة ـ إن تيسّر له ـ وإلا استمر إلى عرفة فينزل بها، فإذا زالت الشمسُ، صلّى الظهر والعصر قَصراً وجمع تقديم، **ثم يشتغل بعد ذلك بذِكر الله، ودعائه، وقراءة القرآن، وغير ذلك مما يُقرِّب إلى الله تعالى. وليَحرص على أنْ يكون آخرَ ذلك اليوم مُلِحّاً في دعاء الله عز وجل، فإنّه حَريٌّ بالإجابة**.

✓ **ويُسنُّ أنْ يكون مستقبل القبلة**، رافعاً يديه عند الدّعاء، **وكان أكثر دعاء النّبيِّ ﷺ في ذلك الموقف العظيم**: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير). وليحرص كذلك على الأذكار والأدعية النبويّة؛ فإنها من أجمع الأدعية وانفعها.

✍ **فإذا غربت الشمس من يوم عرفة**، انصرف إلى مزدلِفة، فصلّى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، ثم يَبقى هناك حتى يُصلّي الفجر، ثم يدعو الله عزّ وجلّ إلى أن يُسفِر جدّاً، ثم يدفع بعد ذلك إلى مِنى، ويجوز للإنسان الذي يشقُّ عليه مُزاحمة الناس أنْ ينصرف مِن مزدلِفة قبل الفجر، لأنَّ النّبيَّ ﷺ رَخَّصَ لمثله.

✍ **فإذا وصلَ إلى مِنى**، بادر فرمى جمرة العقبة أولاً قبل كلّ شيء بسبع حصيات، يُكبِّر مع كلِّ حصاة، ثم ينحر هديه، ثم يَحلق رأسه، وهو أفضل مِن التقصير، وإن قصّره فلا حرجَ، والمرأةُ تقصّر من أطرافه بقدر أُنملة، وحينئذٍ يَحلّ التَّحلّل الأوّل، فيباح له جميع محظورات الإحرام ما عدا النساء.

✍ **فينزل بَعدَ أن يتطيّب ويلبس ثيابه المعتادة إلى مكّة**، فيطوف طواف الإفاضة سبعة أشواط. وهذا الطواف والسعي للحجِّ، كما أنَ الطواف والسّعي الذي حصل منه أوّل ما قدِم للعمرة، وبهذا يَحلّ من كلِّ شيء حتى النساء.

✍ **ولنقف هنا لننظر ماذا فعل الحاجّ يوم العيد؟** فالحاجّ يومَ العيد؛ رمى جمرة العقبة، ثم نحَر هديه، ثم حلَق أو قصَّر، ثم طاف، ثم سعى، فهذه خمسة أنساك يفعلها على هذا الترتيب، فإنْ قَدّم بعضها على بعض؛ فلا حرج، لأنّ النّبيَّ ﷺ ما سُئل عن شيء قُدِّم ولا أُخر يومئذٍ إلا قال: «افعل ولا حرج» [متفق عليه].

✸ **فإذا نزل من مزدلِفة إلى مكة، وطاف وسعى**، ثم رجع إلى مِنى ورمى؛ فلا حرج، ولو رمى ثم حَلَق قبل أن ينحر؛ فلا حرج، ولو رمى، ثم نزل إلى مكة وطاف وسعى؛ فلا حرج، ولو رمى ونحر وحَلَق، ثم نزل إلى مكة وسعى قبل أن يطوف؛ فلا حرج. المهم أنَّ تقديم هذه الأنساك الخمسة بعضها على بعض لا بأس به، لأنَّ رسول الله ﷺ ما سُئل عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر يومئذٍ إلا قال: «افعَلْ ولا حرج». وهذا من تيسير الله سبحانه وتعالى ورحمته بعباده.

✸ **ويبقى من أفعال الحجّ بعد ذلك**: المبيت في مِنى ليلة الحادي عشر، وليلة الثاني عشر، وليلة الثالث عشر -لمن تأخر- لقول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾.

فيبيتُ الحاجّ بمِنى ليلة الحادي عشر، وليلة الثاني عشر، ويجزئ أنْ يبيت في هاتين الليلتين معظم الليل.

✍ **فإذا زالت الشمسُ من اليوم الحادي عشر**؛ رمى الجمرات الثلاث، يبدأ بالصغرى التي تعتبر شرقية بالنسبة للجمرات الثلاث، فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، يُكبِّر مع كلِّ حصاة، ثم يتقدّمُ عن الزحام قليلاً، فيقف مستقبل القبلة، رافعاً يديه، يدعو الله تعالى دعاءً طويلاً، ثم يتّجه إلى الوسطى؛ فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، يكبِّر مع كلّ حصاة، ثم يَتقدّم قليلاً عن الزحام، ويقفُ مستقبل القبلة، رافعاً يديه، يدعو الله تعالى دعاءً طويلاً، ثُم يَتقدّم إلى جمرة العقبة؛ فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، يكبِّر مع كلِّ حصاة، ولا يقف عندها، إقتداءً برسول الله ﷺ.

✍ **وفي ليلة الثاني عشر**؛ يرمي الجمرات الثلاث كذلك، فإذا أتمَّ الحاجُّ رمي الجمار في اليوم الثاني عشر، فإنْ شاء تعجَّلَ ونزلَ من مِنى، وإنْ شاء تأخّر، فبات بها ليلة الثالث عشر، ورمى الجمار الثلاث بَعد الزَّوال ـ كما سَبق ـ والتأخر أفضل، ولا يجب إلا بَعد أن تغرب الشمس من اليوم الثاني عشر وهو بمِنى، فإنه يلزمه التأخر؛ حتى يرمي الجمار الثلاث بَعد الزوال.

لكن لو غربت عليه الشمس بمنى في اليوم الثاني عشر بغير اختياره، فإنه لا يلزمه التأخر، لأنّ تأخره إلى الغروب كان بغير اختياره.

✍ **ولا يجوز للإنسان أنْ يرمي الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر قَبل الزّوال**؛ لأنَّ النّبيَّ ﷺ لم يرم إلا بَعد الزَّوال، وقال: «خذوا عَنّي مناسككم» أخرجه مسلم، وكان الصحابة يتحيّنون الزّوال، فإذا زالت الشَّمسُ رموا، ولو كان الرَّمي قَبل الزوال جائزاً؛ لبيّنه النّبيُّ ﷺ لأُمّته، إما بفعله، أو قوله، أو إقراره.

✍ **ولكن يمكنه إذا كان يشق عليه الزحام**، أو المضي إلى الجمرات في وسط النهار، أن يؤخر الرمي إلى الليل، فإنّ الليل وقت للرمي، إذ لا دليل على أنّ الرمي لا يصح ليلاً، فالنّبيُّ ﷺ وقّت أوّل الرمي ولم يوقّت آخره، والأصل فيما جاء مطلقاً، أنْ يَبقى على إطلاقه، حتى يقوم دليل على تقييده بسبب أو وقت.

✍ **وليحذر الحاجّ مِن التّهاون في رمي الجمرات**، فإنّ من الناس من يتهاون فيها، فيوكّل من يرمي عنه، وهو قادر على الرَّمي بنفْسه، وهذا لا يجوز ولا يجزئ، لأنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾ والرّمي من أفعال الحجّ، فلا يجوز الإخلال به، ولأنّ النّبيَّ ﷺ لم يأذن لضَعَفَةِ أهله أنْ يُوكِّلوا من يرمي عنهم؛ بل أذن لهم بالذهاب من مزدلفة في آخر الليل، ليرموا بأنفسهم قبل زحمة الناس، ولكن عند الضرورة لا بأس بالتوكيل، كما لو كان الحاجّ مَريضاً أو كبيراً لا يمكنه الوصول إلى الجمرات، أو كانت امرأة حاملاً تخشى على نفسها أو ولدها، ففي هذه الحال يجوز التَّوكيل.

فيجبُ علينا أنْ نعظِّم شعائرَ الله، وألا نتهاون بها، وأنْ نفعل ما يمكننا فعله بأنفسنا.

✍ **وإذا أتمّ الحاجّ رمي الجمرات**؛ فإنه لا يخرج من مكّة إلى بلده، حتى يطوف للوداع، **لحديث ابن عباس** رضي الله عنهما **قال: كان الناسُ يَنفرون من كلِّ وجه فقال النّبيُّ** ﷺ:

«لا يَنفر أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت» رواه مسلم، إلا إذا كانت المرأة حائضاً أو نفساء، وقد طافت طواف الإفاضة، فإنّ طواف الوداع يسقط عنها، **لحديث ابن عباس** رضي الله عنهما: «أُمِرَ النّاسُ أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خُفِّفَ عن الحائض» متفق عليه.

ولأنّ النّبيَّ ﷺ **لما قيل له**: إنّ صفية قد طافت طواف الإفاضة؛ قال: «فلتنفر إذن» متفق عليه. وكانت حائضاً.

✹ **ويجب أنْ يكون هذا الطواف آخر شيء**، وبه نعرف أنْ ما يفعله بعض الناس، حين ينزلون إلى مكة، فيطوفون طواف الوداع، ثم يرجعون إلى مِنى، فيرمون الجمرات، ويُسافرون مِن هناك، فهذا خطأ، ولا يجزئهم طواف الوداع، لأنّ هؤلاء لم يجعلوا آخر عهدهم بالبيت، وإنما جعلوا آخر عهدهم بالجمرات.

قال ابنُ الجوزيّ رحمه الله: (أسفاً لعبد كلّما كَثُرت أوزاره؛ قلَّ استغفاره، و كلّما قرُب من القبور؛ قوي عنده الفتور).

اللهمَّ إنّي ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذّنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني؛ إنّك أنت الغفور الرَّحيم.

خلاصة أعمال العمرة

(١) الاغتسال كما يُغتسل للجنابة، والتطيّب.

(٢) لبس ثياب الإحرام، إزار ورداء للرجل، وللمرأة ما شاءت من الثياب المباحة.

(٣) التلبية والاستمرار فيها إلى الطواف.

(٤) الطواف بالبيت سبعة أشواط ابتداءً من الحجر الأسود وانتهاءً به.

(٥) صلاة ركعتين خَلْفَ المقام.

(٦) السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط ابتداءً بالصفا وانتهاءً بالمروة.

(٧) الحلْق أو التقصير للرجال، والتقصير للنساء.

مُجْمَل أعمال الحجّ

عمل اليوم الأول وهو يوم الثامن:

١ـ يُحرِم بالحجِّ من مكانه فيغتسل ويتطيّب ويلبس ثياب الإحرام ويقول: (لبّيك اللهمَّ حجّاً، لبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمدَ والنَّعمة لك والملك، لا شريك لك).

٢ـ يتوجّه إلى مِنى فيبقى فيها إلى طلوع الشمس في اليوم التاسع، ويُصلّي فيها الظهر من اليوم الثامن، والعصر والمغرب والعشاء والفجر، كلّ صلاة في وقتها، ويَقصر الرّباعية.

عمل اليوم الثاني وهو اليوم التاسع:

١ـ يتوجَّهُ بعد طلوع الشمس إلى عرفة، ويصلّي الظهر والعصر قصراً وجمع تقديم، وينزل قبل الزوال بنَمِرة إن تيسّر له.

٢ـ يتفرّغ بعد الصلاة للذكر والدعاء مستقبل القبلة رافعاً يديه، ويبقى بعرفة إلى غروب الشمس.

٣ـ يتوجّه بَعد غروب الشمس إلى مُزدلِفة، فيصلّي فيها المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين، ويبيت فيها حتى يطلع الفجر.

٤ـ يصلّي الفجر بعد طلوع الفجر، ثم يتفرّغ للذِّكر والدعاء حتى يُسفر جدّاً.

٥ـ يتوجّه قبل طلوع الشمس إلى مِنى.

عمل اليوم الثالث وهو يوم العيد:

١ـ إذا وصل إلى مِنى، ذهبَ إلى جمرة العقبة، فرماها بسبع حصيات متعاقبات، واحدة بعد الأخرى، يكبِّر مع كلِّ حصاة.

٢ـ يذبح هديه إن كان عليه هدي.

٣ـ يحلق رأسه أو يقصره، ويتحلّل بذلك التحلّل الأول، فيلبس ثيابه ويتطيّب، وتحلّ له جميع محظورات الإحرام سوى النساء.

٤ـ ينزل إلى مكة فيطوف بالبيت طواف الإفاضة، وهو طواف الحج، ويسعى بين الصفا والمروة للحج، إن كان مُتمتعاً، وكذلك إن كان غير متمتع ولم يكن سعى مع طواف القدوم. وبهذا يحلّ التحلّل الثاني، ويحلّ له جميع محظورات الإحرام؛ حتّى النساء.

٥ـ يَرجع إلى مِنى فيبيت فيها ليلة الحادي عشر.

عمل اليوم الرابع وهو الحادي عشر:

١ـ يَرمي الجمرات الثلاث، الأولى ثم الوسطى ثم جمرة العقبة، كلّ واحدة بسبع حصيات مُتعاقبات يُكبِّر مع كلّ حصاة، يرميهنّ بعد الزوال ولا يجوز قبله، ويلاحظ الوقوف للدعاء بعد الجمرة الأولى والوسطى.

٢ـ يَبيت في مِنى ليلة الثاني عشر.

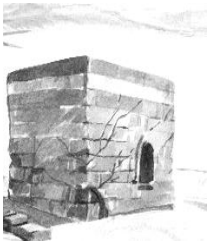

عمل اليوم الخامس وهو الثاني عشر:

١ـ يَرمي الجمرات الثلاث كما رماهنّ في اليوم الرابع.

٢ـ يَنفر من مِنى قبل غروب الشمس إن أراد التعجّل، أو يبيت فيها إن أراد التأخر.

عمل اليوم السادس وهو الثالث عشر:

هذا اليوم خاص بمن تأخّر ويعمل فيه:

١ـ يرمي الجمرات الثلاث كما سبق في اليومين قبله.

٢ـ ينفر من مِنى بعد ذلك.

وآخر الأعمال طواف الوداع عند سفره، والله أعلم.

قال ابن قُدامة المقدسي: (وألزِمْ لسانك ذِكرَ الله تعالى، ودعاءه، واستغفاره، أو قراءة القرآن، أو علماً، أو تعليماً، أو أمراً بالمعروف، أو نهياً عن المنكر، أو إصلاحاً بين النّاس).

أنواع النُّسك

الأنساكُ ثلاثة: تمتُّع، إفراد، قِران.

فالتمتع: أن يُحرم بالعمرة وحدَها في أشهر الحجِّ، فإذا وصل مكّة طاف وسعى للعمرة وحَلَق أو قصّر، فإذا كان يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة؛ أحرم بالحجّ وحدَه وأتى بجميع أفعاله.

والإفراد: أن يحرم بالحجِّ وحدَه، فإذا وصل مكة طاف للقدوم وسعى للحجِّ، ولا يحلِق ولا يُقصِّر ولا يَحل من إحرامه؛ بل يَبقى مُحرماً حتى يحلّ من بعد رمي جمرة العقبة يوم العيد، وإنْ أخّر سعي الحجّ إلى ما بعد طواف الحجِّ؛ فلا بأس.

والقِران: أنْ يحرم بالعمرة والحجّ جميعاً، أو يحرم بالعمرة أولاً، ثم يدخل الحجّ عليها قبل الشروع في طوافها. وعمل القارن كعمل المفرد سواء، إلا أن القارن عليه هدي، والمفرد لا هدي عليه.

مصادر الرسالة

١ـ فقه العبادات.
٢ـ مناسك الحجّ والعمرة.
٣ـ المنهج لمريد الحجّ والعمرة.
٤ـ صفة الحجّ والعمرة.
٥ـ اللقاء الشهري رقم (١٠)

وكلّها من مؤلفات فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الرَّبيع بن خثيم: (داءُ البَدن الذنوب، ودواؤها الاستغفار، وشفاؤها؛ أنْ لا تعود في الذّنب) [المجالسة].

من وصايا السلف بالاستغفار

☯ **قال رجل: مررت ذات يوم بفضيل بن عياض، فقلتُ له:** أوصني بوصية ينفعني الله بها، قال:

يا عبد الله؛ أَخْفِ مكانك، واحفظ لسانك، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات -كما أُمرتَ-.

أستغفِرُ الله من عمر أضعتُ بـــه حظّي من الذِّكر في قال وفي قيل

أستغفر الله ربّ العرش من عُمُرٍ أضعتُه في خســـارات وتضليل

الفهرس

مقدمة	٥
حنين المشتاق	٧
سرُّ الحبِّ	٨
المراد	١٠
فاجعة	١١
التوبة أولاً	١٣
المالُ الحلال	١٤
السفر آدابٌ وأحكام	١٩
الاستخارة	٢٠
الصحبة في السفر	٢١
دعاءُ السفر	٢٥
المرأة والسفر	٢٦
هدي السلف في اغتنام الأوقات	٢٨
حِلية المسافر (الأخلاق)	٢٩
القصر في السفر.. رحمة	٣٢

نصيحة إلى مدخن	٣٣
صفات الأولياء	٣٤
الحَجّ والعمرة	٣٥
شهادة	٣٧
الحجّ فرض	٣٨
معنى السبيل	٤٠
ترحيب وتذكير	٤١
حُكم الحج	٤٢
حُكم العمرة	٤٣
الحرصُ على الحجّ	٤٤
عندما يبكي السلطان	٤٥
إخلاصُ الحجّ لله	٤٦
قصّةٌ تُشيِّب الرأس وتقطع الظهر	٤٧
من صور المخلصين	٥٠
الاتّباع	٥٣
الدِّين يُسر	٥٥
دقائق تنجي من عذاب القبر	٥٦

الحجّ والعمرة دعوة من الله	٥٧
قصص العشاق	٦٠
شيشاني يحج على درَّاجة	٦١
يحجُّ ماشياً من غرب إفريقيا	٦٣
هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب؟!	٦٦
رائعة الروائع	٦٧
محرومون	٦٨
للحاج والمعتمر دعوة مستجابة	٦٩
فضائل الحجّ والعمرة	٧٣
حديث شامل	٧٤
الحجّ والعمرة غفران للذنوب	٧٦
بُشرى للمعتمرين	٧٨
الحجُّ المبرور ثوابُه الجنّة	٧٩
خطر المعاصي	٨١
فضل لا حول ولا قوة إلا بالله	٨٤
الحجّ والعمرة بمنزلة الجهاد	٨٥
حتى الجبناء شملهم الفضل	٨٦

الحاجّ في حفظ الله ورعايته	٨٧
فضل من مات حاجّاً أو معتمراً	٨٩
أكثروا الطاعات	٩١
أقوال عذبة وصور للطائعين	٩٢
كارثة عظمى	٩٤
نداء.. نداء	٩٦
أيها الحاجّ والمعتمر تواضَعْ لله	٩٧
ذِكرُ الله	٩٨
العمرة في رمضان	١٠١
الحجّ والعمرة من أبواب الرزق	١٠٢
مناسك الحجّ والعمرة.. الإحرام	١٠٥
التلبية	١٠٦
النساء والتلبية	١٠٩
تلبية المريض	١١٠
الطواف بالبيْت وفضله	١١١
طوافُ الصالحين	١١٤
طواف القدوم	١١٥

طواف الإفاضة والوداع	١١٨
الحنين والأنين	١١٩
فضل مشروعيّة طواف الوداع	١٢٠
احذر التشبه باليهود	١٢٣
الحَجر الأسْود أحكام وآداب	١٢٣
الركن اليماني والمقام	١٢٧
المُلتَزَم	١٢٩
الحياء يا نساء.. تنبيه وتحذير	١٣١
حِجر إسماعيل والصلاة فيه	١٣٣
صلاة الضُّحى	١٣٤
السعي بين الصفا والمروة	١٣٥
ماء زمزم.. فضله	١٣٧
قصص واقعية مع ماء زمزم	١٤١
هندي يستعيد بصره عند الكعبة	١٤٢
كلكم يبكي لدُنياي	١٤٤
الوقوف بعرفة وفضائله	١٤٥
فضل الاستغفار	١٥٢

المبيت بمزدلِفة	١٥٣
رمي الجمار.. فضائل وأحكام	١٥٥
النّحر	١٥٨
الحَلْق والتقصير	١٥٩
النساء والحَلْق	١٦١
أيامُ التشريق	١٦٣
الحجّ عن الغير	١٦٤
حجّ الصبي والصغير	١٦٧
الزواج والحجّ	١٦٧
مسجدُ الخِيف	١٦٩
من ثمرات الحجّ والعمرة	١٦٩
وماذا بعد الحَجّ؟!	١٧٠
يا من لم يكتب له الحجّ !	١٧١
فضلُ الصلاة على النّبيّ ﷺ	١٧٢
المسجد الحرام.. فضائل وفوائد	١٧٣
الكعبة المشرفة	١٧٧
قصص	١٧٧

الدعاء عند رؤية الكعبة	١٧٨
النظر إلى الكعبة	١٧٩
أمريكي يموت أمام الكعبة	١٨٠
قِبلة الأحياء والأموات	١٨٢
السيئة في مكة تُضاعَف	١٨٣
محبوبة النّبيّ ﷺ	١٨٤
فضائلُ أهل مَكّة	١٨٤
صفحة من التاريخ	١٨٥
إلى أصحاب الهموم والكروب	١٨٦
المدينة النبوية	١٨٧
فضل المسجد النبوي	١٨٨
الروضة والمنبر	١٩١
الإمام البخاري في الروضة	١٩٢
مشاعر بطل الملاكمة (تايسون)	١٩٢
قبر النّبيّ ﷺ	١٩٣
توضيح ورد شبهة	١٩٤
اجلال النّبيّ ﷺ وتوقيره	١٩٥

قبري الصدِّيق والفاروق	١٩٥
مسجد قباء	١٩٦
البَقيع ومقبرة شهداء أُحد	١٩٧
فضل المدينة ومن مات فيها	١٩٨
دعاء النّبيّ ﷺ للمدينة وأهلها	١٩٩
توقيرُ أهل المدينة	٢٠١
خطر الإحداث في المدينة	٢٠١
وادي العقيق	٢٠٢
وختاماً	٢٠٣
آية الكرسي	٢٠٤
صفة الحجّ والعمرة	٢٠٥
خلاصة أعمال الحج العمرة	٢١٤
أنواع النسك	٢١٧
الفهرس	٢١٩